جاك ديريدا

أركيولوجيا التوهّم

انطباع فرويدي

ترجمه عن الفرنسية

عزيز توما

شارك في الترجمة وقدم للكتاب وعلق عليه

إبراهيم محمود



جـــاك درّيـــــدا

أركيولوجيا التوهُّم

« انطباع فرويدي »

ترجمه عن الفرنسية

عزيز توما

شارك في الترجمة وقدَّم للكتاب وعلَّق عليه

إبراهيم محمود

أركيولوجيا التوهّم
«انطباع فرويدي»

ترجمة: عزيز توما

الناشر: مركز الإنماء الحضاري

الطبعة الأولى / 2005

الإخراج الفني: أحمد خيري

تصميـــم الغـــلاف: م. جمـــال الابطـــح



Jacques Derrida

Mal d'archive
"une impression Freudienne"
Édition Galilée 1995 - Paris

تنويه:
(هذا الكتاب عبارة عن نص محاضرة ألقيت في 5 حزيران 1994
في لندن،
في المؤتمر الدولي تحت عنوان « بالإنكليزية »
Memory. Th question of Archive
وقد انعقد بمبادرة من رينـــه ماجور واليزابيت درودينسكو، تحت إشراف
الجمعية الدولية للتاريخ والأمراض النفسية
والتحليل النفسي في متحف فرويد.
وكان العنوان الأصلي للمحاضرة هذه :
مفهوم الأرشيف: انطباع فرويدي، ثم تغير فيما بعد).

هل قرأنا جاك دريدا ؟

ليس هذا السؤال اتهامياً، فهو لا ينال من أحد، دفاعاً مفترضاً عن جاك دريدا، إنما هو سؤال معرفي محض ذو همٍّ ثقافي يخص هذا الذي نحن بصدده. هذا الذي قيل وكتب فيه الكثير - نسبياً - ولمْ يقرأ له إلا القليل جداً عربياً، مقارنة بمؤلفاته التي تقارب الثلاثين كتاباً حتى الآن، وهي مؤلفات متعددة المرامي، متنوعة المواضيع: تاريخية، وفلسفية، ولغوية، وفيلولوجية، ونقدية، وتربوية أو سياسية... وهي في مجموعها تدخل في حيزّ: كيف يمكن ممارسة النقد! منذ عقدين من الزمن وحتى الآن ظهرت مقالات وأبحاث تناولت دريدا من مواقع مختلفة عربياً، خصوصاً موضوعة الكتابة والاختلاف وإشكاليتهما، ولا يمكن حصر هؤلاء الذين كتبوا عنه في هذه التوطئة التي أردناها توضيحاً لنقاط نحن بصددها، وليس مقدمة... ولكن أسماء مثل: (كاظم جهاد، عبد الله إبراهيم، مطاع صفدي، علي حرب، جورج زيناتي، إبراهيم محمود، محمد بن الشيخ، بختي بن عودة، عبد العزيز بن عرفة، مصطفى الحسناوي، عبد العزيز حمودة، منذر عياشي،... الخ)، تناولته من زوايا مختلفة، كما أن قراءة أعمال كل من عبد السلام بنعبد العالي، عبد الكبير الخطيبي، مطاع صفدي، علي حرب، عبد الله الغذامي، عبد العزيز بن عرفة، بختي بن عودة، إبراهيم محمود...الخ) لا تخفي تأثيره في بنية كتاباتهم

وبدرجات متفاوتة.

غير أن الذي يمكن التوقف عنده، هو أن ما ترجم له عربيا قليل جدا، هو وغيره من ممثلي الفكر البنيوي، أو ممن يعتبرون ممثلين لمناهج يتم تقسيمها: التفكيكية (يذكر هنا دريدا مباشرة)، رغم أن هذه لا تنفصل عن البنيوية، وما بعد الحداثة... ورغم ذلك نقرأ هنا وهناك، بأن هؤلاء لم يعد لهم أثر، لقد اختفوا كموجة طارئة... هل يمكن الرجم بالغيب؟ هل تم التدقيق في التحولات التي طرأت على بنية الكثير من الدراسات العربية (على الأقل منذ عقدين من الزمن) واختلافها عن سواها من الكتابات الأخرى، التي ظهرت وهي تحمل آثار مدارس ومناهج أوروبية متعددة! ماذا يعرف عن جاك دريدا؟

لسنا هنا بصدد مقاضاة أولئك الذين اتخذوا منه موقفا سلبيا كليا أو جزئيا، ولا بصدد الدعوة إلى ضرورة مكافأة من اتخذوه لهم معلما ومرجعا رئيسا في صياغة أفكارهم..

إن (بختي بن عودة وعبد العزيز حموده) سواء، حيث الأول يتراءى مأخوذا بهواه، والثاني يكون نابذا رافضا إياه في كليته، هو ومن معه من مريديه من الكتاب العرب، كما يحب أن يسمي ذلك، في كتابه (المرايا المحدبة) ولاحقا في (المرايا المقعرة).

ما يمكن التوقف عنده هو أن جاك دريدا لا يعرف إلا حين قراءة أعماله.. ومن المعلوم أن له كتابا وحيدا قد ترجم بالكامل، هو (أطياف ماركس) من قبل الدكتور منذر عياشي. ونشره مركز الإنماء الحضاري في حلب عام 1995 ... أما «كاظم جهاد» فرغم أنه كان السباق في هذا المضمار، معرفا قارئه العربي به، مقابلة وترجمة إلا أنه لم يترجم له

كتاباً كاملاً. فـ (الكتابة والاختلاف) الذي نشرته دار توبقال المغربية، تضمّن فصلين فقط من أصل أحد عشر فصلاً، حيث أضيفت دراسات أخرى من الخارج، وكان ذلك سنة 1988، ولا ندري سبب هذا الإجراء، رغم وضوح الترجمة عنده...

أما (صيدلية أفلاطون) الذي نشرته دار الجنوب التونسية سنة 1998، فعبارة عن قسم من بين ثلاثة أقسام، يتضمنها كتاب (الانتشار La Dissémination). وربما توجد ترجمة لعمل آخر لم يتداول بعد. وثمة مقالات متفرقة له منشورة في مجلات مغربية ومصرية ولبنانية ليست كافية طبقاً لبلورة فكرة ما عن عالمه الفلسفي النقدي..

إن ما يشاع عنه، أكثر مما يكتب أو يقرأ عنه من حقائق، كونه لم يقدم من خلال أعمال مترجمة له.. وهو نفسه من صرَّح أثناء زيارته إلى مصر قبل سنتين، بوجود سوء فهم لأفكاره... وهذا القول ليس حجة على الذين يتخذون منه موقفاً سلبياً، ولا تقريظاً لمن يتشيعون له، وإنما يفصح عن ثقافة مزاجية، وعلى أعلى المستويات عربياً، وغياب أو ضعف روح المسؤولية الفكرية تجاه أمور مما تقدم... بل يمكن القول: إن هناك من يقرأ الفرنسية جيداً، ويعرف جاك دريدا، على أكثر من صعيد، ولكن ثمة تصوراً معتقدياً يشوه صورة (الآخر)، عند الحديث عنه، ولو في سطور..

يذكر هنا تقديم «محمد علال سيناصر» رئيس شعبة الفلسفة في منظمة اليونسكو العالمية، لكتاب (الكتابة والاختلاف) المترجم إلى العربية. إذ يقول بداية (في اسم جاك دُرَيدة أثر انتماء قديم، إن لم يكن سيماء لما خاصه، منذ شرع بتدريسه وأبحاثه... ص7). والمترجم نفسه يعلّق في الهامش وفي الصفحة ذاتها (آثر كاتب المقدمة أن يكتب «دريده» بدل «دريدا» ليشير إلى الاسم العربي الشائع، قديماً بخاصة، «دريده»، ومن

المفارقة تكمن في الاسم نفسه حين يقال عربيا، (لماذا يحال الاسم الأجنبي إلى اسم عربي، حيث وجود الخلاف بينهما، عدا عن وجود إحالة مرجعية لا مبرر لها، إلا إذا كان في نية الكاتب هنا تمديد جسور اللغة العربية إلى لغة أخرى مباهاة. وهذا مرفوض). فدريدا نفسه يركز على خاصية التفكيك ويدعو إليه. ولكل كلمة حضور دلالي معين نابع من لغتها بالذات، وإيحاءاتها!.

أما دريدا، فإن (...ride، بمعنى الثنية ـ ثنيات الستار Le Plis du «Rideau». أما دالة: «Dés» فيعني البدء. وذلك، لأن البدء، كجزر أصلي، يظل دائما يمعن في الاختفاء متسترا بالتوقيع)[1].

عدا عن أنه هو ذاته من يعترف أن اسمه الآخر كان (إيلي) ثم شطب عليه. و«جاك» كان «جاكي» ثم غيره[2]...

عربيا جاك: بمعنى أتاك، باللغة المحكية البدوية في منطقتنا. أما «دريده» فماذا نقول في «در» و«يده»؟

جاك دريدا الذي ولد في (الأبيار) بالجزائر سنة 1930، ومن أصل يهودي، ودرس وحاضر في جامعات كثيرة: فرنسية وغيرها (أميركية خصوصا)، تناول مواضيع مختلفة إشكالية، وكتب عن رموز فلسفية مختلفة...

---

(1) انظر حول ذلك «عبد العزيز بن عرفة»: جاك دريدا، أسلوب وكتابة ــ في مجلة (كتابات معاصرة) بيروت ــ العدد (25) 1995ــ ص (11).

(2) انظر في المجلة نفسها (جاك دريدا: الإمضاء واسم الآخر) لـ«فرانسوا أوالد» ــ العدد نفسه ــ ص (21) ــ ومن المعلوم أن مجلة (كتابات معاصرة) نشرت العديد من المقالات لدريدا وعنه...

نذكر من كتبه:

- الكتابة والاختلاف L'ecriture et et différance ـ باريس 1967 ـ
- الصوت والظاهرة La Voix et la phénoméne ـ باريس 1967 ـ
- علم الكتابة De la gram matologie ـ باريس 1967 ـ
- الانتثار La Dissémination ـ باريس 1972.
- هوامش الفلسفة Marges de la philosophie ـ باريس 1972.
- مواقف Position ـ باريس 1972.
- نواقيس Glas ـ باريس 1974.
- مهاميز أساليب نيتشه Éperons. Les styles de nietzsche ـ فينيسا 1976.
- أركيولوجيا العابث L'Archélogie de la Frivole ـ باريس 1976.
- أهواء Passion باريس 1993.
- أطياف ماركس Spectres de marx ـ باريس 1993.
- سياسات الصداقة Politiques de l'amitié ـ باريس 1994.
- قوة القانون Force de loi ـ باريس 1994.
- أحادية لغة الآخر monolinguisme de l'Autre ـ باريس 1996.

إن قراءة جاك دريدا ضرورة معرفية وثقافية، لأن ما يطرحه من أفكار وتحديات تدفع بالقارئ إلى بذل المزيد من الجهد للانهمام بما يقوله ويكتبه. ولعل حضوره القليل عبر ترجمات أعماله، مقارنة بميشيل

فوكو وجيل دولوز وشتراوس، له علاقة قوية بصعوبة لغته، وبنيتها ودلالاتها.

أما عن الكتاب الذي نحن بصدده (Mal d'archive) الذي نشرته دار غاليلة، باريس 1995، فإنه يتميز بالعديد من السمات اللافتة، خصوصا راهنا، حيث رأينا في (أركيولوجيا التوهم) العنوان الأنسب للمقابل الفرنسي، ولأن ما يطرحه يدور في حيز التصورات الفرويدية، وتحديدا: الانطباعات الفرويدية كعنوان فرعي للكتاب، وكونه يتناول مواضيع دقيقة نفتقر إليها كثيرا في الساحة الثقافية العربية، بخصوص الأرشيف وإشكالياته، ولأن ما يطرحه من أفكار لها حيويتها وخطورتها وراهنيتها أيضا، إذ أن الحديث ضمنا يركز على البعد اليهودي تاريخيا، وفي مناخات فرويدية، وبصورة خاصة أطروحاته في كتابه (موسى والتوحيد)، وعبر التركيز على كتابات تخص كاتبا يهوديا آخر: متصوفا إشراقيا، هو «يورشالمي» مأخوذ بفكر فرويد، بدوره... لذلك فإن قراءة هذه الأفكار في مجموعها بروية ترينا الكثير مما هو مجهول لدينا في أحدث النصوص المتداولة في عالمنا وبلغات أخرى...

ونعترف بداية أننا (أنا والصديق عزيز توما) واجهنا صعوبة ومشقة في الترجمة، وبشكل أخص، ترجمة عبارات وجمل وحتى مفردات بلغات أخرى، أو منحوتة من قبله، وكذلك في مقاربة المعنى إزاء بناء الجمل التي يتفنن دريدا في صياغتها قصدا، تأكيدا لذات حرة، رحالة عبر اللغة! وكما كان عملنا في ترجمة (الإقامة في السعادة) قبل سنة، هكذا تآزرنا معا، حيث كان للصديق (عزيز) الجهد الأكبر في الترجمة، وكانت مساهمتي في محاولة إيجاد المفردة الأكثر دقة، والمعنى الأقرب لما يترجم، والتسلسل في الأفكار، قدر الإمكان، دون أن نسيء إلى لغة المؤلف التي تعتمد على بعثرة

الكلمات، والجمل المعترضة، والتأخير والتقديم، والاستعانة بكلمات أخرى: يونانية، وإنكليزية، وألمانية، وكذلك لاتينية، ليس من باب الاستعراض اللغوي، إنما للجمع بين عدة أصوات لغوية، وتثبيتها متسلسلة..

وقد حاولت - من جهتي - بغية مقاربة فكر المؤلف أكثر، أن أتوقف عند كلمات أو عبارات أو أقوال أو مقتطفات، معاينا إياها ومعلقا عليها، شارحا لها في حدود ضيقة، حتى لا أشكل عائقا أمام القارئ في فهم النص بطريقته.. وأعتقد أنها طريقة لم تخل من مشقة البحث عن المصادر المساعدة، وعن المجازفة في الوقت نفسه، إذا أن ما كتبته يشكل بصورة ما قراءة حول قراءة، ولكنها لا تقرأ إلا من خلال النص المترجم.

إن جل ما نتمناه، هو أن يكون هذا الكتاب: ترجمة وتعليقا أو قراءة مرافقة، محاولة مثمرة، وتمهيدا لأعمال أخرى، للقارئ دور كبير في تقرير مصيرها:

القامشلي - الكورنيش — إبراهيم محمود -

لزوم ما يلزم

لماذا يسوغ اليوم طرح مفهوم الأرشيف مجدداً؟! وفي صورة واحدة: تقنية وسياسية، وأخلاقية وقضائية في الوقت نفسه؟

ثمة بحث يستشرف أفق هذه المسألة الملحة بجلاء. الكوارث التي تعبر عن نهاية الألفية هذه، هي بدورها عبارة عن أرشيف السوء: هذا الأرشيف المموه أو المضعضع، المتحول، «المغيب refoulées»، ومعالجته هي في الوقت ذاته معقدة، وتتطلب الدقة خلال الحروب الأهلية أو العالمية، كما تحتاج إلى مناورات خاصة وسرية. لا يمكن التخلي بتاتا. إنها حالة اللاشعور نفسها . عن ممارسة السلطة على الوثيقة، حول صياغتها، والحفاظ عليها أو تفسيرها.

لكن إلى من تعود سلطة بناء الأرشيف أخيراً؟ كيف يمكن الاستجابة للعلاقات بين المذكرة، القرينة، الإثبات والشهادة؟ لنمعن في الحوادث حول «المراجعة Révisionnismes» وبالهزات التي يسببها عمل المؤرخين، وبالتقلبات التقنية في بناء ومعالجة الكثير من الـ«ملفات». ألا يجب البدء بتمييز الأرشيف عما يختزله في غالب الأحيان، سيما تجربة الذاكرة والعودة إلى الأصل، إنما أيضا القديم والأركيولوجيا أو الحفر، باختصار: إعادة البحث عن الزمن الضائع؟ إن خارجانية مكان، وإخراجا طبوغرافيا لتقنية الإيداع Consignation، دستور مرافعة وموقع سلطة الممثل القضائي

(L'archonte, L'arkheîon)، أي الدولـة غالبـا، لا بـل ودولـة بطريركيـة أو أخوية ـ أبوية Fratriarchique)، ذلك هـو شـرط الأرشيف. وهـذا الأخير لا يمكن تسليمه أبدا أثناء وقوع فعل مرضي حسي، يجلوا حالة حدث، هـذا الفعل الحي، البريء أو الحيادي.

إذا ثمـة خيطـان موجهان يتضـافران، وكمـا يـدل علـى ذلـك العنـوان الفرعي («انطباع فرويدي»)، فإن التحليلنفسي عليه باستدعاء ثورة كامنة على الأقل في إشكالية الأرشيف. وهـو لا يمنـح الأولويـة مصادفـة لأشـكال البصمة، الطباعة[1]. كما أن خطابه المتمركز غالبا على مشـهد الحفريات الأركيولوجية، يؤكد أولا على تخزين الـ«طبعات» وترقيم الكتابات، وكذلـك على الرقابة والكبت، على حظر وقراءة التدوينات. كذلك هل يجب في نص فرويد، متابعة التوترات، التناقضات، الإحراجات ـ واللامساواة في التطـور ـ والتـي تكون تقنيـة وسياسـية. في مسـار يـراد تحديـده، والمشـروع النظـري للتحليلنفسـي، ينتمـي في تمثلاتـه الموضوعيـة والاقتصاديـة للاوعـي، إلـى لحظـة في تـاريخ التقنيـة، والـ«اتصـال» بصـورة غامضـة، أي مسـتقبل للتحليلنفسـي في عصـر البـريد الإلكتروني، والبطاقـة الهاتفيـة، والوسـائط الإعلامية المتعددة والحواسيب؟.

كيف يمكن الحديث عن «اتصال الأرشيفات» دون معالجـة الأرشـيف بدايـة، أرشـيف «وسـائل الاتصـال»؟ مجـال أرشـيف يفتقـد إلـى موضـع للطباعـة. في الخـارج، بوسـاطة ركيزة مباشـرة، ركيـزة فعليـة أو افتراضيـة، كيف يكون الأرشيف عندما يتم تدوينه مباشرة؟ على سبيل المثال وبموجب

---

(1) بين البصمة L'empreinte والطباعة L'imprimerie علاقية واضحة دلالة، عدا عـن المسافة الفاصلة بين ثقافة شفاهية تنتقل عبر البصمة، وأخرى مقروءة عبر الطباعة، وهذا ما سيظهر لاحقا عند دريدا.

ختان ما، في خطابه أو في أشكاله؟

مسار آخر رئيس، ومُحّكم يجلو هنا حركة حوار مع مؤرخ اليهودية الأمريكي الكبير يو رشالمي، خصوصاً حول كتابين، زاهور: التاريخ اليهودي والذاكرة اليهودية، وموسى فرويد: اليهودية النهائية واللانهائية. لأن «المسألة اليهودية» كبيرة تخترق التحليلنفسي. هذا الذي يبقى... علماً يهودياً...، مثلما غالباً ما وضع موضع الاتهام، قبل وخلال وبعد النازية؟ كيف يمكن تفسير استراتيجيات فرويد أمام الدعوى التي أعدت ـ كما هو معروف ـ منذ ولادة التحليلنفسي؟

الإجابة لن تتم على هذه الأسئلة، ما دمنا بعيدين عن تحديد ما تعنيه كلمتا «يهودي» و«علم»، كما يذكر يورشالمي، «ومن المفترض أن يكون ذلك معروفاً»[1].

ومع فرويد، وبدونه، وأحياناً ضده، يذكر كتاب سوء الأرشيف بلا شك ظاهرة، معاناة، انفعالاً: أي أن أرشيف السوء هو ما يدمره، ما يقصيه أو يغيّبه، وصولاً إلى مبدأ الأرشيف، الملّح دائماً، أي السوء الجذري. لهذا يتراءى الانتظار دون موعود به، الانتظار، التلهف المطلق لرغبة في الذاكرة.

---

(1) ينبني كتاب دريدا هذا، على ما حدده في هذا المقطع، وهو يتحدث عن يورشالمي و«يهودية» العلم، وما يمكن أن يكونه التحليلنفسي في السياق المذكور. كون مؤسسه في الأصل يهودياً، كما هو معروف. وهذه المقدمة ملحقة ــ فالعنوان يعني (طلب إدراج) نظراً لأهميته، أما عربياً فمحاولة توضيح المقصود ليس إلا.

علينا عدم الانطلاق من البداية[1]، ولا حتى من الأرشيف نفسه. إنما انطلاقا من كلمة «أرشيف» - ومن خلال الأرشيف، الكلمة المألوفة جدا. هنا تبرز الـ**Arkhé**[2]، لنتذكر هذا الاسم الذي ينظم ظاهريا مبدئين في مبدأ واحد: مبدأ بحسب الطبيعة أو بحسب التاريخ، **هنا حيث تبدأ** الأشياء - مبدأ طبيعي مادي، تاريخي أو مبدأ كائني - لكن أيضا بحسب مبدأ القانون، **هنا حيث** يأمر بشر وآلهة، هنا حيث تمارس السلطة، النظام الاجتماعي، **في هذا المكان**، حيث يصدر الأمر عنه مبدأ الأسمائية.

---

(1) دريدا استنطاقي ومنقب، لهذا لا يرضى كغيره أن يحدد بداية لموضوعه، دون أن يلفت النظر إلى مفهوم البداية، لما لهذا المفهوم من أهمية معرفية في طرح فكرة ما، خصوصا وأنه يسعى إلى إثارة كم هائل من الأسئلة تجاه كلمة تبدو جلية كـ(الأرخية هنا).
ثمة نزعة سفسطائية كمحب حكمة في موضوعته وهو يعتمد إجراء تفكيكيا وبحثيا في كل ما يثيره ولكنه كمنتم إلى القرن العشرين يمارس التفكير من خلال أحدث الإنجازات العلمية والمعرفية. فالبداية كمفهوم فلسفي ذات معنى تفكيكي في العمق.

(2) ثبتنا **arkhé** كما هي. حيث يتمحور حولها كتاب دريدا. أن تكون الأرخية هي البداية فلعل البعد المادي الذي يتجلى في المفردة هو الكامن وراء ذلك، والقيمة الأثرية الدنيوية كذلك أيضا.
إنها في مفهومها اليوناني أولا تواجهنا بكل القضايا الفلسفية ومماحكاتها، والنزاعات التي رافقتها قد يكون التاريخ، ومفرد الكلمة (أرخ) بصيغته الفعلية العربية مفصحين عن ذلك. الأرخية كتحديد مفهومي وإجرائي تترجم لغة دريدا وطريقته في طرح الأفكار المختلفة. وفقا لهذا التصور نقرأ (أركيولوجيا المعرفة) لـ«فوكو» لا بل ما كتبه «هيدجر» في نصوصه وهو سلف حصيف لـ«دريدا» وقبلهما نيتشه، الأرخية ليست ابتكارا دريديا وإن كان هناك اجتهاد له جلي في ذلك يقول «هيدجر»: (إن الدهشة باعتبارها انفعالا هي أصل الفلسفة، وبالتالي علينا أن نفهم كلمة أصل كما هي في معناها الكامل باليونانية (**arkhé**). إذ تشير الكلمة إلى نقطة انطلاق الشيء. ولكن هذا الأصل لا يعتبر مهملا بمجرد الابتداء. إن الأصل هو بمثابة ما يشير إليه الفعل اليوناني **arkhé**، مالا ينفك مسيطرا.
- انظر «هيدجر» في مجلة (العرب والفكر العالمي) - العدد الرابع - خريف 188 - ص31).

كما قلنا، وفي هذا المكان، هنا حيث كيف يمكن التفكير بـ: هنا؟

هذا المكان المصاغ، وقد حل محل الـ**arkhé**.

هنا إذاً يوجد نظامان لنظام واحد: تعاقبي أحدهما والآخر سكوني. سلسلة من التصدعات، منذ ذلك الحين، لم تعد تتوقف عن تفكيك كل ذرة (حرف) من معجمنا. فيما مضى في الـ**arkhé** في البداية، أشرت إلى البداية بموجب الطبيعة **أو** بموجب التاريخ، مولجاً خلسة، سلسلة من تعارضات لاحقة، وإشكالاتية، بين الطبيعي والمادي وما يُنسب إليه، **أطروحة، تقانة، قانون**... الخ، التي تتوجد في العمل ضمن مبدأ آخر، هو المبدأ الأسمائي لـ**arkhé**، ومنذ البداية.

كل شيء قد يغدو بسيطاً، فيما لو كان يوجد مبدأ أو مبدءان.

كل شيء قد يكون بسيطاً، فيما لو كان **الطبيعي المادي**، وكل ما يصدر عنه في صيغة مبدأ أو مبدئين. والحال أن لا شيء فيه. نشك فيه منذ زمن طويل، لكننا ننسى دائماً.

هناك يوجد باستمرار أكثر من طبيعي مادي واحد، أكثر أو أقل من اثنين، في نظام البداية، مثلما في نظام الأمر! مفهوم الأرشيف يخفي داخله بطبيعة الحال، هذه الذاكرة الاسم **arkhé**. لكنه يمكث في عمق هذه الذاكرة التي يتضمنها:

يعني ذلك أيضاً أنها تنساه.

لا شيء يكون عرضياً أو مفاجئاً فيما يخص ذلك على عكس هذا، في الواقع، حيث يتشكل لدينا انطباع عنه غالباً. مفهوم كالذي تقدم ليس من اليسير أرشفته. ثمة شعور بالصعوبة، ولأسباب جوهرية في تكوينه

وتفسيره، في الوثيقة التي هي بحوزتنا. هنا في هذه الكلمة التي تسميه غالبا لمعرفة «الأرشيف». بطريقة ما، تحيل إلى شيء ما بنجاح، مثلما لدينا الحق بالاعتقاد في ذلك، إلى الـ **arkhé**، بمعنى طبيعي مادي، تاريخي أو **كائني**[1]، أي إلى الأصل، إلى الأول، إلى المبدئي، إلى البدائي. باختصار إلى: البداية.

لكن آجلا أو عاجلا أكثر، يحيل «الأرشيف» إلى الـ **arkhé**، بالمعنى الأسمائي[2]، وإلى **arkhé** الأمر، كما الأرشيفوم أو الأرشيوم لاتينيا (كلمة تستخدم بصيغة المفرد أو المذكر: «أرشيف»)، معنى «الأرشيف»، معناه الوحيد يأتي من الـ arkheîon الإغريقي: يعني أولا منزلا، محل إقامة، عنوانا، مقر القضاة الكبار، الأرشون[3]، الذين كانوا يأمرون. يأمرون المواطنين الذين كانوا يحفظون، وكانوا يجسدون هكذا السلطة السياسية. وكان يعترف بالحق في صنع القانون أو تمثيله. آخذين في الاعتبار

---

(1) هكذا ارتأيناها مقابلة لـ **ontologique**. فهذه الصيغة محمولة بالوعي من الداخل، وبالمعاناة تجاهها.

(2) لا يلعب «دريدا» بالكلمات حين يشد على لفظة ما، ويصرفها على وجوه عدة من باب الاستنطاق، في لعبة الدال والمدلول. كما في اسم الأرشيف ليبني عليه مقولاته، ويمنحها قيمة آثارية.

(3) يتجاوز اسم المكان ما سمي به، مسماه. الأرشيف لصيق بالمكان، بتاريخ يمكن مراجعته، ومعاينته، إنه توجيه لمنطق البحث والموضوع. اليونان بوصفهم أسلافي الفلسفة، هم حكماء اللغة فقهاؤها، وواهبو المكان تاريخه الدلالي. يغدو المكان هنا موجها لمنحى أو لسير البحث. كما في محل إقامة، أو العنوان، أو مقر القضاة الكبار الذين اكتسبوا اسمهم من المكان الذين اجتمعوا فيه ومارسوا السياسة وإدارة الحكم، وفي الآن عينه دونوا كل ما يخص قضاياهم، وبذلك يغدو المدون والمتفق عليه أساسا أو مرجعية للبت في كل قضية.
فثمة صيغة قانونية وشرعنة لعمل دريدا وهو يوضح مفهوم الأرشيف، إنه لا يقوم بذلك إلا ليفوض بما يبرر له، ويدشن ثمنذ بما يؤهله لذلك!.

سلطتهم المعترف بها علناً، وعن هؤلاء في هذا المكان الذي كان مقرهم (مقر خاص، مقر عائلي، مقر وظيفة)، حيث يتم إيداع الوثائق الرسمية، القضاة كانوا حراساً لها بداية. لم يوفروا فقط الأمن الطبيعي المادي للأمانة وركيزتها. كان يمنح لهم الحق والكفاءة في التفسير.

كانوا يحوزون سلطة الامتياز في تأويل الأرشيف بمحتوياته. حيث وضعت الثقة في ذمة القضاة، وهذه الوثائق تجهر بالقانون في الواقع: تذكر بالقانون وتدعو إليه من أجل الحماية، يتوجب على السلطة القضائية[1] إصدار القانون الذي كان في الوقت نفسه حارساً، وموقعاً له. وحتى في حراسته أو في تراثه التفسيري لم يستطع الأرشيف الاستغناء عن الدعامة ولا عن محل إقامة.

هكذا، في هذا التوطين، في هذا التعيين للإقامة، قررتم الأرشيف، المسكن، هذا المكان، حيث يبقى الأرشيف في مأمن، يشير إلى هذا الممر المؤسساتي من الخاص إلى العام، هذا لا يعني أبداً الانتقال من السر إلى اللاسر. (وهذا الذي يحدث حتى هنا، عندما يصبح بيت، والبيت الأخير لفرويد متحفاً[2] معبراً من مؤسسة لأخرى).

بقانون كهذا، الوثائق التي ليست دائماً عبارة عن كتابات خطابية، لا تحرس ولا تضعف تبعاً للأرشيف إلا بمقتضى **مواقعية** متميزة، تقيم هذا المكان الخاص، هذا الكان الانتقائي، حيث يتشابك القانون والخصوصية

---

(1) السلطة القضائية تستمد قيمتها من مفهوم الأرخية، من المشرع له قضائياً. فهي بقدر ما تنطلق من الأرشيف، وتعتمده مقراً ومرجعاً لها، تعود إليه لتؤكد على امتيازاتها عبره.

(2) كما أن الأرشيف في مكونه الدلالي يرتكز إلى الأرخية، إلى الأثر المادي، هكذا يغدو البيت متحفاً، وكما هو أسلوب دريدا في التقريب بين المعاني من خلال التقارب اللفظي، أي بين Musée., Maison.

بامتياز. عند التقاء المواقعية بالأسمائية، المكان والقانون، الدعم والسلطة، يغدو مشهد التوطين في الوقت نفسه مرئيا وغير مرئي. أركز فيه للأسباب التي أتمنى ذلك، ستظهر أفضل فيما بعد. تعود كلها إلى هذه **المواقعية ـ الأسمائية**[1]، إلى هذا البعد القضائي للتوطين، لهذه الوظيفة الأرشيفية تبعا للحقيقة البطرياركية، بدونها أي أرشيف لا يتم إخراجه ولا إظهاره مثله. لأجل الاحتماء والاختفاء فورا.

هذه الوظيفة القضائية ليست مواقعية ـ أسمائية، لا تبتغي الأرشيف بأن يودع في مكان ما. على قاعدة ثابتة، وتحت تصرف سلطة تأويلية شرعية. يجب أن تسير السلطة القضائية، التي تجمع أيضا الوظائف الموحدة والمتطابقة والمصنفة مع ما نسميه بسلطة **الإيداع**[2]. **وبوساطة** الإيداع، لا نحدد فقط المعنى العام للكلمة هذه، إن عملية إيداع، هي مقر، أو توكيل وذلك بهدف الحفظ، في مكان وعلى ركيزة، لكن هنا فعل الإيداع هو في **تجميع الأدلة**. ليس فقط **الإيداع** التقليدي، في محتوى الحجة المكتوبة، إنما كل إيداع يبدأ عبر الاعتراض.

الإيداع يعمل على تنسيق مدونة وحيدة، في نظام أو في تزامن، حيث

---

(1) في المواقعية الأسمائية Topo - nomologique ثمة مشاركة بين الأثري وما يضاف إليه، في المنقب عنه وما يستخلص منه. فالمواقعية هي ذاتها متداخلة مع الأرخية، بقدر ما إن الأرخية تمنح الأخرى قيمتها ومكانتها المعرفية.
بقدر ما أن القضائية archontique تؤكد حصافتها وصيغتها القانونية على أرضية مشروعن لها. ذات يوم ـ مثلا ـ لم يكن للأسمائية وجود، حيث كانت المواقعية معدومة. لقد ترافق المكان مع الزمان، مع التوطين، وفي هذه الحالة فإن الأسمائية كصيغة عرفية متبعة لاحقا تمت انطلاقا من الحيز القضائي القانوني، وقد أزيل الالتباس عبر مفهوم التفكيك.

(2) لاحقا سيركز دريدا على سلطة الإيداع Le Pouvoir de consignation، للعلاقة القوية بين مفاهيم كل من الأرشيف والأرشونتيك والقانون والمواقعية وما يغدو قيد الحفظ. كل إيداع هو صيغة قضائية قانونية نابعة من الأرشيفي. ومما ينظمه ويجلوه جيدا، ولكن وفق ما هو مدون، ومكونات مسطرة تشكل دعامة لسلطة الإيداع!.

كل العناصر تتناغم في وحدة تجسيد مثالي. في أرشيف، لا يجب أن يكون هناك فصل مطلق، وتنافر، أو سر يبرز ليفصل (Secernere)، ليقصي بطريقة مطلقة.

المبدأ القضائي للأرشيف هو أيضا مبدأ إيداعي، ويعني ذلك تجميعيا.

بدءا من الآن، لابد من الانطلاق من كل مكان، خصوصا في التحليلنفسي الفرويدي، حيث نحاول إعادة التفكير ثانية بالمكان والقانون[1]، اللذين بموجبهما يتأسس المبدأ القضائي، في كل مكان، حيث نساءل أو نجادل بشكل مباشر أو غير مباشر هذا المبدأ القضائي، سلطته، وعناوينه، ونسابته، وحقه في القيادة، المساواة، أو الشرعية، التي تعتمد عليه (على المبدأ هذا)، في كل مكان، حيث يأتي السر ومن التنافر ليهدد الإمكانية ذاتها **للإيداع**، ذلك لا يمكن التفويت عليها بالنتائج الخطيرة من أجل نظرية الأرشيف، مثلما لأجل إنجازها المؤسساتي.

على علم الأرشيف أن يتضمن نظرية التمأسس، هذا يعني في الوقت نفسه نظرية القانون التي تبدأ عبر إدراجها فيه، والحق الذي يسمح له.

---

(1) لايتي دريدا يشدد على أرضية الحدث المفكر فيه، وهو يستحضر المكان، حيث يكون ركيزة الأرخية، كل ما نحدده، أو نقف فيه هو مكان، لكنه مكان ما ليس إلا، لكنه يكتسب حضوره الجغرا ــ تاريخي، حيث يعلم، ويسمى باسم معين، ليصير طي مفهوم معين، فيغدو مواقعيا (توبولوجيا). إذ يعرف به، وهو في الوقت نفسه يمسي أثرا مكتوبا للتعريف بمن سماه، وبالتالي يكون القانون مستحضرا بالمكان. وإذا أردنا العزف على وتر فيلسوفنا، فإن بوسعنا القول: إن بين الاسم Nom، والقانون Nomos تضايفا لغويا ودليلا، يتواجدان في مكان يؤرخ لهما.
ولهذا فإن المبدأ القضائي يتأسس عبرهما ومن خلالهما إذا كان هو ذاته يعرف به مكانيا وبما يشرع له.

هذا الحق يطرح أو يفترض صرامة تتشكل من حدود تؤرخ لكل تاريخ قابل للتفكيك، وانطلاقا من التفكيك، حيث لن يكون غريبا عن التحليلنفسي، على الأقل ما يمكن قوله[1].

هذا التفكيك المتواصل يعني باستمرار، المؤسسة المكونة بين حدود مغلقة، لا يمكن اختراقها[*]. لأن الأمر يتعلق بحق الأسر أو الدولة، بحق

---

(1) بين التفكيك La déconsruction، والتحليلنفسي La Psychanalyse علاقة قوية لكل متابع أو مهتم على الأقل. إن الأول ينقب في الأرخية في الأثري، في المدون وما يخفيه، في المقول وما يغيبه من حقائق، وتحديدا في الأرشيف (لأنه هو المطلوب أو المطروح للمناقشة بصورة أدق)، الأرشيف مدونة دريدية ـ إن جاز التعبير، عندما يعيد صياغة مفهومه، يقارب حقيقته لغويا وتاريخيا، إنه زبونه Son Patient، وهو يمارس فيه تفكيكا بقصد تفهمه وممارسة كتابة مختلفة في ضوء ما توصل إليه. فهو إذا ـ على طريقته ـ يعيد الدرس التحلينفسي، حيث ينقب في طبقات النفس، في منحنياتها، في مغيباتها، في لاوعيها ولا شعورها inconscient، رغبة منه في إقصاء الملتبس أو المساء فهمه. وهنا تكون الأرخية نفسية، لكن ثمة عمقا مشتركا بينهما.

(*) بطبيعة الحال، إن مسألة سياسة الأرشيف تقودنا هنا بصورة مستمرة حتى لو أن زمن محاضرة لا يتيح لنا بذلك مباشرة عرض كل الأمثلة. سوف لن يتم أبدا حسم هذه المسألة كمسألة سياسية وسط الآخرين، إنها تتجاوز كيانية الحق، وفي الواقع تحسم هنا وهناك السياسي، كما الجمهورية، لا سلطة سياسية دون رقابة الأرشيف، باستثناء ثقافة الذاكرة. بالدمقرطة الفعلية تقاس، دائما تبعا للمعيار الجوهري هذا، أي المشاركة، والتقرب من الأرشيف، أي من قانونه وتأويله. خلاف ذلك، إن غيابات الديمقراطية تقدر بأن عملا قريب العهد وذا أهمية، في مناح كثيرة بعنوان الأرشيف، بالأرشيف المحظور (الخوف الفرنسي إزاء التاريخ لمعاصر ـ البان ميشيل ـ 1994) تحت هذا العنوان المشار إليه بمثابة كتابة لكل ما يهمنا هنا (سونيا كومب) لا تجمع فقط لتوضيحه وتفسيره، مواد معتبرة تطرح قضايا عديدة أساسية، حول كتابة التاريخ، وحول «حظر «الأرشيف»: ص318 ـ حول الأرشيف المحظور».

كـ «سلطة الدولة على المؤرخ ـ ص 321»، من بين كل هذه القضايا، وبالإحالة إلى القارئ، لنعزز قضية مهمشة على وجه التقريب، مع الصوت المنبه لفرضيتنا، حتى لو كانت هذه الملاحظة الأساسية، مبطركة الأرشيف، لا تغطي أبدا الأخريات. كما عند المرور إلى «سونيا كومب»، نطلب في الواقع «أن يسمح للموافقة على هذا التأمين على الملاحظة التي تتبع،

العلاقات بين السر واللاسر، أو هذا الذي يكون الشيء الآخر، بين الخاص والعام، وأن يتعلق الأمر بحقوق الملكية، أو الدخول، للنشر أو إعادة الصياغة، يعني هذا تعلق الأمر بالتصنيف والتنسيق: ماذا يتمخض عن هذه النظرية أو التوافق الخاص على سبيل المثال؟ ماذا يتمخض عن هذا النظام؟ من هذه السير الحياتية أو السيرة الذاتية؟ من السوابق الشخصية أو الفكرية»؟ في الأعمال المسماة **بالنظرية**، ما هو جدير بهذا الاسم، وما ليس جديرا به[1]؟.

وهل يجب أن نحتاط فيما يقوله عنه فرويد لأجل تصنيف أعماله؟

لكن لا يبدو بمحض صدفة، بأن فريق المؤرخين المتبرزين في فرنسا المعاصرة يكون جوهريا، مذكرا، مع بعض الاستثناء... لكن عليهم أن يفهموني جيدا» ـ ص315.

(1) هذا التكثيف في المعاني، في طرح الأسئلة، في سرد الأمثلة ليس اعتباطيا ـ كما يلاحظ ـ إنما له أكثر من وظيفة احترازية، وإجرائية بغية تنحية الدخيل ومقاربة المغيب وهو المنشود، حيث يقيم علاقة قوية بين المتعارضات والثنائيات ليعبرها لاحقا ليصل إلى ما ركز عليه منذ البداية، ألا وهو الأرشيف. فليس حديثه عن السر واللاسر إلا إفصاحا عن الحاصل مشوشا ومتداخلا وسينا فهمه. وليس الشيء الآخر **L'autre chose**، سوى المعني بـه، إذ الآخر ليس المحتجب إنما المحجب والجاري تهميشه أو التعتيم عليه سواء إهمالا أو لسوء فهم أو بقصد معين، أو خلطا... هنا يجري تقريبه وتعزيز المنشود.

لذلك فإن مفاهيم الخاص والعام وحقوق الملكية والدخول والنشر... الخ ليست مثارة في السياق، بل تكون السياق، وهي لصيقة بالأرشيف، ما دام هذا يشكل دعامة المبدأ القضائي، وإليه ومنه يكون القانون هذا الذي يسن كل ما يمكنه إبقاء الأرشيف صالحا للاستعمال، خارج حيز التورية والمجاز اللفظي والاستثمار المغرض، والتفكيك لم يجئ إلا لهذا (الغرض). خصوصا عندما يكون التصنيف والتنسيق فاعلين في إيضاح المعنى أكثر من خلال من يتعرض لأعمال الكتاب والمفكرين وسواهم.

وفي ضوء هذه الإحالة لا يأتي الاسم إلا في الوقت الذي يمهد له الطريق، ويكون مقامه مناسبا فيتداخل مع المنتظر كمكان وكمفهوم، ويحتفظ بطابعه القانوني في التثبيت، أي تداخل الـ(نوم) والـ(نوموس).

هل يجب على سبيل المثال تصديقه حول الكلام، عندما يقوله عن **موسى**[1]... كـ«رواية تاريخية»؟. في هذه الحالات كلها، النهايات والحدود والتباينات قد ارتجت عبر هزة أرضية، نسفت في هذه الإحالة كل مفهوم تصنيفي، وبالقدر نفسه كل ما أنجز من الأرشيف. النظام لم يعد مستتبا.

أحلم الآن بالفرصة لإخضاع أكثر من أطروحة لنقاشاتكم. على الأقل ثلاثا منها. هذه الفرصة سوف تتيح لي دائما. خصوصا أنه لن يحق لي أبدا أن آخذ وقتكم لأفرض عليكم بلا انقطاع هذه الأطروحات الثلاث، إضافة إلى عدد المحاولات، بما أن الأطروحات قد خضعت للتجربة، تجربة نقاشاتكم، فإنها ستبقى إذا في هذه اللحظة عبارة عن فرضيات. لا يمكن إخضاعها للبرهان، إننا ملزمون بسلك طريق تبعا لهذا النموذج الذي سيبدو أحيانا دوغمائيا، سأذكرها بطريقة أكثر نقدية، ومشكلة في النتيجة. هذه الفرضيات لها ميزة مشتركة. إنها تخص كل الانطباع الذي

---

(1) بالنسبة لدريدا يكتسب «موسى» أكثر من قيمة تاريخية، إنه متعدد القيم، وفي الوقت نفسه شخصية مفهومية. إنه ذو خاصية أرشيفية لتنوع التصورات، وفي الوقت نفسه شخصية والكتابات عنه، ولأنه محمول بأكثر من رهان تاريخي وغائي ومعرفي وأثري بالنسبة لفيلسوفنا بالذات. فـ«موسى» يكتسب مكانة كبيرة بين كتب «فرويد» وقارئ كتابه يتلمس في أسلوبه تفكيكية جليلة.

عندما يتحدث عن «موسى» وما يعنيه اسمه، وما حقيقة وجوده تاريخيا (انتماؤه إلى عصر موغل في القدم) وتداخل التاريخي والخرافي في حقيقة انتمائه. ووجوده المفترض في القرن الرابع عشر قبل الميلاد...

و«فرويد» دريدي في مؤلفه، عندما يكثف براهينه وأمثلته في صياغة أفكاره حول شخصيته المفهومية. وموقف الآخرين منه. كما أن دريدا فرويدي محض في مقاربة ما يعنيه بالأرشيف في قدم مفهومه وتعددية دلالاته، خصوصا وأن كتابه يحمل عنوانا توضيحيا كما يلاحظ وهو (انطباع فرويدي) عدا عن الأثر اليهودي في عمل كل منهما، وحتى في أصلهما.

ـ انظر الترجمة العربية لـ(موسى والتوحيد) ـ جورج طرابيشي ـ دار الطليعة ـ بيروت ـ ط3 1979. الفصل الأول ـ ص (7ـ19..).

خلفه **التوقيع الفرويدي**[1]، على أرشيفه الخاص على مفهوم الأرشيف والأرشفة، هذا يعني كذلك، بالعكس، وبالارتداد على التاريخ الخطي، وليس فقط على تاريخ تصور الأرشيف، ليس فقط على التاريخ الخطي عامة، وليس فقط على تاريخ تصور الأرشيف، لكن ربما على تاريخ تشكل **مفهوم عموما**.

لنقل في اللحظة هذه: التوقيع الفرويدي، من أجل ألا نقرر ما يتعلق بسيغموند فرويد، الاسم العلم، من جهة، ومن جهة أخرى، ابتكار التحليل النفسي: مشروع المعرفة، والممارسة والتأسيس، الجماعة، الأسرة والتوطين، الإبداع، «منزل» أو «متحف» في الحالة الراهنة للأرشفة، رهان مشكلتنا يتموقع دائما بين الاثنين!.

وبما أنني أعلنت عن شأني، ووعدت بالبوح به، لأختتم بطريقة أكثر تنظيما، أتجرأ في أن أطلب منكم السماح باستغلال الوقت والحرية بجولات طويلة استهلالية.

---

(1) ثمة ما يستدعي التعليق والشرح على أكثر من صعيد ـ وهذا ما سيتضح معنا لاحقا ـ بخصوص مفهوم التوقيع الفرويدي، حيث يوجد تعالق وتشابك بين العلاقة والتوقيع بين الـ Signe (وتعني هذه إشارة وإمارة أيضا) والـ Signature أي التوقيع، التوقيع ذو سمة كتابية أثرية ختانية (كما سنرى فيما بعد). فرويد تتحول الكتابة عنده إلى وشم جسدي ختاني، ختانية تعرف بالجسد المميز (الموسوي)، ودريدا يراهن هنا على مفهوم التوقيع كعلامة لكتابة Gramma. والغرامية ذات خاصية حسية وأرشفية في آن. المغازلية القولية بادية بقوة هنا إذا ـ

حاشية [1]

بموجب الاتفاق المثبت، **الحاشية** تتضايف مع الاستشهاد، الاستشهاد قبل البدء، يعني إبداء الملاحظة، تاركا إياها بعض الكلمات ذات صدى، حيث معناها أو شكلها يجب أن يسيطر على المشهد.

بعبارة أخرى تقوم الحاشية على رسملة غير منجزة. يعني التراكم مسبقا رأسمال وإعداد القيمة المثلى للأرشيف. تسعى الحاشية مسبقا لتخزين وأرشفة معجم يجب أن يسن القانون، **ويعطي الأمر**، وهو يقتصر على تعيين المشكلة، أي الموضوع، الأمر هنا يتعلق بوظيفة مؤسسة، ومحافظة في الوقت نفسه للحاشية عنف سلطة (Gewalt) تطرح وتحافظ على الحقوق في الوقت نفسه دفعة واحدة. حسب قول «بنجامين» في (Zut Kitir der Gewalt). الأمر هنا يتعلق بدءا، والحاشية بعنف الأرشيف

---

(1) كلمة حاشية **Exergue** هي أكثر من إملاء فراغ، إنها توضيح لمفاهيم، وإعلاء من شأن المنشود عبر عملية الكتابة. إنها تعني (حاشية) وفي الآن عينه (كتابة على إيقونة) والإيقونة هي صورة، لكنها في حقيقتها مادية: آثارية. فكان الحاشية تلقي بظلالها على كل ما عداها، وفي الوقت نفسه تشكل ضرورة معرفية تاريخية. فهي ليست مجرد إمضاءة على بياض، بقدر ما تمنح الأثر المكتوب مصداقية معرفية. ودريدا يذهب بالحاشية إلى حيث يتجلى الأرشيف بكل دلالاته وضوحا وقيمة. وما يزيد في أهمية الحاشية وضرورتها، هو أنها بانوجادها تعطي المبدأ القضائي كامل هيبته.
الأرشيف عار إلا إذا كانت الحاشية حاضرة، حينها بوسع الأرشيف أن يتجلى بليغا بقوة.

نفسه، **مثل الأرشيف، مثل العنف الأرشيفي.**

إذا هذا هو الشكل الأول لأرشيف ما، لأن كل أرشيف، ونحن نستخلص منه بعض نتائجه، هو في الوقت نفسه **يؤسس ويحافظ**. ثوري وتقليدي، أرشيف الاقتصاد الأسمى: بهذا المعنى المزدوج، يحرص ويحافظ، ويدخر ولكن بطريقة غير طبيعية. هذا يعني أنه يسن القانون nomos أو يعمل على احترام القانون.

أوردناه وقد قيل بأنه أسمائي. له قوة القانون، كقانون حرمة البيت (oîkos)، للمنزل كمكان، كمسكن، كعائلة، سلالة أو مؤسسة[1]. أصبح بيت فرويد متحفا ضروريا يأوي كل القوى الاقتصادية.

استشهادان يتمارسان على شكل حاشية كوظيفة اقتصادية مؤرشفة، عند الإحالة لاقتصاد، إحالة مبسطة وملحة، إذ إنهما سيحصلان هذه الوظيفة كنتيجة أو كموضوع.

والحالة هذه إن هذين الاستشهادين يخصان ويربطان ربما سرا، فيما بينهما مكانين للتسجيل: **الطباعة والختان**[2].

---

(1) لماذا ينوع دريدا في مفاهيمه التي تعقب ذكر الأرشيف، أو التي تحضر مع الأرشيف؟ ربما لأن الأرشيف يشع بدلالاته الزمكانية. لأنه محمول بقوة القانون. وهنا تكمن عراقته التاريخية، وذو صبغة توطينية محروسة حيث المكان معلوم باسم وبمحتوياته. لأنه يمزج اللغة، الكلام بالأثر، بما يجب الرهان عليه (الأرخية)، وثمة ارتباط به، حيث تأتي العائلة، السلالة، المؤسسة لتضفي كل من جهتها، وحسب الوظيفة المعنية بها، طابعها الدلالي على الأرشيف نفسه.

فالأرشيف كتابة مدعمة بالقانون، وهو في هذا التحديد يجدد اسمه ويؤكد حضوره!

(2) ما الذي يربط الطباعة بالختان، أو بالعكس؟ ماذا يوجد بين **L'imprimerie** أي الطباعة والـ **La Circoncision** أي الختان؟ إن نفي العلاقة / الرابطة بينهما يعني إلغاء لكل قيمة معرفية لعمل دريدا، لمفهوم وجدوى الأرشيف. في كتابه (موسى والتوحيد) يتخذ

— 1 —

إن أول حاشية قد تكون أكثر طباعية.. الأرشيف يظهر فيها أكثر توافقا بمفهومه. لأننا هنا نحيله إلى الخارج إلى قاعدة **خارجية** وبالعكس، كعلامة الاقتران في الختان، وذات علامة خاصة، وفي **نفس** الجسد المسمى بالخاص. لكن أين يبدأ الخارج؟

هذه المسألة هي مسألة الأرشيف. بلا شك لا مسألة أخرى سواها عند افتتاح الفصل السادس من كتاب (**قلق في الحضارة**) الصادر سنة 1929 ـ 1930) يتظاهر فرويد قلقا، ألا يلزم نفسه بنفقات غير مجدية؟ ألم يكن على وشك تحريك آلة ثقيلة للأرشفة (طباعة، طبعة، حبر، ورق) لتسجيل شيء، لا يستحق ذلك حقيقة؟! إن ما يتهيأ في الدخول إلى المطبعة، ألا يكون مبتذلا، بحيث أننا نجده في كل مكان؟

المعجم الفرويدي[1] يركز إذا، وبلا شك على تقنيات معينة «الطابعة» في الأرشفة (Eindruk, Druck, drücken) إنما فقط من أجل حساب اقتصادي مبتذل. فرويد يبيح لنا أيضا «الطباعة»:

الختان كعلامة قرابية وانتمائية وتمايزية ليبرز موسى موسوما بما هو يهودي. وفي الآن عينه معلوما بعلامة إلهية، قربانية ولو رمزيا ـ عبر الختان، فكأن الختان كتابة على جسد لا تمحى، الجسد هو اللغة في إطلاقيتها، حتى قبل تدوينها، فيكون الختان أرشيفا لجسد صار ممهورا ببنيان ثقافي وديني وأثني في آن.

ودريدا يوجه المفهوم لصالح ما هو ثقافي فيه. إن الأرشيف الذي ينشغل بمفهومه معزز بتاريخ خاص يعنيه وبتصور فرويدي يخدم رؤيته النصية والمعتقدية. الطباعة هي انطباع وفي الآن نفسه طبع. ولكنها قبل كل شيء أثر يشار إليه، ليجري التحفظ عليه والاحتفاظ به. وهي مرهونة بتاريخ معلوم، بمبدأ قضائي من خلال الأرشيف بالذات.

(1) عبارة المعجم الفرويدي تفصح عن غناها الدلالي الخاص، وهي في الوقت نفسه تؤكد المعجم الدريدي الذي يجمع بين الأثر والذاكرة واللغة الفاعلة في تكوين النص المنشود!

(Empfindung)، والشعور الذي يبيح هذا الاستثمار والمبالغ فيه والمجاني في الواقع، ضمن أرشيف ربما غير مجد:

«في أي عمل لم ينتابني شعور بشدة إلا هذه المرة، الشعور في تقديم شيء ما معروف عموما (allgemein bekanntes) شيء كاستهلاك الورق والحبر (papier und Tinte)، وثم تحريك عمل الطابع والحبر وعامل المطبعة:

(setzerarbeit und Druckersch waze aufbietten)

ولسرد أشياء قيلت فيها.

(um eigentlichs elbstueuerständliche Dinge zu erzahlen). (*)

لذلك فإن كثيرا من الحبر والورق من أجل لا شيء، وكل مجلد طباعي باختصار، عبارة عن قاعدة مادية غير منتظمة من أجل «سرد» (erzahlen) في نهاية المطاف، قصص يعرفها كل الناس، لكن حركة هذه البلاغة تؤدي إلى مكان ما، إن فرويدا يستخلص منها نتيجة ما، ضمن منطق ارتدادي لمستقبل سابق: **يجب عليه ابتكار** اقتراح أصلي كي يخدم هذا الاستثمار. بعبارة أخرى، كان عليه أن يكتشف شيئا ما جديدا في التحليل النفسي: أي تغيرا وانفصاما في داخل مؤسسة النظرية الخاصة[1]

(*) قلق في الحضارة تر: كونير وآخرين ـ تحت إشراف ج لا بلانس.
سيغموند فرويد ـ الأعمال الكاملة ـ 18 ـ باريس ـ بوف 1994 ـ ص302 ـ 303
كحال كل الترجمات التي يجب أن نذكرها، قد يحصل معنا هنا وهناك أن نغيرها قليلا، بموجب ضرورات مختلفة، حيث البعض منها يؤكد منطق دراستنا للإشارة إلى الأصل.

(1) لا يقتصر الحديث هنا على فرويد، ولا على ما يسمى بمؤسسته النظرية الخاصة، بقدر ما يعنيه هو (أي دريدا)، إن هذا الإطراء الدريدي لسلفه، والذي يترافق مع مجموعة أمثلة، وسياقات استعارية واستشهادات من كتبه، والتقريب بين ما كان عليه في زمنه، وما هو

يجب عليه ليس فقط أن يعلن نبأ إنما يجب أرشفته: أي وضعه تحت الطبع إذا **صح القول**.

لأجل هذا لن أترك الفرصة تفوت إذا كان هناك بالإمكان التعرف على غريزة جنسية عدوانية أصلية ومستقلة (einesbesnderen, selbtandigen Agessionstrebes) وهذا يعني تغيرا في مذهب التحليل النفسي للدوافع الجنسية(*)، إن بلاغة ومنطق هذه الفقرة، مخادعان حتى درجة الدوخة. مخادعان بحيث أنهما يؤثران على السذاجة المكشوفة، وأيضا ضمن ما سيقرأ كإخراج في عملية الأرشفة، يبدو أن فرويدا بداية يقوم دونما نتيجة قليلا، مثل تلك التي أقر بها منكم هنا: في الواقع لا جديد لدي أقوله. لكن كيف تسمحون لأنفسكم بالمضي مع هذه القصص القديمة المعنى؟ لماذا تضيعون وقتكم؟ كيف تؤرشفون كل ذلك؟ لماذا تستهلكون كل هذا الورق والحبر والطباعة؟ تشغلون كل هذه الفسحة وكل العمل، وكل هذه المعدات الطباعية؟ كل هذه الأقاصيص أليست متوافرة في كل مكان؟

إذا كانت هذه القدرة المجانية غير خالية من الانحراف، فإنها تبدو

عليه، جعله في حاله حضور، لمنحه شفافية ومصداقية في ضوء المعطيات التفكيكية، هو في الآن عينه، يتماشى مع ما ينوي تثبيته. مأسسة ما جاء به فرويد، حيث الحديث يجري عن (موسى هنا) وأرشفة ما يعتبره ابتكارا (علامة التمايز الختانية) كمفهوم قيمي يزكى، وقربان إلهي يعلي من شأن صاحبه، هي مأسسة أو توجيه ما يعتبره اقتراحا نظريا من لدنه، وما يطرحه للنقاش ليكون تأسيسا، جديدا، فيشكل نظرية خاصة في مجال الأرشفة، لها كل الفخامة القضائية والهالة القانونية وتمايز المكان المحروس، فيعترف بها بالتالي، وثمئذ يكون دريدا فرويد الراهن المزكى بما جاء به والمحاط بكل قيمة تمايزية. الابن هنا يصير أبا فيما يسميه إذا.

(*) المعطيات ذاتها.

ذاتيا عبارة عن نفقة غير مجدية، كالتوهم على شكل قضية بلاغية «rhetorical question»[1].

بعدئذ يوصي فرويد في الواقع بان هذه الأرشفة قد لا تكون بلا جدوى بضياع كامل في الفرضية، حيث ربما يظهر ما يفعل بها سيعلم بأنها ستظهر فرضيته التي لا تكون فرضية بالنسبة إلي، وفيه خاضعة للنقاش. لكن إنما أطروحة لا تقاوم، لمعرفة إمكانية انحراف جذري، تماما كدافع غريزي شيطاني يخص الموت، والعداء أو التهديم: أي بالنتيجة دافع غريزي مفقود. إن تتمة الفصل ستذكر كل ما قدم منذ عشر سنوات، هذا الدافع الغريزي المدمر في الاقتصاد، أو بالأحرى في اللااقتصاد الفيزيائي منذ كتابه (**ما فوق مبدأ اللذة**: 1920)[2]، في الجزء الملعون لهذه المتابعة

---

(1) في حالة دريدا، وعبر الكم الهائل من أسئلته وأمثلته ومسار علاقاته وهو في وضع المحدث، بينما الذين يصغون إليه هم متلقون، ثمة نزوع حكائي من نوع عال، كون الجاري فكريا، إنها استعارية سفرية، في مسرد ما نوى عليه وهو تعزيز مفهومه المغاير عن الأرشفة ولها. مثلما فرويد في تأكيده لحقيقة الدوافع واللاشعور وحقيقة موسى. ولذلك فإن ما يجري هنا صورة مأخوذة عما هو قيمي، حيث الأرشيف يرتكز إلى قاعدة غائية، رغم كل دنيويته الظاهرة.

(2) رغم صعوبة هذا الكتاب إلا أنه في جوهره لا يبتعد عن كتاب (موسى). باعتباره يؤرشف لحقيقة أخرى غير محسوسة مباشرة. فـ (موسى) صير شخصية بعلاقات فارقة من خلال ركام تاريخي ــ نفسي، وهنا تكون العودة إلى التاريخ ولكن لمقاربة محركات النفس وما يكون جوهر الإنسان مذ وجد. فرويد يتحدث عن مبدأ اللذة وكيف يعمل في خدمة غرائز الموت ــ كما يبدو ــ إنه يقوم بمراقبة المثيرات التي تفد من العالم الخارجي، تلك التي تعتبر خطرا على كل من نوعي الغرائز (غرائز الموت وغرائز الحياة)، وخصوصا مراقبة أية زيادة في الاستثارة من الداخل، لأنها تؤدي إلى زيادة مهمة الحياة عسرا وصعوبة) ــ اــ انظر الترجمة العربية ــ تر: د. اسحق رمزي ــ دار المعارف ــ مصر ط2 ــ 1966 ــ ص(106).

غير المجدية، يستخلص فرويد هنا نتائج من وجهة نظره عن الثقافة، وعن قلقه تماما، وهو يستسلم لنوع من هذيان السيرة الذاتية، والنظري والمؤسساتي، أثناء هذا التخليص يركز قبل كل شيء على المقاومات، التي يثيرها دافع الموت، في كل مكان، في الخارج مثلما في الداخل[1] إذا استطعنا القول، أيضا في حلقات التحليل النفسية، كما في سريرته.

«أتذكر دفاعي الخاص (meiner eigenen Abwehr) ضد فكرة الدافع الغريزي التدميري، عندما تتوضح الفكرة للمرة الأولى في الأدب التحليلنفسي، وكم من الوقت كان يلزمني لأتأثر به»(*).

فيما مضى، كعابر سبيل، تكونت لديه: كان تدوينهما في البداية منذ أن تغلب على هذه المقاومة، لم يكن باستطاعته التفكير خلاف ذلك (ich ninht mehr anders denken kann) في رأي سيغموند فرويد، لم يعد الدافع الغريزي التدميري فرضية قابلة للنقاش، لكن حتى لو كان هذا التنظير، لا يتخذ أبدا صيغة أطروحة مقتضبة، وحتى لو لم يطرح أبدا، فإنه اسم آخر لـAnaké، عبارة عن الضرورة العصية على القهر.

كما لو أن فرويد لم يعد بوسعه أن يقاوم من الآن وصاعدا الشذوذ المتعذر تبسيطه، والمتأصل في هذا الدافع الغريزي يسمى به هنا تارة: غريزة الموت،

دريدا عبر فرويد بدوره يقايض الذين لم يفهموا الأرشيف، أو أساؤوا فهمه، وشوهوا التاريخ من وجهة نظره.

(1) ثمة انبهار جلي بـ(الأب) بأكثر من معنى هنا، بطريقته في عرض فكرته، في تشريح النفس.

وهذا ما نتلمسه في الذي يلوح أبا لأبناء.. بتصورهم في عرضه لطريقته بخصوص تصوره للأرشيف، وما يجب أن يكونه.

(*) المصدر السابق نفسه ص (306).

وتارة أخرى: الدافع العدواني، وتارة ثالثة: دافع التهديم، كما لو أن هذه الكلمات الثلاث كانت في هذه الحالة مترادفة. ثمئذ فإن هذا الدافع ذا الأسماء الثلاثة صامت (Stumm) إنه يؤسس، لكن حالما يعمل دائما في الصمت، لا يفسح المجال أبدا للأرشفة الخاصة به، إن أرشيفه الخاص، يتحطم به مسبقا، كما لو أن هنا في الحقيقة، الحافز نفسه لحركته الأكثر تمايزا، إنه يعمل على **تحطيم الأرشيف، بشرط محوه** إنما أيضا إزالة آثاره «الخاصة». التي لا تستطيع منذ ذلك الحين أن تكون الخاصة على نحو ملائم.

إنه يغيب أرشيفه، حتى قبل إنتاجه في مكان آخر، هذا الدافع الغريزي منذ ذلك الحين لا يبدو فقط فوضويا، وقضائيا (علينا ألا ننسى لأن الدافع الغريزي للموت أكثر تأصلا، ليس مبدعا لمبادئ اللذة أو الواقع). إن الدافع الغريزي للموت هو في البداية أرشفة فوضى[1]، يمكن قوله أرشفة حجرية غابرة archiviolithique، تهديم الأرشيف كان يحدث دائما عبر نزعة صامتة، ما عدا استثناء واحدا، لكن ما هذا الاستثناء في الحالة هذه؟ حتى عندما يتخذ صيغة رغبة داخلية. فإن الدافع الغريزي الفوضوي مازال يتملص من الإدراك بلا شك، ما عدا استثناء: مع قول

---

(1) لأن الموت هو في طبيعته لا يترك أي طبيعة على حالها، وهو من خلال فعله التدميري يدخل الفوضى في كل شيء. ولكنه في ذات الوقت محدث نعمة، إن جاز التعبير، كونه محرضا للبحث عن الحياة من خلفه، مباغتته، أو التحايل عليه بقصد إقصائه، أو إحالته إلى اللامفكر فيه كشأن كل الفلسفات التي رمت إلى التفكير في الحياة وكيفية توسيع حقلها، أفقها من خلال الموت نفسه.

ودريدا لا يستهدف من هذه الفكرة سوى الإمعان في المتبقي، فيما يجب التشبث به. العزاء هنا في الأرشيف، فلكي نحميه من عوادي الزمن، من موت نحن واجدوه بمعان شتى، علينا حمايته، ففيه حضور لنا. إن الأب هنا متحول في الابن، والابن بدوره قائم بمقام الأب، غير أن سلسلة الآباء تنحو منحى توراتيا في قول الحقيقة واحتكارها، حيث دريدا ينسبها إلى نفسه. إذ لا يغدو الأرشيف هنا سوى سفره الذي يطالب بالمصادقة عليه.

فرويد، إنه يتلون، يتزين، أو يظهر (gefárbt ist) بطابع إيروسي.

هذا الانطباع المتلون الإيروسي العضوي، يفصل قناعا للبشرة مباشرة، بمعنى آخر إن الدافع الغريزي الأرشيفي الآثاري لا يكون أبدا كامنا في أي كان، ولا حتى فيه. ولا حتى في تأثيراته. إنه لا يترك أي صرح، لا يوصي بأي وثيقة تلك التي تخصه. ولا يرث إلا شبهه الايروسي، واسمه المستعار في الفن التشكيلي، وأوثانه الجنسية، وأقنعته الإغوائية: إنها انطباعات جميلة. هذه الانطباعات ربما هي الأصل ذاته لما نسميه بغموض تام جمال الجميل. كذواكر الموت[1].

لكن ينبغي التركيز على هذه القوة الأرشفية الآثارية التي لا تترك أثرا خاصا بها وراءها بما أن الدافع الغريزي للموت هو أيضا بموجب الكلمات الأكثر فاعلية لفرويد نفسه، هو دافع عدواني وتهديمي (Destruktion)، فإنه لا يدفع فقط إلى النسيان، أو إلغاء الذاكرة، مثل **الذاكرة** أو **سوابقها**، إنه يأمر أيضا بالمحو الجذري، أي اجتثاث ما لا يقتصر أبدا على الذاكرة أو سوابقها L'anamnésie ou mném، في حالة الأرشيف، والإيداع، والإعداد الوثائقي، أو الصرحي مثل الاستتكار hupómnéma الملحق أو المثل الصغائري التقني، المساعد أو الذاكرة المساعدة، لأن الأرشيف، إذا كانت هذه الكلمة أو هذا الشكل يستقر على بعض العبارات، لا يكون أبدا بمثابة الذاكرة ولا فقدانها في تجربتهما العفوية، الحية والداخلية.

---

(1) ذواكر الموت: Les mémoires de la mort هي موت الذواكر. إنها عدم آخر. وهذه الصيغة البلاغية الندبية هي دعوة مغايرة إلى الحياة، فهي عدمية مضادة، مثمرة، ولكن بنوع من الإلحاح قبل فوات الحياة التي يريدها عبر فهمه للأرشيف.

بالعكس تماما يتم الأرشيف بدلا من العجز البدئي والبنيوي للذاكرة. إنجاز الأرشيف دون مكان للإيداع، دون تقانة التكرار، دون ظاهرية ما، لا أرشيف دون خارج.

لا ننسى أبدا هذا التمييز الإغريقي بين الـ mnéme والـ anàmnésis من جهة، وبين الـ hupómnéma من جهة أخرى.

لنشر ونحن نمر بمفارقة حاسمة قطعية حيث لا مجال للعودة إليها لكنها تشترط بلا شك. كل هذا الشأن: إذا كان لا يوجد أرشيف بلا إيداع في مكان خارجي ما يؤمن إمكانية التذكير، والتكرار، وإعادة الصياغة، أو إعادة الطبع. إذا **لنتذكر** أيضا، بأن التكرار نفسه، ومنطق التكرار وحتى الالتزام بالتكرار، يبقى برأي فرويد غير قابل للانفصال عن الدافع الغريزي للموت[1]. إذا للتهديم، في النتيجة: ما يسمح مباشرة ما يشترط في الأرشفة،

---

(1) بخصوص دلالات مفردات عديدة وربما كثيرة هنا، كالموت والحياة والذاكرة والاستذكار والتكرار يستحيل فهم أو معرفة ما يعنيه دريدا، ولو بوضوح نسبي دون الرجوع إلى كتابة الآنف الذكر أي (ما فوق مبدأ اللذة).

فهي مفردات موضحة فيه، خصوصا ما يسميه بمنطق التكرار. **La Logique de la répétition** فهو فرويدي موضح في كتابه ذاك. ويخص إجبار التكرار الذي (يكون نتيجة ما هو مكبوت في اللاشعور).

إنه (يسترجع من خبرات الماضي ما لا يمكن أن يتضمن أية لذة، وما لا يمكن البتة حتى في الماضي السحيق، أن يكون قد أدى إلى أي إشباع حتى للدوافع الغريزية التي أخفاها الكبت منذ ذلك الحين. ص43).

دريدا مأخوذا ـ بالمعنى السيكوثقافي ـ وفي سياق فرويدي، يعزز مفهومه للأرشيف. لكن هذه المرة من خلال مقولات تخص ماضي الأرشيف والأرشفة، وما يعرضنا للنسيان، وكيف يمكننا مقاومته، وما الذي يعرضنا لما يسيء إلى صميم الفعل التاريخي. لهذا يدعو إلى ذاكرة مقاومة، ذاكرة آثارية معلومة بسمات تجلو حقيقة الأرشيف الذي أسيء فهمه واستعماله. إذ يفكك ما يقوم به، ليقدم ما يعتبره الأرشيف الممكن الأخذ به كحقيقة جلية.

سوف لن نجد أبدا شيئا آخر إلا ما يهيأ للتهديم، وفي الواقع ويهدد بالتهديم، مدخلا النسيان **مسبقا** والأرشفة الآثارية إلى صميم الصرح. في (الصميم نفسه). الأرشيف يعمل دائما ضد ذاته **مسبقا**.

الدافع الغريزي للموت يسعى هكذا إلى تحطيم الأرشيف الاستذكاري، ما عداه يسعى إلى إخفائه، تربيته، رسمه، طبعه، تمثيله في حقيقته المجسدة في الفن التشكيلي.

اقتصاد آخر في طريقه إلى العمل. التداخل بين الدافع الغريزي للموت ومبدأ اللذة بين الثاناتوس والإيروس. إنما أيضا بين الدافع الغريزي للموت وهذا التناقض الظاهري الثنائي للمبادئ. الآثاريات، على سبيل المثال مبدأ اللذة ومبدأ الواقع. الدافع الغريزي للموت ليس مبدءا، حتى أنه يهدد كل أصل وكل مبدأ أولي مسبق، قضائي، وكل رغبة بالأرشيف، هذا ما أسميه لاحقا **سوء الأرشيف**.

وربما ذلك هو المشهد، في داخل وخارج كل إخراج في ذات الوقت، فرويد لا يستطيع تبرير النفقة اللامجدية ظاهريا للورق، للجدة للطباعة، للطباعي، بمعنى آخر، الاستثمار المثالي للأرشيف، إلا للإنباء عن جديد مكتشف وذلك يولد كثيرا من الممانعة، في البداية في ذاته، وبدقة لأنها ذات نزعة صامتة في حرق الأرشيف، والدفع إلى فقد الذاكرة. ومعترضة هكذا على المبدأ الاقتصادي للأرشيف. وساعية إلى تخريب الأرشيف بوصفه تراكما ورأسملة للذاكرة على دعامة وفي مكان خارجي.

مما يمكن أن تتألف هذه الدعامة عموما؟ وبماذا خارجيا؟

ماذا تعني كلمة «الخارجي»؟ الختان على سبيل المثال هل هو علامة خارجية؟

يبدو دائما ممكنا، مع ذلك أن نوازن الاقتصاد الموازي لهذه القوة الإلغائية، المستمدة بدافع غريزة الموت الشيطاني. إنه ظاهر على الأقل. فرويد يمنح لهذا الانتقال مثالا مؤثرا، لتاريخ القلق (1929 ـ 1930)، مثل هذا المثال معبر في مغزاه التاريخي والسياسي. لا نحب، كما يشير فرويد، بأن يذكرونا بالوجود اليقيني، لشر يبدو أنه يحتج على الطيبة المطلقة لله. لكن فيما إذا كان الشيطان هذا ـ اسم علم آخر بالنسبة للدافع الغريزي المكون من أسماء ثلاثة ــ يبدو عندئذ، بنظر المسيحيين، بالنسبة للعلم المسيحي.. Christian Science (بالإنكليزية في النص)، متناقض مع الله، هو ذاك من يمكنه تبرئة الله[1]: الشر إزاء الشر، الشر الشيطاني، وجود الشيطان قد يخدم العفو (Entschuldigung)، إزاء الله، لأنه خارج عنه، وهو ملاك عاص ومنشق، ومتمرد عليه، كل شيء مثل ـ وها هي الميزة السجالية للتماثل ـ اليهودي، وهو الذي يستطيع اللعب بدور المماثل لتخفيف الآلام، أو التخفيف من الحمولة الاقتصادية (die selbe ókonomisch entlastende Rolle)، التي يشير إليها العالم المثالي الآري[2]. بمعنى آخر، التحطيم الجذري ما زال

---

(1) ثمة إيغال في المعرفة على أكثر من صعيد: تاريخي ــ نفسي ــ ديني ــ غائي ــ نقدي... الخ. ليس الشيطان سوى الفاعل المعرفي الآخر الذي يحرض على معرفة حقة. إنه لا يكون النقيض الحقيقي كما يقال للإله. إنما ضرورة كونية وإنسانية ومعرفية. فليكن السلب المطلق. هذا يعني مقابلته بالإيجاب المطلق. وهذا لا يمكن وجوده إلا فيما تعودناه بصيغة ما. إن معرفتنا لله لا تنفصل عن معرفتنا المثلى للشيطان. وجوهر المعرفة في تناميها، يكمن في تقدير الأهمية الفائقة للخطأ، لما يعتبر شرا لفهم حقيقة ما. ثمة نقد جلي للوعي الديني في سوق الحقيقة.

(2) ربما كان دريدا هنا يعني نفسه، أو يسعى إلى نقد كثيرين ممن يخاطبهم أو يتلو عليهم نصه باعتباره يهوديا في الأصل، لنزع فكرة خاطئة تخص اليهودي في ذاكرة المسيحي، ومن خلال منطق التكرار (إجبار التكرار)، وما لحق اليهودي بأكثر من معنى في هذا السياق إذ حمل بتصورات وخطايا لم يكن هو مجسدها أو فاعلها.

بوسعه الاستثمار ثانية في منطق آخر، في مورد اقتصادي لا ينضب، لأرشيف يرسمل كل شيء. وضمنا ما يهدمه أو يعارض السلطة جذريا: الشر المحض ما زال بإمكانه أن يخدم التحطيم اللانهائي، بوسعه **الاستثمار** في علم الإلهيات، الشيطان وبوسعه أيضا أن يذيب. وذلك هو قدر اليهودي في المثالية الآرية. (أعلاه، فرويد كان قد طرح نقدا مهما للنزعة القومياتية، ومعاداة السامية، حيث يجب علينا أن نتأمل اليوم. لكن يستحيل الالتزام به هنا)[*].

فيما يخص المقدمات ودائما في إطار أرشفة الأرشيف الفرويدي يجب أيضا لفت النظر إلى تاريخ ما[1]. التفكير بهذا النموذج التقاني، للآلة ـ الأداة المخصصة بنظر فرويد، **لتمثيل** الذاكرة خارجا مثل أرشفة **داخلية**، مثلا المجموعة السحرية (der wunder blok) هذا النموذج تم أيضا وصفه وتحليله، وتقديمه، بعد كتاب **ما فوق مبدأ اللذة**. هذا الكتاب، يعترف فيه فرويد بأن يجعل منه محامي الشيطان. الوصف يتضمن إشارات عدة، هو مشترط من خلال الوصف الداخلي، في (المجموعة السحرية)، في كتاب (ما وراء علم النفس)[2] لبنية الجهاز التنفسي، عند

وبذلك يمهد الطريق ليقول ما يعتبره الحقيقة في قوله.

(*) المصدر نفسه ـ ص (300) وما يليها.

(1) إنه التاريخ الذي لم يفصح عنه، أو لم متوسط يسم للسبب الآنف الذكر، حيث ثمة أكثر من عائق تاريخي، ثقافي، ديني، أحال دون وصول الحقيقة المطلوبة. فرويد هنا يقدم بوصفه معالجا لما هو نفسي خطأ، لكنه محول بصياغة دريدية. إذ يتمثله، كون الأرشيف الفرويدي يتداخل مع أرشيفه الذي يزمع في تدشينه أو يسعى إلى تقديمه باعتباره متضمن الحقيقة التي غيبت كثيرا وشوهت!.

(2) يتضمن هذا الكتاب خمس مقالات 1ـ الدوافع الغريزية ومصائر الدوافع الغريزية. 2ـ الكبت. 3ـ اللاشعور ـ 4ـ تكملة ميتاسيكولوجية لنظرية الحلم. 5ـ الحداد والسويداء.
وقد أوردنا هذه العناوين للإفصاح عن الأسلوب المعتمد من قبل فرويد، وهو حفري، كما نوهنا إلى ذلك، حيث يناظره أسلوب دريدا التفكيكي. عدا عن أن ما يعتمده الاثنان من إجرائية بحثية هو واحد نهاية: فرويد ينقب في اللامنظور والعميق الغور والمحاط بغموض

ترجمة ومساءلة هذا الكتاب الغريب Notiz über wunderblock، منذ زمن بعيد، كنت حاولت قدر الإمكان تحليل العلاقات بين نموذج الأرشفة والتقانة، وبين الزمن والموت. كنت سعيت إلى تحديد ما يحمل هذا النص على التفكير. مثل التقنيات الميتافيزيقية، حيث فيها يبقى هذا النص متماسكا، هذا ما يبدو. دون التذكير بالأسئلة هنا، التي طرحتها حينذاك (خصوصا فيما يتعلق بـ«المفهوم الفرويدي»(*)) أسمح لنفسي فقط أن أذكر ملاحظة كهذه. إنها بإمكانها، سلفا رسم الأفق حيث أرغب أن أتقدم نحوه قليلا وبطريقة أخرى هذا المساء.

إذا لتمثيل حركية الجهاز النفسي، في نموذج تقاني خارجي، ما كان فرويد يتصرف بالموارد التي تؤمنها لنا اليوم آلات الأرشفة حيث بالكاد كان يمكن الحكم بها في الربع الأول من هذا القرن. هل هذه الآلات الجديدة، تغير شيئا ما. هل تحدد أساسا خطاب فرويد؟ في عام 1966. أشرت إلى ذلك (عذرا على هذا الاستشهاد الطويل، سوف لن أسمح لنفسي بأي استشهاد آخر): (م: التشديد بخط ناعم).

كبير، ليصل بعدئذ إلى نتائج محددة، مخالفا غيره من الباحثين في ميدانه. كما جـاء في مقدمة كتابه (كثيرا ما سمعنا بعضهم يفصح عن المطلب التالي: إن العلم لا يبني إلا على أساس مفاهيم أساسية واضحة ودقيقة التحديد. وفي الواقع، لا يبدأ أي علم، حتى ولو كان من أكثر العلوم دقة، بمثل هذه التعاريف). وهكذا فيما يخص حديثه عن الدافع الغريزي. وما يلي ذلك... انظر الترجمة العربية... جورج طرابيشي.. دار الطليعة ـ بيروت ـ ط1 ـ 1979 ـ ص(8 ـ 9) وما بعد، وكذلك دريدا وهو يسعى إلى الإحاطة بمفهوم محدد، من وجهة نظره ـ طبعا ـ باعتباره محاطا بالكثير من الغموض أو الزيف أو حالات الوهم، كما في حديثه عن الأرخية مثلا... إن الدافع الغريزي يستجر خلفه كوكبة من المفاهيم النفسية تخص النشاط الإنساني للمطلع على أعمال فرويد، والأرخية عند دريدا تنفتح على مفاهيم متداخلة، وهي تنتمي إليها في العمق زمكانيا وقانونيا وفلسفيا وثقافيا..

(*) فرويد: مشهد الكتابة ـ في الكتابة والاختلاف ـ باريس ـ سوي 1967 ـ ص 294.

«تتعزل المجموعة السحرية عن المسؤولية النفسية، بوصفها تمثيلا مهملا بذاته، ما زالت توضح قضاء الأوالية الديكارتية: بوضوح ظاهر، ما يخص خارجية الذاكرة المساعدة[1].

كل ما فكر فيه فرويد في وحدة الحياة والموت، كان قد حرضه لطرح أسئلة أخرى هنا، فرويد لا يسائل ببساطة القانون الملحق «المميد: من المادة، الضروري للعفوية المزعومة للذاكرة. هذه العفوية كانت مع ذاتها، والمحظورة برقابة، أوكبت ليس بإمكانهما التصرف بذاكرة عفوية كاملا. بدلا من أن تكون الآلة بمثابة غياب محض للعفوية، فإن مماثلتها بالجهاز النفسي ووجودها وضرورتها يشهدان على النهاية الملحقة بعفوية الذاكرة.

الآلة - هي إذا بمثابة تمثيل - هي الموت والنهاية في الجهاز النفسي. فرويد لا يسائل أكثر حول إمكانية هذه الآلة التي بدأت على الأقل لتشبه الذاكرة في العالم، **وتشبهها** دائما أكثر ودائما أفضل. أفضل بكثير من هذه المجموعة السحرية ذلك هو بدون شك أكثر تعقيدا من اللوحة الأردوازية أو الورقة، أقل بدائية من الطرس: إنما مقارنة بآلات أرشفية أخرى، إنها بمثابة لعبة طفل[2]».

---

(1) يلتقي فرويد وديكارت ودريدا هنا، كون الأول يلح على أهمية الباطني وتأثيره الهائل لاشعوريا في المرء، والثاني، وهو ينطلق من أنوية الفرد في صفتها الذاتية من الكوجيتو، وما يحركها، كما في (مقالة في الطريقة) كتابه الذائع الصيت، ودريدا الذي يحيل مادته البحثية إلى ما لا يسهل الكشف عنه بسهولة، إلى.المغيب الذي تم تجاهله، لهذا كان انحيازه الجلي إلى المغايرة في نصوصه المختلفة..

(2) Un jouet dénfant ما الذي يستشف من لعبة الطفل هذه؟ تتخذ هذه اللغة طابعا بحثيا مجردا من الأفكار المسبقة أو التصورات القسرية، أو القناعات التي تضيق على مفهوم ما بحثيا.

وهذا ينسحب على **المستقبل**، إذا كان موجودا، لا شيء على الأقل: في مستقبل التحليلنفسي في علاقته بمستقبل العلم، العلم - التقني، العلم ليس بوسعه أن يتألف، في حركته ذاتها من تحولات في تقنيات الأرشفة، والطباعة، والتسجيل، والصياغة، والتقعيد، والترقيم، وترجمة العلامات.

مذ ذاك، تكون القضايا الآنفة الذكر **ذات نظامين**:

1- البعض يلتزم **بالعرض النظري** للتحلينفسي، إنه كان يعني موضوعه، وخصوصا: الرهانات المستثمرة في النماذج الممثلة للجهاز النفسي، كجهاز إدراك، وطباعة، وتسجيل، وتوزيع موضعي، لمراكز القيد والترقيم والكبت، والانتقال والتكثيف. هكذا نعين أمكنة، كثيرا: من أمكنة القراءة والتفسير، بطبيعة الحال، ولهذا فإن حقل القضايا لا يغدو حقلا خاصا. لا يترك لنفسه مجالا للتحديد بصورة مستقلة عن التحفظات المصاغة في بحث: **فرويد ومشهد الكتابة**[1]، فيما يخص افتراضات القولبة

أن يلعب الطفل هو أن يكتشف ليسمي اكتشافه ثمنذ، وهو فرح بما آل إليه عمله. هنا تكون التسمية لاحقة، حيث تؤازره عيناه وقواه الأخرى في معاينة الموضوع..

دريدا يحل مادة اللعب ضمن منهجه ليزعزع كل يقينية ممكنة، كما يظن. هو يلعب ليركب على طريقته، وينفتح على كل الجهات، كما في حديثه عن مفهوم اللعب عند أفلاطون، وكما في تحديد (المعنى الأفضل للعب هو اللعب المراقب والمحتوى داخل الموانع الوقائية للأخلاق والسياسة).

— انظر الترجمة العربية لـ (صيدلية أفلاطون) لكاظم جهاد — دار الجنوب — تونس 1998— ص117.

وكذلك (بنية دلالة اللعب في خطاب العلوم الإنسانية) في كتابه L'écriture et la difference - seuil - paris - P(409 - 428).

(1) يتوقف دريدا مطولا في: فرويد ومشهد الكتابة Freud et la scène de l'écriture عند نص فرويد (ملاحظة حول المجموعة السحرية Note sur le bloc magique).

(تحفظات سوف لن أعود إليها هنا) يمكن على الأقل أن نتساءل فيما إذا - أساسا وخلافا للتفاصيل الظاهرية، وبنية الجهاز النفسي، هذا النظام، المتعلق بالاستذكار، الذي يصفه فرويد إزاء «المجموعة السحرية» يقاوم أولا، أمام تطور العلم للأرشيف، الجهاز النفسي، قد تمثل بصورة أفضل، أو يعين بطريقة أخرى كثيرا من الجاهزيات التقانية للأرشفة والصياغة والفرضيات المسبقة للذاكرة النشطة، وأشباهها، التي قد تكون وستكون مستقبلا أكثر صفاء وتعقيدا واقتدارا من «المجموعة السحرية» (العولميات الدقيقة، والألكترنة، والكومبترة... الخ)؟

هاتان الفرضيتان يمكن اختزالهما الواحدة إزاء الأخرى. لأنه إذا كانت التقلبات المتواصلة تصيب البنى ذاتها للجهاز النفسي، على سبيل المثال في معماريتها الحيزية، وفي اقتصاد السرعة، وفي معالجتها للمكان والتزمين[1]. وربما لم يعد الأمر يتعلق بتطور مستمر في التمثل، في القيمة **الممثلة** للنموذج، لكن بمنطق مغاير كليا.

2- قضايا أخرى ملحقة. لكن وفق نظام آخر. إنها لم تعد تتعلق فقط

حيث يتحدث فرويد عن بنية النفس وأثر الحلم فيها وعلاقة الحلم بالكتابة. الحلم في حقيقته صيغة كتابية، لا يفسر بسهولة. إنه أثر، وله ما يسنده. هكذا هو الأرشيف عند دريدا: (الكتابة العامة على الحلم، تبز الكتابة الصواتية وتعيد الكلام إلى مكانه. مثلما في الهيروغليفيات أو لغز الصور، والصوت المخادع..).

انظر Voir: Derrida: L'écriture et la différence - P 323 الكتابة عند دريدا ذات صفة تكوينية كما يلاحظ.

(1) كما يلاحظ هنا، فإن دريدا يحذو حذو فرويد في استنطاق حقيقة ما يكونه الأرشيف، وليس ما هو كائن ومألوف، إن بنى الجهاز النفسي في معماريتها ليست سوى الأرشيف بتعدد مفاهيمه ودلالاته. ثمة تداخل بين المفهومين.

دريدا تاريخيا ومن موقعه النقدي تفكيكيا، وفرويد سيكولوجيا ومن موقعه النقدي تحليلنفسيا! ثمة دين للتاريخ، تاريخ المفهوم، الذي يعنى به من قبلهما!.

بالموضوع، بالتحليلنفسي، في عرضه، لكن إنما في أرشفة التحليلنفسي ذاته، عن «حياته». إذا أردنا، فعن «حيثياته»، وعملياته الخاصة والعامة، السرية والمعلنة، مؤقتا ونهائيا، إنها تعني أرشفة عمله المؤسسي والعيادي، للمشهد القضائي، الأكاديمي والعلمي للمشاكل الكبرى للنشر أو للترجمة المعروفة[1].

كلمة «وقائع» قد تشير في الوقت ذاته إلى محتوى الواجب أرشفته في الأرشيف ذاته، ما يكن أرشفته وأرشفة الأرشيف: أي المطبوع وطابعة الطبع. أن يتعلق الأمر بالحياة الخاصة أو العامة لفرويد، لشركائه أو ورثته، وأحيانا أيضا لمرضاه، للتبدلات الشخصية أو العلمية، للتماثلات، للمداولات، للفرادات السياسية المؤسسية. للممارسات وقواعدها (على سبيل المثال تلك المسماة بـ«الواقع التحليلي»، مكان ومدة الجلسات، الرابطة الحرة، الشفهية في الشخص، وبحضور المحلل دون تسجيل تقني)، بماذا حدد مجموع هذا الحقل من خلال وضع من تقنيات التواصل والأرشفة؟ يمكن أن نحلم أو نعتمد على الهزات الجيوتقنية المنطقية، التي تجعل مظهر الأرشيف التحليلنفسي مجهول النتائج، منذ قرن، فيما إذا فرويد ومعاصروه ومعاونوه وتلامذته قد تصرفوا ببطاقات الاعتماد الهاتفي Mci أو Att، بالمسجلات الصوتية النقالة والحواسب والطابعات والفاكس والتلفاز والمحاضرات المرسلة وبشكل خاص البريد الإلكتروني (E-mail).

لأختصر بكلمة من هذه القرائن، بدلا من كتاب آلاف الرسائل باليد. رغبت أن أكرس كل محاضرتي لهذا الخيال العلمي المستعاد، رغبت أن أتخيل معكم

---

(1) دريدا لا يتحدث عن فرويد، إنما يستحضره ليحيله إلى لغة خاصة بـه. ولعله في زخمه المفرداتي المتعلق بما قام به فرويد مما في (فرويد ومشهد الكتابة) يفصح عن هذا التوجه والتأثر بما قام به وأنجزه وصمم عليه فرويد في مختلف أطاريحه عن بنى الجهاز التنفسي!

مشهد هذا الأرشيف المختلف بعد الهزة الأرضية وبعد فوات الأوان «after shocks» لأننا موجودون ضمنا. بما أنني لا أستطيع بذلك، ولا آخذ في الحسبان التنظيم الغابر لمؤتمراتنا، وللزمن والحيز اللذين نتصرف بهما[1].

أعير انتباها لهذه الملاحظة المبدئية: هذا الزلزال الأرشفي لم يحدد نتائجه على التسجيل الثانوي، وعلى الطباعة، وعلى حفظ تاريخ التحليلنفسي. لقد حول هذا التاريخ في العمق ومن الداخل الأكثر بدائية في إنتاجه، وفي حوادثه ذاتها. طريقة أخرى للقول بأن الأرشيف، بوصفه طباعة، كتابة، ترميما أو تقنية الاستذكار بشكل عام، ليس فقط مكانا للتخزين والحفظ، لمحتوى يمكن أرشفته ماضيا. وجد على كل حال، مثلما بدونه، مثلما يمكن الاعتقاد بأنه كان وسيكون، كلا، البنية التقنية للأرشيف المؤرشف تحدد أيضا ببنية المحتوى الأرشفي في انبثاقها، وفي علاقتها بالمستقبل. الأرشفة تنتج بقدر ما تسجل الحدث. وأيضا تجربتنا السياسية الوسائطية المسماة بالمعلوماتية[2].

هذا يعني أنه في الماضي لم يكن التحليلنفسي (وليس الكثير من

---

(1) ما ابتكر وما أدخل في إطار الفتوح المعلوماتية وما في سياقها يساهم في دعم توجهات دريدا، إلى درجة فرض ما يريد الوصول إليه منذ البداية. ثمة غواية قولية في صياغة المعاني، وهي خاصية التفكيكية بجلاء.

(2) ما علينا هنا إلا أن نتوقف عند وسائل الاتصال، والأدوار المتعددة التي تقوم بها راهنا أكثر من أي وقت مضى. لكن ما ينبغي المساءلة حوله هو ما علاقة الأرشفة بالمعلوماتية عبر وسائطها؟

إن ما كانت عليه الأرشفة من قيمة ومكانة معلوماتيتين، تقابلها المعلوماتية بوسائطها اليوم. ثمة توسيع للفكرة في ثالوثيتها: أرشيفيا: حيث الأرشيف تحيز مادي ومؤثر كان يشكل قوة مشعة لها حضورها القانوني، وفرويديا حيث البنى النفسية تغذي وتوجه كل الأنشطة الإنسانية، فلها إذا فاعليتها ورهبتها بالمقابل وضمنا الأثر الدريدي الذي يراهن على ديناميكية المعلوماتية وجدواها في إعادة النظر في المفاهيم التي بقيت صراطية.

الأشياء الأخرى) إلا ما كانته Email، على سبيل المثال، في المستقبل لن يكون أكثر مما استبقه فرويد وكثير من المحللين النفسيين، في حين أن Email بات ممكنا على سبيل المثال، يمكن إيراد قرائن أخرى مثل Email[1]، تقنية البريد، هذا المثال يستحق امتيازا بدون أدنى شك. بداية بسبب الدور الرئيسي والاستثنائي (استثنائي في تاريخ المشاريع العلمية) الذي لعبته المراسلة المكتوبة في مركز الأرشيف التحليلنفسي، لم تنته بعد، بعكس ذلك من اكتشافها ومعالجة المدونة الهائلة بالنسبة لجزء مستحدث، وبالنسبة لجزء آخر سري، وربما بالنسبة لجزء آخر محطم جذريا ونهائيا - على سبيل المثال، من قبل فرويد نفسه، من يعمل؟ ينبغي مساءلة الأسباب التاريخية واللاغرضية، التي ربطت مؤسسة كهذه بأبعادها النظرية والعملية بالاتصال البريدي وبشكل بريدي مماثل. بركائزه وبسرعته المتوسطة: إرساله مكتوبة كهذه باليد تتطلب أياما كثيرة، لتصل إلى مدينة أوروبية أخرى، ولا شيء مستقلا أبدا عن هذه المهلة. كل شيء أخضع للقياس[2]. لكن الأولوية أعطيت إلى قرينة Email لسبب أكثر أهمية وأكثر جلاء. لأن البريد الإلكتروني هو اليوم أكثر من الفاكس على وشك تحويل كل الفضاء العام والخاص للإنسانية، وبداية الحد بين الخاص والسري (الخاص والعام)، والعام والظاهري، إنها ليست فقط

---

(1) E-mail هو الأرشيف المعتمد راهنا، دريدا يسعى إلى تأكيد نفوذه وحتى خطورته. إذ بوسع E-mail أن يغير وجهات النظر المختلفة، وإشباع أي مفهوم بإضاءات شتى تشكل محصلتها تحريضا لما هو عقلي!.

Email صورة وصوت وكتابة في آن، وهو فاعل مؤثر معرفيا إنه ثورة كوبرينكية جديدة.. وهو رهانه في تعزيز ما يبتغيه!

(2) الزمكان، الأسماء، المسميات، القيمة، الفلسفات، حتى الميتافيزيقا غدت مستنطقة، الحكومة بسيطرة التقانة. دريدا يحذر كما يبدو، بضرورة تدارك ما ينبغي القيام به بغية التحكم في حركية التاريخ وعبر الأرشيف حين استيعابه بدقة!

تقنية بالمعنى الشائع والمحدد للكلمة: ووفق إيقاع غير مخطط بطريقة عفوية تقريبا. وهذه الإمكانية الأداتية للإنتاج، والطباعة، والتحويل وتحطيم الأرشيف قد لا ترافق بعملية التحويل القضائي والسياسي[1]، هذه العمليات تمس على الأقل حقوق الملكية، وحق النشر، وإعادة الصياغة، التحويلات الجارية، الاهتياجات الجذرية واللانهائية المنظورة ووفق المعيار الذي يجب علينا اتخاذ الإجراءات اليوم ما يتعلق بالأعمال الكلاسية التي تتواصل عبر شبكة الدراسات الفرويدية، حول المخطوطات الفرويدية والمراسلات التي نشرت ولم تنشر بعد، المطبوعة والمعادة طباعتها، وبالمسودات والمخطوطات، تلك التي يسهل أو يصعب تناولها، تصفية المعروفة على نطاق واسع في مكتبة الكونغرس La library of congress، هذه الأعمال الكلاسية والخارقة تبتعد عنا من كل اتجاه، وبطريقة متسارعة[2]. إنها تغوص في الماضي بمسافة مشابهة أكثر فأكثر، تفصلنا عن الحفريات الأثرية (هذا النشاط الغريب الذي يتحدث عنه الكاتب في Gradiva حيث التقتنا إليها قبل قليل) وعن الفقه التوراتي

---

(1) ثمة افصاح عما يجب القيام به بخصوص التحولات الطارئة على ما هو تقني وميدياني. فالأرشيف الذي يشهد على أرشيونه لاحقا على ما هو قضائي وقانوني فيه، باعتباره الأثر الناطق، ويكون تاريخه، زمنه المؤرخ له في مكان محدد. ومن هنا برز مفهوم الأركيولوجيا، وبرز النصب تاريخيا، يواجه الأرشيف المعاصر ولكن في تحولاته الجديدة: التقانية، حيث لم تدشن هذه القضائي لها والقانوني وما يؤرخ لها أو ما يشرع لها بغية التكيف الأفضل.

(2) الفرويدية باتت كونية في أكثر من منحى. والاهتمام بها على صعد مختلفة يعبر عن ذلك. حتى من لدن أكثر نقادها سلبية، إذ أن تجاهلها صيغة من صيغ الاعتراف بها. ومن هنا، ولهذا كان الاهتمام بكل ما قام به وأنجزه ودونه وسطره ونشره فرويد. والكتابات التي تتناوله، وتفصح عن جديدها المستمر تشير إلى هالة المكانة اللافتة بغض النظر عن المنحى القيمي وعن نسابته، وعما يورده دريدا نفسه هنا حول علاقته بفرويد.

وترجمات الكتاب المقدس للوثرورونزويك أو بوبر أو عن مؤسسة كتابات الاستذكار لأفلاطون أو لأرسطو من قبل ناسخي العصور الوسطى، طريقة أخرى للقول بأن ذلك لا ينزع شيئا من النبالة، ومن الضرورة المسلم بها، ومن الشرعية المتعذر ردها، لهذا الفقه الكلاسي الذي يكون فقها بكل معنى الكلمة، لكن ذلك لا يجب أن يغض بأبصارنا عن التقلبات اللامحدودة، للتقنية الأرشفية المتواصلة. ذلك يجب بشكل خاص بأن يذكر أن التقنيات الأرشفية المستحدثة لم تعد تحدد ولن تحدد اللحظة الوحيدة للتسجيل المحافظ، إنما المؤسسة ذاتها للحدث القابل للأرشفة[1]. هذه المؤسسة تشترط ليس فقط شكل أو بنية الطابعة إنما محتوى المطبوع للطباعة: أي ضغط الطباعة قبل الفصل بين المطبوع وما يطبع. هذه التقنية الأرشفية.

تقود ما كان في الماضي نفسه، كانت تؤسس وتشكل أيا كان استباق المستقبل. وبوصفها مراهنة. كان الأرشيف دائما رهانا، كأي رهان يتعلق بالمستقبل، أكثر فظاظة: لم نعد نرى بنفس الطريقة ما لم يعد يؤرشف بالطريقة نفسها.. المعنى الممكن أرشفته، يجعل نفسه مشاركا من خلال البنية الأرشفية، ويبدأ من الطابعة[2].

---

(1) إذا كان فرويد قد أنجز ما هو معروف وما يعرف باستمرار بخصوص الجهاز النفسي وكيف يعمل، فإن دريدا يطالب بعمل مواز، تكون الفرويدية بكل تعقيداتها التحليلنفسية ركيزة رئيسة فيه، ولكن من خلال أدوات عمل جديدة، وإجرائية بحثية تتلسب ما هو جديد كونيا وعلميا فالأرشيف تجاوز مفهومه السابق، أصبح عائقا أمام نفسه، وهو يتطلب تجاوزا لما كان عليه سابقا، وفي بنيان مؤسساتي فاعل.. التكوينية الأرشفية مفتوحة باستمرار إذا!

(2) العصر الحديث حديثنا بكل تنوعه العلمي والتقاني لولا الطابعة **L'imprimante** فالطابعة هي التي دشنت ما هو كوني فينا ومهدت لظهور كل ما من شأنه تقليص المسافات وتشكيل (القرية العالمية) أو برج بابل الجديد. هنا يغدو الأرشيف معلما حضاريا، وربما طوطما من خلال الحفاظ عليه. فالمشاعر والأحاسيس والأصوات وسواها باتت في حكم المدون

لندع هذه القضية المعلقة في هذه اللحظة. ولنلاحظ فقط. وهذا يندرج في حيز الأرشيف ذاته. تعيين التأريخ: هذه (**المجموعة السحرية**)، هذا النموذج **الخارجي**، المؤرشف إذا، للجهاز **النفسي** التسجيلي والتذكيري، لا يندرج فقط في المفاهيم التدشينية للتحليلنفسي، بدءا بالمخطط الإجمالي، وصولا إلى المقالات حول **ما وراء علم النفس**، مرورا بتفسير الأحلام، (traumdeutung)[1]، ولاسيما كل ما يتعلق على سبيل المثال، بالخط، بالرقابة، بالتسجيل (niederschrift) في النظامين ics وpcs، الآراء الثلاثة النموذجية الحركية، والاقتصادية حين تأخذ في الحسبان تعدد المواقع في الجهاز النفسي، الذي يتكامل أيضا، ضمن في النفس (La psukhé) ذاتها، وضرورة خارج ما، وبعض الحدود بين الداخل والخارج، وبهذا الخارج المألوف، أي أيضا بواسطة فرضية الركيزة، والسطح أو القضاء **الداخليين**، بدونهما لا يوجد لا إيداع ولا تسجيل أو طباعة، ولا قمع ولا رقابة ولا حظر، إنه يستقبل فكرة أرشيف نفسي متميزة عن **الاستذكار** المتميز عن **الذاكرة** وفقدان الذاكرة أي التأسيس **لترميم من الداخل**. نعني («تأسيس» (يمكن القول) تشييد «erection[2]») للإشارة، بدءا من العتبة الأصلية لهذا الترميم، إلى قطيعة

والمتنقل عبر القارات، وقد كانت الطابعة المؤثرة هنا والفاعلة تماما. كانت الأرشفة نفسها طابعة، ولكن الطابعة تغدو أرشفة خارقة في عملها.

(1) هذه القراءة التعاقبية للتأكيد على فاعلية التغير الفرويدي فكريا ومنهجيا وفعل الزمن. فالمخطط الإجمالي ظهر سنة 1895، وتفسير الأحلام سنة 1900 ومقالات ما وراء علم النفس تنوعت تواريخها بدورها ــ ويمكن معرفة ذلك بالرجوع إلى (معجم مصطلحات التحليل النفسي) لـ: جان لا بلانش وج.ب بونتاليس ــ ترجمة د. مصطفى حجازي ــ المؤسسة الجامعية ــ بيروت ط2 ــ 1987 ــ ص(29 ــ 31).

(2) تعني erection أيضا نعظا وانتصابا، وهذا يخص صميم المفردة الفرويدية (الليبيدو)، والتشييد يخص الترميم بدوره Proth'ese التي تعني أيضا بدل ــ وكل أرشفة هي فعل

بدئية تماما مع الطبيعة. نظرية التحليلنفسي، تصبح إذا نظرية الأرشيف. وليس فقط نظرية الذاكرة.

هذا لا يمنع الخطاب الفرويدي للبقاء مغايرا، حاولت إظهاره في مبحث **فرويد ومشهد الكتابة**، أي الدافع المعاكس والتقليدي المستمر لمواجهة المتيافيزيقا بالنتيجة القاسية لهذا الترميم، أي منطق الاستذكار إن هذا النموذج النادر «المجموعة السحرية» يتضمن أيضا ما ظهر تحت شكل الدافع الغريزي للهدم، معارضا لنفس الدافع الغريزي للحفظ، ما يمكن تسميته بدافع غريزة للأرشف، ما سميناه أيضا، مع الأخذ بالحسبان هذا التناقض الداخلي **بسوء الأرشيف**، بلا شك لا توجد رغبة في الأرشيف من غير الغاية الجذرية دون إمكانية النسيان التي لا تتحدد في الخطر خصوصا، وهذه أكثر خطورة هنا أو هناك، فيما يتعلق بهذا الحد البسيط الذي نسميه نهاية أو غاية، لا يوجد سوء الأرشيف دون تهديد بدافع الموت الغريزي والعدواني والتهديمي، والحال أن هذا التهديد هو لا - نهائي **in-Fini**[1]، إنه يحمل منطق الغاية والحدود البسيطة

ترميمي لأنها تستند إلى أثر داعم لها، ومادة تشرع لها، كما أنها فعل تشييدي إذ كل أرشفة تقوم على سابقتها، هل هذا يعني أن دريدا يرمم ما قام به فرويد ويشيد ما يبقيه حداثيا ومن خلاله؟.

(1) كل أرشيف هو مشروع ضد الموت ويتضمن الموت في آن. وفي هذه الحالة يتجلى الواقع الغريزي إجراء حياتيا (إيروسيا) وموتيا (ثاناتوسيا). وفعل التفكيك الدريدي يدخل في هذا الحيز القلق، إذ أن دريدا يرى فاعلية الدافع الغريزي والعدواني والتهديمي، كل ذلك بغية التقدم خطوة أكثر وعيا وتمكنا لتمديد الحياة ودفع الموت. وما كان يخفي فرويد هو فعل الموت في الدافع المذكور، الفعل الكامل فيه. كما في قراءاته لحضارات وثقافات وأديان مختلفة ولنصوص أدبية وأعمال فنية لمقاربة فعل الموت في الدافع.
انظر (طفولة الفن: تفسير علم الجمال الفرويدي) لـ: سارة كوفمان ـ تر: وجيه أسعد ـ منشورات وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ـ 1989 ـ مثلا ص (206) وما بعد.

العملية والاستطيقا المتعالية، ويمكن القول، والشروط الزمكانية للحفظ، لنقل بالأحرى بأنه (أي التهديد «المترجمان») يخدع. بخدعة كهذه يدشن البعد الأخلاقي السياسي مشكلة. يوجد سوء الأرشيف، حدا ومعاناة الذاكرة بين حدود وأخرى: إنه يلتزم باللانهائي، أركيولوجيا التوهم يلامس الشر المحض.

- 2 -

لنعط استشهادا ثانيا في الحاشية أقل طباعيا من الأول، لنقل إنه مازال يحافظ على إحالة ما إلى العلامة **الطباعية** وإلى تكرار، وحتى إلى **الطباعة النموذجية**، إنه معاود ومكرر، إنه يؤدي إلى التمايز الحرفي في الصورية، مازال يثبت التسجيل، يحتفي بطريقته في الواقع. هذا المعلم الفريد من نوعه، إنه أيضا وثيقة الأرشيف، بطريقة مكررة، يترك أثرا كأخدود جلدي، أي مزيدا من الجلد: وقدما أكثر حرفيا أو صوريا. التنضيد الورقي، والطباعة الفوقية السطحية لهذه العلامات الجلدية، تبدو أنها تتحدى التحليل، تكدس كثيرا من الأرشيفات الراسبة، حيث البعض منها مكتوبة على بشرة جسم خاص. وأخرى على قاعدة جسم «خارجي». تحت كل ورقة تنفتح ثغور جرح، الاستشفاف الإمكانية العميقة، لعمق آخر، موعود في الحفريات الأثرية.

ودريدا لا يبتعد عنه في هذا المنحى. فالـ in - Fini. تحمل في صيغتها المدونة البداية والنهاية ــ النهاية واللانهاية ــ وهذا ما يمارسه الدافع بالذات. والأرشيف هو في حقيقته محكوم بالقانون المذكور مرغما بـ in - Fini، لذلك يسعى إلى تأبيد ما هو حياتي، وقراءة الشيء ونقيضه في المفردة ذاتها، فالأرخية ماض وحاضر ومستقبل والفارماكون هي السم والدواء معا ــ وكذلك الانتشار dissémination وفيه فعل البذار أو النطفة Semence وهي في اليونانية Semen. إننا إذ نؤرشف فلكي نرجئ الموت، ولكننا نثبته في الوقت نفسه.

الأمر يتعلق بداية، من حيث المظهر، **بتسجيل خاص**، وهنا يكمن عنوان مشكلة أولى تتعلق بانتمائها إلى الأرشيف: أي أرشيف؟ هل أرشيف سيغموند فرويد؟ وهل أرشيف المؤسسة أو أرشيف العلم التحليلنفسي؟ أين يمكن اختراق الحد؟ ما هو هذا العلم الجديد، حيث أرشيفه المؤسس والنظري يجب أن يحتوي بحق على الوثائق الأكثر خصوصية، وأحيانا الأكثر سرية؟ كيف يمكن البدء بوثائق مؤسسه المفترض، رئيس البطاركة، الأب: فرويد؟ وحتى وثائق رئيس البطاركة والدسيغموند الذي هو جاكوب؟

ذلك يقودنا نحو مسألة لا تحسم أبدا هي معرفة ماذا يعني هنا عنوان «منزل فرويد»، متحف فرويد بمثابة «منزل فرويد»، الـ arkheîon، حيث نحن ضيوفه، نتحدث في وسطه، ومنذ وجوده ونحن نتكلم، وبه أتجرأ على القول بأننا نتكلم: تبعا لعنوانه.

إن أرشيف التدوين الخاص والفريد من نوعه الذي سأتحدث عنه ينتمي منذ عدة سنوات إلى الحقل العام، في الواقع يمكن مقاربته بعدة لغات، بدءا من أصله في اللغة العبرية. هذه الوثيقة العامة والمعروضة للتأويل من الآن وصاعدا، ترافق بشكل غير منفصل بأداة تفسيرية خارقة أو تأويلية.

الأمر يتعلق بكتابة على شكل إهداء. دونت بيد جاكوب، ابن، شلومو فرويد، ورئيس البطاركة، والأب الكبير للتحليلنفسي، ومخصصة لابنه: شلومو سيغموند فرويد، في الخامسة والثلاثين من عمره في فيينا، في 6 أيار 1891 (29 نيسان 5651)[1].

(1) يعتمد فرويد هنا على التاريخ التوراتي في تأريخ رسالته بعد الميلادي، وهو بذلك يفصح عن معتقد ديني عبراني يوجه سلوكه بخصوص هذه النقطة، وبصورة أكثر خصوصية لأن الرسالة تتعلق بالتوراة بالذات! وهذه الإحالة تنحو بنا منحى دينيا لا يعود يرتهن إلا لما يتجاوز علم النفس أو التحليلنفسي. وتغدو الصياغة الفرويدية مغلفة بما هو ديني وتوراتي،

أضحية كانت تتضمنها هذه الكتابة، ما يعطيه الأب لابنه، هو في ذلك الوقت الكتابة وقاعدتها. القاعدة تقريبا كانت التوراة نفسها (الكتاب العمدة)، توراة فيليبسون، كان قد درسها سيغموند في شبابه، والده قد أعادها إليه، بعد أن أهديت إليه سابقا، أعادها إليه كهدية، وبغلاف جلدي جديد[1]. ربطها من جديد. بمثابة سلوك عاطفي. حب أبوي، ليس أقل أهمية من نص melitzah، هذه الأجزاء التوراتية والطقسية أو الحاخامية، تؤلف إهداء طويلا، وتحمل بدورها فكر الأب. وذلك يتحدث في هذا الموضوع بجلد جديد: «new Skin»، حسب الترجمة الإنكليزية عن العبرية، وغطاء جديد من الجلد بموجب المترجمين. الفرنسيين عن الإنكليزية[2].

مثل البعض بينكم، أفترض، اكتشفت كنزا كهذا الأرشيف، أوضحته ترجمة جديدة وتفسير أصلي في الكتاب الجميل ليوسف حاييم

ويسيطر على أفكار فرويد. ودريدا رغم كل ما يعزز به موقفه بأنه دنيوي كسلفه. يظل سالكا طريقه، وهو يربط بين الكتابة والختان.

(1) ثمة أكثر من تورية في هذا التعبير، إذ أن التوراة وهي مهداة (بغلاف جلدي جديد avec une nouvel le relivre de cuir). تحيلنا إلى ما يتجاوز المعنى المباشر ـ فغلاف التوراة الجلدي، يذكرنا بالجلد اللحمي، وبالختان Circoncision، إن جنسانية العبارة تقف في صميم الأطروحة الفرويدية، عبر الجلد المعلوم والموسوم ـ وأن تكون التوراة هي الكتاب العمدة، كتاب الكتب Livre des Livres فهذا يعني توجيه الذاكرة والتاريخ من خلال المدونة التوراتية. والكتابة الدريدية هي ذاتها تقابل هذه العلامة ـ الوشم، وفرويد هو الأب الرمزي، بامتياز الذي صب كل ثقافته في كتابه الأخير في حياته ـ حتى الآن ـ موسى والتوحيد سنة 1839. ودريدا يرفع من شأن الأرشيف، إنه يوسمه ويعلمه استنادا إلى ما هو فرويدي، وكاحتفاء به.

(2) une nouvelle housse en peau مقابل new skin. حيث الترجمة تستمد مقوماتها من توجهات ثقافية وتاريخية وحتى مذهبية ومعتقدية... واللغة هنا لا تغدو حيادية إنما مشبعة بما هو عقائدي وإيديولوجي..

يوروشالمي، **فرويد موسيس، اليهودية النهائية واللانهائية** (بالإنكليزية)[*]
هذا الكتاب استحوذ على اهتمامي اكتشافها القريب العهد. قد حملني على التفكير، بالرغم من أنني لا أستطيع قول ذلك هنا، ورافق إعداد هذه المحاضرة، هذه المحاضرة إذا ستهدى بشكل طبيعي إذا يسمح لي بذلك إلى **يوسف حاييم يوروشالمي**[*] لسبب سيتضح لاحقا ربما، وأصر على إهدائه في الوقت نفسه إلى أبنائي، وحتى لذكرى والدي الذي كان يسمي هو أيضا كالحياة نفسها، حياييم[1].

هو ذاك الإهداء المؤرشف الذي كتبه الأب الكبير، أو رئيس بطاركة التحليلنفسي جاكوب فرويد، حول التوراة التي أهداها، إنما في الحقيقة أعادها، بجلد جديد، كما يقال بالفرنسية، لولده أي إلى الأب أو إلى

(*) منشورات جامعة يال 1991، بالنسبة للطبعة الفرنسية، موسى فرويد: اليهودية النهائية واللانهائية ترجمة جاكلين كارنود. دار نشر غاليمار 1993، سأذكر من الآن وصاعدا هذه الترجمة أحيانا بتغييرها للأسباب وفي الأطر المشار إليها أعلاه. ملاحظة 1، ص19.

(*) يوروشالمي الذي شارك في هذا المؤتمر، كان يفترض أن يكون حاضرا في هذه الجلسة، بما أنه كان يتعذب في ذلك اليوم، لهذا وجب عليه أن يتغيب، وقرئت مساهمته الخاصة من قبل شخص آخر في اليوم التالي.

(1) من السهل ملاحظة ومعاينة مدى تأثر دريدا بما هو يهودي، وهنا تتجلى مركزية من نوع مختلف هي مركزية يهودية، ولكنه يجعلها أرخية، ومن خلال التركيز على بنية وإيحاءات التوراة بالذات، وهنا نستحضر ما كتبه فرويد عن التوراة والمعلومات، التي (لا تقدر بثمن) وحقيقة اليهودي. في:

موسى والتوحيد ـ الترجمة العربية ـ ص (56)ـ ويبرز نصه الفلسفي ـ الأدبي مأخوذا بهوى ليفيناسي. وهذا ما يؤكده «هبرماس».. حيث (يظل متشبثا بشكل أدق بممارسة متبحرة في الكتاب المقدس) ـ انظر كتابه (القول الفلسفي للحداثة) ـ تر: د. فاطمة الجيوشي ـ وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ـ 1995 ص(261). ويمكن قراءة الأثر الليفيناسي في الفكر الدريدي من خلال بحث دريدا في الكتابة والاختلاف ـ النص الفرنسي وتحت عنوان العنف والميتافيزيقا: دراسة حول فكر إيما نويل ليفيناس:

violence et métaphysique: essai sur la pensée D'emanuel Levinas p (117 - 228).

بطريرك التحليلنفسي، يوروشالمي يذكرها، مثل حادث مفاجئ في نهاية كتابه تماما قبل حادث مفاجئ آخر لخيال مغامر جريء[1]، المونولوج الخارق هذا، حيث سأعود إليه مطولا. يرى في هذا لإهداء، مشهد «وقائع حاسمة»، يتحدث عن «النص القانوني الوحيد، لجاكوب فرويد الذي وصل إلينا»[*].

هذا لا يعني أي أرشيف، وأي لحظة في تاريخ الأرشيف، فيما بعد، وما وراء هذه الحاشية، سنرى كيف أن يورشالمي يقدم طابع الاكتشاف، بمنظوره الخاص، وطابع القراءة وتأسيس هذا الأرشيف «القاسي cruciale»، حيث سيكون هذا حارسه الأول، وقارئه الأول، وطبيبه الأول، وحتى قاضيه الشرعي في متن هذه الكتابة، سوف يجب علينا على الأقل الإشارة إلى الكلمات التي تتجه بلا شك نحو المؤسسة وتقليد القانون («المشرعين»، «Lew markers»)، ويعني نحو هذا البعد القضائي الذي بدونه لن يكون هناك أرشيف، إنما أيضا، وبصورة مباشرة، نحو منطق وعلم ودلالة الأرشيف، والذاكرة والمذكرة، والمحافظة، والكتابة التي تحافظ (Stor)، وتكدس وترسمل، وتخزن طبقات نهائية، وتراتبيات أرشفية تراكمية في ذات

---

(1) ثمة تقريظ جلي الأبعاد لعلاقة الأب بابنه، وللسلسلة الرحمية النسبية، إن جاز التعبير ــ حيث ينتقل الكتاب المقدس من يد لأخرى بنوع من العهد الذي يشهد على التماسك النسبي، وفي الآن عينه يدعم خاصية الأرشيف في منحاه الأثري ــ الوعدي، وباتجاه المستقبل، والحال أن الكتاب هذا لم يعد مجرد كتاب قراءة إنما عراب المعنى، والقانون الداخلي الذي يتمسك به دريدا. منحى الأرشيف يتجاوز هنا خاصيته النصية المحسوسة أو الدنيوية (الدهرية) وينوسم بصدق الوعد، رغم كل ما قيل عن فحوى أسفار التوراة.. وكان قراءة دريدا تشكل نقضا لكل قراءة مغايرة، وتمنح العهد القديم صفة البراءة الأصلية المفترضة!.

(*) المصدر نفسه ــ ص138.

الوقت، مطبوعة عموديا، ومغلفة بعضها في البعض الآخر[1].

القراءة في هذه الحالة، تعني وجوب العمل في التقنيات الجيولوجية أو الأثرية على أساسات أو على سطوح القشرة الأرضية، على الجلود القديمة والجديدة، أو على لحاء الذاكرة المفرطة والاستذكار، الكتب أو القضيب[2]، والجملة الأولى تذكر على الأقل من حيث الشكل[*]، ختان أب

---

(1) الفرويدية ثاوية وراء مثل هاتيك الصياغات ولكنها محورة، وذلك من خلال ما لا يمكن القبض عليه، حيث تحل الجيولوجيا بجلاء محل السيكولوجيا، الجغرافيا محل النفس، وهذا ما نلاحظه عند «شتراوس» حيث الجيولوجيا إحدى عشيقاته الثلاث، وكذلك فوكو ومفهوم السلاسل الخاص بالخطاب، ودولوز بالنسبة للثنيات في كل ما يقال ويعنى به.
والتاريخ في الحالة هذه يتراصص بمراحله وتعقيباته ومفاهيمه. والأركيولوجيا بعدتها الحداثية بوسعها ـ من منظور دريدا ـ أن تكون عرافة دلفي.
لنقرأ ما كتبه «دولوز» عن «فوكو» وما يجمع بينهما بنيويا (الأبنية strates تشكيلات تأريخية، وضعيات أو اختباريات. «إنها طبقات رسوبية» مترسبة، تتكون من أشياء وكلمات، من رؤية وكلام، من مرئي وملفوظ، من رحاب ورؤية وحقول قراءة، مضامين وتعبيرات... الخ)
انظر كتابه: المعرفة والسلطة «مدخل لقراءة فوكو» ـ ترجمة: سالم يفوت ـ المركز الثقافي العربي ـ بيروت ـ ط1 ـ 1987 ـ ص(55). وبهذا المعنى يضيع دريدا كل أثر محدد، وهو ينطلق من اثر ما، بحثا عن أثر آخر مرصود ومقصود، ومن خلال ما يثيره من تساؤلات وتوضيحات تخص الأرشيف، الذي يشترك في منطلقاته وجذره بالأثري، بالأركيولوجيا...

(2) تضييع القراءة هنا ـ وبشكل معنى به ـ في زحمة المواقع، بغية التأكيد على انعدام الأصل أو البداية المحددة لحقيقة ما، وحتى الجيولوجيا في احتوائها لما هو آثاري تكون مقلوبة، والفضاء بكل تيهيته، وانعدام البوصلة في أرجائه يعبران عن نزعة بعثرة كل فكرة مسبقة، ولكن الحلول في المتاهة مجهولة الحدود فكيف يسعفنا في إيجاد ما يمكن الركون إليه؟

(*) اعتقدت أنه كان يجب إضافة هذا التوضيح الوحيد «على الأقل شكليا» بعد حديث ودي مسع يوروشالمي الذي، بعد بضعة أشهر في نيويورك، كاد أن ينتهي بصورة خاصة، وبحق إلى قراءة تدعي التعرف هنا على مرجعية حرفية أو مباشرة، لحدث يخص الختان. اعتقدت مثله وينهي إلى ذلك وبوضوح أكثر اليوم بفضله. لديه هنا عنوان يضاف إلى معرفتي بما

التحليلنفسي بعد ذاك اليوم السابع في سنوات حياته.

(in the seven the in the days of the yeare of your life)

أورد الترجمة الفرنسية (عن الترجمة الإنكليزية، يقترحها يوروشالمي مشيرا إليها ببعض الكلمات، ثم سأترك هذه الحاشية للعودة إليها لاحقا: «أيها العزيز شالولومو، في السنة السابعة من أيام (IN the seventh in the days of the years) في حياتك، روح الرب بدأت تتحرك فيك وتخاطبك (within you)، اذهب واقرأ في كتابي الذي ألفته، ولتتفتح عليك منابع الذكاء والمعرفة والحكمة، إنه الكتاب العمدة. حيث اغترف منه الحكماء والمنقبون (excavated)، وحيث تعلم منا المشروعون (Lawmakers) المعرفة والحقوق. امتلكت رؤية القادر على كل شيء، سمعت واعتزمت العمل، ونقشت على أجنحة الروح. مذ ذاك، بقي الكتاب هذا محفوظا (Stored) كحطام الألواح في أرشيف (ark)، معي (with me) بالنسبة لليوم الذي تبلغ سنواتك خمسة وثلاثين عاما، أعدت تغطيته بغلاف من الجلد (a cover of new skin)، وسميته المنبجس jaillis، أغني له، وأهديته لك ليكون لك كذاكرة واستذكار، amemorial and a reminder الواحد إثر الآخر معا، الواحد ضمن الآخر، وربما نحصل عند التوفير على هاتين الكلمتين، كل قانون الأرشيف: أمراض الذاكرة والاستذكار، mneme anamnesis hupomnema.

أنه يبدو مع ذلك أقل حسما بأن هذا الإهداء في مليتزاه، يجمع كل علاماته، ويجعل كل الأشكال هذه تتباين (بدءا من شكل الجلد الجديد) نحو لحظة تحالف، في الواقع تحالف متجدد، من المخادع أن نقرأ فيها عيد ميلاد ختان من قبل أب لولده، من شكل نفسه للتحالف في لحظة نموذجية، وفق نموذج لكتابة شاقة بطابعها الافتتاحي والمكرر في الوقت نفسه والمتجدد بانتظام؟

ولمودة والدك الذي يحبك حبا أبديا[1].

يعقوب بن شالومو فرويد (sic).

في فيينــا العاصمــة، 29 نيســان 651 ـ 6 أيــار ـ 891 (*). الأرشــيف الأبـوي، الكتــاب الــذي ســيبقى هكــذا محفوظــا «مــع رئيــس بطاركــة التحليلنفسي، ويبقى طـي تـابوت العهد (Deutérono mex-1-S) في هـذه المرة باللاتينية، (ark بالإنكليزية) تعني الصنـدوق» الصنـدوق المصنـوع مـن خشب الأكاسيا، الذي يحوي الألواح الحجرية، لكن الـarca تعنـي الخزانـة، النعش، حجرة السجن، أو الصهريج، المستودع(*). [2]

---

(1) هذه الآصرة التوراتية ــ إن جاز التعبير ــ لا تخفي توجهها التاريخي، ونزعة الحنين إلــى الأصول. الأبوية في منحاها البيداغوجي والتوراتي والسلفي أو الارتجاعي تتجذر في النص الدريدي على الأقل رهانا يتعزز بنوع من الحميا القولية، والتفريط في فك أو قراءة الخطاب المرسل من الأب إلى فرويد. والصياغة الانشادية في الرسالة كونها ترتكـــز إلــى منطــق توراتي، واقترانية لأنها تريد توجيه ذهن المخاطب «فرويد»، وشحنه بالحضور المستمر لما هو توراتي، أو تأبيد أخلاقية التوراة عبر الالتزام بمناخاتها،
الأب الذي لا يخفي مدى إعجابه بالتوراة وكذلك اهتمامه بها، لا يخفي حالته النفسـية مـن الداخل وهو يخاطب ابنه عبر الورق، وقائمة المفردات الموجودة، الكتاب العمدة، اغـــتراف الحكماء، رؤية القادر على كل شيء، أجنحة الروح، حطام الألواح، المنجس، الخ.. تحيلنــا إلى ما يتجاوز الرسالة العادية والشخصية، وهي في بنائها العرفي تعنى بالمستقبل.. وهــذا ما تجلى في لغة دريدا هنا.

(*) المصدر نفسه ــ ص 139 ــ 140.

(*) الأرشيف يبقى مع (with)، والأب، الأب في التحليلنفسي يبقى معي قال يهوه لموسى: ابق معي، أرسل إلى خيمهم (5: 30 ــ 31)، بعد قليل استذكار تابوت العهد بمثل نظــام ختــان قلفة القلب في القضيب. الفصل العاشر (16).

(2) تعليق دريدا هو أكثر من تمتمة قولية أكثر من شرح، إنه انبهار بالمشهد الخطابي المشــار إليه، بتاريخ أحاله إلى لغة حداثية لا تخفي بنيتها الآثارية، وتلهفها لما هو آت عبر تــابوت

العهد.. ثمة إشارة إلى ما هو يهودي العلامة، ينتظر لاحقا، دريدا مأخوذ بجاذبيته وفحـــواه في العمق.

مدخل Préambule [1]

دون أدنى شك أنا مدين لكم في بداية هذا المدخل، أول تفسير حول **الطباعة هذه**، ضمن عنواني يخشى من بقائها ملغزة. لقد أدركنا بعد فوات الأوان: عندما طلبت إليزابيت رودنسكو، على الهاتف عنوانا مؤقتا، بدقة حول طباعة برنامج المحاضرة، منذ سنة تقريبا خططت وطبعت على حاسوبي الكلمة الأولى، التي سأتلوها عليكم هنا، الإجابة التي ارتجلتها حينئذ أملت كلمة الطباعة.

وكان ذلك حينئذ بعد هنيهة كما لو أن معان ثلاثة وهي تتزاحم في الطباعة الفوقية بدءا من ذاكرة عميقة. ما هي المعاني الثلاثة؟. تحدثت إليكم دون انتظار حاسوبي، من هاتفي النقال، حيث بدأت الكتابة عليه، لأنها لم تكن فقط الدعامة الأولى لتحمل كل هذه الكلمات، في صباح باكر في كاليفورنيا، منذ عدة أسابيع، طرحت على نفسي سؤالا ما، بين عدة

(1) المداخل تهم دريدا لأنها تمنحه الفرصة لقول كلمته أو إيصالها بصورة أدق إلى سامعه أو قارئه، وخصوصا عناوينه التي يعتني بها، كما في هذا الكتاب، والمدخل هنا يشير إلى حالة ما القبلية، هي حالة إلغاء لكل أصل مفترض، وتهيئة لما يلي ذلك، حيث تبدأ الصيرورة من هذه النقطة بعكس الـ(Post) «بعد»، ولعل دريدا لا يخفي حركية الكلمة في خطابه القائم على التفكيكي الذي يحمل في داخله عدته ومقترحه وعبر الطباعة بالذات، كأن الطباعة هي حالة فصل بين ما كان في طور أو حالة الشفاهة أو الكلام والكتابة الشاقة، وما هو في طور وهيئة الكتابة حيث الكلمة الصواتية تغدو قرطاسية.

أسئلة، دون التمكن من الإجابة عليه، وأنا أقرأ فرويد من جهة، ويوروشالمي من جهة أخرى، وأنا أدق على البيانو برداءة على حاسوبي. تساءلت ما هي اللحظة **الخاصة** للأرشيف، وإن وجدت، فهي لحظة الأرشفة stricto Sensu والتي سأرجع إليها، وهي ليست الذاكرة الحيوية أو التلقائية (mnémé ou anamnésis) إنما هي تجربة استذكارية[1] وترميمية للقاعدة التقانية. ألم تكن هذه اللحظة حيث (بعد هذه أو تلك على الشاشة، تبقى الأحرف معلقة ومتموجة على سطح عنصر سائل)[2] كنت أضغط على مفتاح ما، لتسجيل و«إنقاذ Sauver» نص سليم بطريقة متواصلة ومستمرة، ولوضع علامات في خانة الإمحاء، بغية تأمين خلاص كهذا[3]، والنقاء، والتخزين، والتكديس، حيث هما مؤتلفان ومختلفان في آن، ولجعل جملة كهذه جاهزة للطبع، ولإعادة الطبع والصياغة.

فرويد لم يكن مطلعا على الحاسوب، هل هذا يعني أنه يغير شيئا ما؟ وأين يمكن موضعة لحظة القمع والكبت في هذه النماذج الجديدة للتسجيل والطباعة؟

هذا التكثيف للمعاني الثلاثة لكلمة «الطباعة» لم يكن بوسعها أن تنطبع فجأة بعد لحظة دون استمرار ظاهريا، إلا انطلاقا من عمل طويل

---

(1) التجربة الاستذكارية والترميمية تتناول الأثر من الداخل، حيث تعيد للمادة قيمة تأريخية بعد أن تعرضت لتلف معين. والترميم من البلى، إنه شاهد على ما كان يعاش ذات يوم، على وضع حيوي ثم صار أثرا، وفقدت ملامحه، وما على الأثر المتبقي والذاكرة إلا أن يسعفانا في منح الرميم حقيقة ما كانه. ودريدا ما زال يستنير بورشالميا يختط المتنافي تبصرة حتمية ما كان ولكن توراتيا ومن خلال الأرخية.

(2) ثمة تصور هلامي يختط له ليكون واضح الملامح لاحقا لمنح الأثر قيمة تكاملية تماما.

(3) يتخذ الخلاص صيغة دينية، إنه أبعد من أن يكون جوابا على سؤال، وإنما رد فعل على حالة معاشة ومبتغاة، وتحول نحو تكوين يتجدد توراتيا!.

ومتقطع في نص فرويد، وفي بعض كتاباته، إنما أيضا في مواضيعه، وفي صوره، وفي مخططاته المفهومية المألوفة لديه، حتى درجة الهاجس، دون أن تكون سرية على الأقل، جديدة ومستقبلية بالنسبة لي: هكذا الكتابة، الأثر، التدوين، على ركيزة خارجية، وعلى متن يعني خاصا، مثلما، وليس بالنسبة لي أي مثال، هذا الأرشيف النادر الموغل في القدم، الذي يسمى **الختان**، والذي لن يعود يفارقكم، لم يبق منه ما هو مفاجئ وخارجي، **الخارج** عن **متكم** الخاص[1].

ما هي إذا هذه **المعاني الثلاثة** التي في لحظة واحدة تأتي هكذا لتتكشف وتنطبع، أي تتجدد في كلمة الطباعة، وفي تركيب «طباعة فرويدية»؟ خصوصا، وفي طبيعة الحال، في تعالقها بهذه الصياغة الممكنة إعادة صياغتها، والقابلة للتكرار، والحفظ في الذاكرة في هذا الحفظ الموضوعي الذي يسمى بالأرشيف[2].

---

(1) علاقة القرطاس بالكتابة تماثل علاقة الختان بالجسد. والختان بمغزاه حيث يشكل أرشيفا يتخذ أكثر من دلالة يتداخل فيها الأثري مع التاريخي مع المعتقدي والرمزي، وكذلك فإن الكتابة ذات طابع معتقدي طقوسي عدا عن كلمة المتن Corps هي ذاتها جسم. وفي هذه الحالة تحل كل كلمة محل الأخرى. إن المتن هو الجسم أو الجسد، والجسم أو الجسم هو المتن. وكل منهما يشكل صلبا للآخر. من هنا كانت الإحالة التاريخية ومن ثم الرمزية ذات قيمة معرفة وطقسية!

(2) هذا الإلحاح على ربط الطباعة بما هو فرويدي لا يكون اعتباطيا. إنه في منحاه السيكولوجي والدلالي توكيد على أهمية الأرشيف الذي يحيل المادي إلى معنوي، ومن خلال مفهوم منطق التكرار، وفاعلية الحفظ الموضوعي، ولعله في إجرائه هذا يراهن على ما يتقدم به، ولكن في الحيز الفرويدي ــ التوراتي.

إنه يرتبط بالمتعالي بالأب الخارق القدرة، وفي الوقت نفسه يشدد على أهمية الوفاء بالوعد لما ألزم نفسه به. حيث الختان أكثر من أضحية رمزية، إنه دخول في علاقة قرابية، وإلزام أخلاقي، بضرورة تحمل المعاناة من خلال علامة التمايز، تجاوبا مع ما هو مصمم عليه. نفسيا فالجسد يغدو هنا ركيزة ختانية. والختان يغدو حالة طباعية، وهذه تشكل إبداعا، سندا

الطبعة الأولى قد تكون كتابية أو طباعية، أي الطباعة التدوينية (Niederschrift، فرويد في أمكنة مختلفة من عمله)، إنها تترك أثرا على السطح أو في صميم الركيزة. وبكل الطرق، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، هذا التصور - أو بالأحرى هذه الصورة الدعاماتية - تعبر عن الدعوى القضائية الأساسية، بصورة خاصة لمشكلتنا، مشكلة الجوهري. هل يمكن التفكير في الأرشيف دون دعامة، دون محتوى، دون مادة، دون مسند فني؟ إذا كان ذلك مستحيلا، ما هو التاريخ المسنود بالركائز؟ ما هو المستقبل المسنود بالركيزة في علاقته بتاريخ التحليلنفسي؟ منذ وضع المخطط حتى ما بعد تنفيذه... المجموعة السحرية، وفيما بعد تنفيذه، لا حد لهذه الإشكالية الطباعة، علما أن التدوين يترك أثرا حتى على الركيزة ذاتها، هذه الركيزة تصبح حينئذ مكانا للإيداع. «التدوين« أو «التسجيل«، يسميها غالبا. ما وراء علم النفس Nieder las sungoder niderschrift، يثبت تثبيتا أو تسجيلا) في لحظة تذكر ثلاثة أشياء على الأقل، على سبيل المثال.

في اللاشعور(*):

أ - الفرضية الموقعية لعدة أنظمة نفسية (اثنان أو ثلاثة). إذا هذا ما يسمح للتمييز بين ذاكرة وأرشيف. يفسر بأن ثمة حديثا، بشأن التحليلنفسي، خطأ جزئيا، عن «**علم نفس الأعماق**» أو «**علم النفس**

تأمينيا ذا قيمة، وصكا بضرورة مكافأة الملزم نفسه بالتبعية له... كما في حال دريدا باللذات هنا.

(*) في ما وراء علم النفس. الأعمال الكاملة ــ الفصل 18 ــ بوف ــ 1988. تر: ــ التونيان ــ وآخرين ــ ص213، 215 ــ 228 ــ 230.

السحيق»[1](Tiefenpsychologie)(*).

ب ـ هذه الموقعية لا علاقة لها في هذه اللحظة، حاضرا «مؤقتا(*)» (يشير إليها فرويد)، بوجهة نظر تشريحية حول التموضعات الدماغية عند الإشارة بحروف إيطالية «مؤقتا» (Vorlaufig) يريد فرويد بوضوح الاحتفاظ بما يمكن أن يعلمنا مستقبل العلم حول هذا الموضوع.

ج ـ أخيرا هذه الفرضيات ليست شيئا آخر، والأكثر من تمثلات حدسية (Veranchaulic hungen) توضيحات خطية، حسب الترجمة الإنكليزية، و«آراء في الفكر» حسب الترجمة الفرنسية الأولى، إنها «لا تستطيع الإشهار بداية بقيمة التوضيحات»(*).

هذه الإشكالية الخاصة بالطبع ستثبط همة ذلك الذي يبحث عن إعطاء الأولوية فيه للمدخل، لأنه يتشابك مع كل عمل لفرويد، والأمر يتعلق بالذاكرة الجماعية أو الفردية، بالرقابة، أو بالحظر، بالحيوية،

---

(1) ما علاقة علم نفس الأعماق Profondeurs psychologie أو علم النفس السحيق psychologie des abyssale بالأرشيف، بما هو فرويدي دريديا؟ ثمة إيغال في البحث عن أثر طاف على السطح، أثر يجمع في مفهومه بين ما هو تاريخي وثقافي ونفسي، خصوصا وهو يميز بين الذاكرة التي تحملها معنا، أو هي التي تحملنا، فنحن موجودون بها. باعتبارها أرشيفنا ـ بمعنى ما ـ ولكنها قابلة للزعزعة والبلبلة والتشويه، والأرشيف وهو يشكل ذاكرة خارجية عصماء عندما ندرك قاعها (قاعه)، حيث الركام يغطيه أو يتوضع تحت طبقات تاريخية غيرت في معالجة الأثر، وعلم النفس السحيق كفيل بمساعدتنا حيث يستنطق الأثر، أو يلاحق بنيته وحقيقة ما يكونه، وما حور فيه، وأساء إليه، كما هو حال المحلل النفسي في علاقته مع زبونه أو مع من يعالجه.

(*) المصدر نفسه ـ ص213.

(*) المصدر نفسه ـ ص214.

(*) المعطيات ذتها!.

بالموقعية أو بالاقتصاد[1]. وبأنظمة ics أو Pcs، بالأثر الذكري.

وهذا بدون أدنى شك، لأنني أوليته الأهمية في كثير من النصوص، بحيث أن هذه الصورة الطباعية للصحافة، للمطبعة، أو للدمغة، قد فرضت نفسها بسرعة علي في الهاتف تحت تسمية «الطباعة» هذه الكلمة ترسمل فائدة مزدوجة، خصوصا عالم الثقافة الإنكلوفونية، وإنها تنبه بالدرجة الأولى، شيفرة الاختبارية L'empirisme[2]، الإنكليزية: أي أن التصورات «الطباعية» الواقعية والنسخية، تلعب فيها دورا كبيرا في نسابة الأفكار، والنسخة المطبوعة أليست ضربا من الأرشيف؟

إن كلمة «الطبع» تذكرنا بالدرجة الثانية بأن أي ممر، لن يسمح ثانية أبدا في التاريخ بترجمتي verdrangung من خلال «الحظر» بالإنكليزية، كما في الإسبانية كلمة تنتمي إلى نفس عائلة «طبع» La verdrangung يحظر دائما الطبع وبكلمة «المنع» الفرنسية، كلمة لا تتآلف مع العائلة الدلالية لكلمة «الطبع»، مثلما تقوم به، كلمة «الحظر» حيث تحتفظ بها بالفرنسية، انطلاقا من ترجمة كلمة Unterdruckung، والتي تترجم

---

(1) كلمة الاقتصاد L'Economie لها علاقة مباشرة مع جملة المفاهيم الفرويدية، وليس مع ما هو إنتاجي مادي خارجي ــ إنها تحلينا إلى ما هو اقتصادي Economique المتصل بالفرضية القائلة بان العمليات النفسية تتمثل في سريان وتوزيع طاقة قابلة للتكميم (هي الطاقة النزوية) أي الخاصة بالدافع الغريزي..
وهذا ما يتوضح في (ما وراء علم النفس) لفرويد. حيث تلتقي ثلاث وجهات نظر لتعريفه: دينامية وموقعية واقتصادية... ــ انظر معجم مصطلحات التحليل النفسي ــ المصدر المذكور ت ص (87).

(2) الاختبارية تجمع هنا بين حقيقة العالم الخارجي القائم على التجربة وخبرة الفرد وذاتيته. أيضا بعكس التجربة المحض التي تقابل **L'Expérience**.

بالإنكليزية كما في الإسبانية والبرتغالية بإلغاء[1].

إن رهانات هذا الاختلاف المفهومي بين Verdrangung وunterdruckung لا تتحدد بالأسئلة الإسمية للترجمة وبعلم البلاغة أو علم الدلالة، بالرغم من أنها تتراكم فيها أيضا. إنها تتعلق مباشرة ببنى الأرشفة[2]. لأنها تقترب بالاختلافات الموقعية وبالنتيجة بدلا من الركائز **المتصلة بالأثر، ومسند الإيداع** (Niederschrift) من نظام لآخر على اختلاف المنع (repression و Verdrangung)، والذي يبقى لا واعيا في عمليته، وفي نتيجته الحظر، الإلغاء. (Suppressionوunterdruckung) يعتبر ما يسميه فرويد بـ«رقابة ثانية» بين الشعور وما قبل الشعور - أو إنه أيضا يحدد التأثر، هذا يعني أنه لا يستطيع أبدا ترك نفسه ينكبت (repress) في اللاشعور، إنما فقط يمنع (Suppress) ويحول إلى مؤثر آخر. إنه موضوع من الموضوعات العديدة التي لن نستطيع معالجتها هنا.

---

(1) هذا ما يمكن ملاحظته في (معجم مصطلحات التحليل النفسي)، في اللغات الفرنسية والإنكليزية والألمانية، (ص416 ـ 420).
ويظهر أن تعبير اللغات الأوروبية: كالإسبانية والبرتغالية قد تعاملت مع المفردة هذه من موقعها الثقافي والتاريخي والدلالي ـ وهذا ما نجده بالذات عند مثقفينا ومترجمينا العرب عندما يحددون علاقتهم معها من خلال اللغة التي يتحدثون بها أوروبيا وتصورهم الثقافي للموضوع.. وأعتقد أن ذلك يتطلب بحثا خاص يتناول الجوانب المعتقدية والفكرية والتاريخية في ذلك.

(2) تتجاوز بنى الأرشفة، كما أوردها دريدا عالمها اللفظي لتستقر في عالم التاريخ والأركيولوجيا، رجوعا إلى ماض سحيق، حيث ثمة مفاضلة بين لغات، ومساءلة للأثر المبحوث عنه في نزعة صوفية استشراقية ولكن يهودية المنحى (قبالية) تحديدا، ومن هنا، أو لهذا كان اهتمامه بـ(يوروشالمي) ممثل الاستشراقية اليهودية التصوفية، وحنينه إلى المكان المتخيل والموعود فيه، واللغة هي ذاتها تلعب دورا كبيرا هنا في منح كاتبها طاقة استثمارية لتحقيق المراد، حيث يكون الأثر والإيداع بدلالتهما المكانية.

أي تعداد للمؤرشفين وللمؤرخين الكلاسيين الذين يجب عليهم الأخذ في الاعتبار في منهجياتهم في تواريخهم المسطرة، وفي معالجتهم، وفي موضوعاتهم، للتمييز بين الكبت والحظر، بين إعادة الطبع «repression» و«المنع répression» بين Verdrangung و Unterdruckung، بين الطبع repression و«الإلغاء Suppression»[1]. إذا كان هذا التمييز له ملائما، فإنه يكتفي لقلب المظهر الهادئ لكل معرفة تأريخية، وكل تاريخ مطبوع، وحتى كل «Scholarship» استنتاج. من يقسم بأنه بدأ فقط القيام بذلك؟ وحتى بين مؤرخي التحليلنفسي الذين مع ذلك يجب عليهم أن يكونوا الأوائل في تنحية بديهياتهم ثانية وأسلوبهم، والافتراض حتى بأن التصور الكلامي للعلم التاريخي ولـScholarship ما زال يصمت، ويخرج متكاملا من هذا التغير؟

2 ـ ذلك يقودنا نحو قيمة ثانية لهذه الكلمة impression بلا شك ألا تبدو أقل ضرورة وجلاء بشكل غير مباشر. «impression»، «انطباع فرويدي»، ذلك يجعل بلا شك الإحساس بشيء آخر، لكن ما هو هذا الشيء؟ حسنا! فيما يخص الأرشيف. وقد لا يتوصل فرويد أبدا إلى تكوين تصور جديد بالاسم هذا. ونحن أيضا من جهة أخرى، نحن لا نمتلك تصورا. إنما فقط انطباعا، سلسلة من الانطباعات المتحدة بالكلمة هذه.. أقابل هنا صرامة هذا التصور بالغموض أو عدم الدقة الجلية الأبعاد، بعدم

(1) لا يمارس دريدا لعبة الثنائيات هنا بقدر ما يفعل لها في البنيان الثقافي، ويميز بين المحظور الخاضع للمراقبة، والمكبوت الذي يخص الداخل، بين الطبع الذي يكون على مرأى من العين، والمنع الذي يلغي ذلك، فينخرط في حيز الكبت.
دريدا يحاكم اللغة بالذات ـ من وجهة نظره ـ يسرب مفهومه التصوفي المفلسف يهوديا عبر جدار الفلسفة أو الكتابة الأوروبية المعاصرة الكتيم وعلمويته مفصحا عن فراغ ما يليه من جهة، وعن ضرورة تدقيق النظر في المهمش الفاعل في آن، من جهة أخرى.

التحديد النسبي لمفهوم كهذا.

«الأرشيف» هو فقط مفهوم وانطباع متحد بكلمة، من خلالها فرويد، إياه ونحن لا نمتلك أي تصور. لدينا فقط انطباع «انطباع ملح عبر الشعور القلق لصورة متحركة، والمخطط أو لعملية لا - نهائية أو لا نهائية[1]». على خلاف ما يحاول فيلسوف أو عالم كلاسي القيام به، لن أتمسك بهذا الانطباع ولا بمفهومه، بالنسبة لتصور أدنى، وبالنسبة لعجز ما قبل معرفي، هلامي، وذاتي، محكومة بخطيئة ما، أسمائية، لكن بالعكس سأشرح فيما بعد إمكانية هذا التصور ومستقبله، والتصور المستقبلي ذاته، إن كان موجودا، وفيما إذا - كما أعتقد ذلك - يعتمد عليه الفكر الأرشفي. تلك هي إحدى الأطاريح: هناك أسباب جوهرية بالنسبة

---

(1) بم يريد دريدا أن يحدثنا إثر كل هذا الاستطراد؟ وهل هو استطراد أم ماذا؟ دريدا يمد باللغة إلى أبعد مدى مجد لها وهو يمارس نزعة التشكيك تجاه الموضوع الذي يتناوله. والذي يخص الانطباع، وبصورة أدق: نزعة هدمية تقوم على التفكيك، باعتباره يؤول، حيث ينزع عن موضوعته أصالته المزعومة، يستنطقه، للفت النظر إلى ما هو خفي، بحثا عن حقيقة ثاوية وراء الأرشيف الذي يعنيه. إنه بحث لا نهاية له، خلل ركام هائل من التصورات والحساسيات التاريخية والأوهام المعقلنة. الأرشيف هنا، هناك، هنالك، إنه ما يكون هو وليس هو، حتى يمكنه تقديم فرضيته، ولهذا يتحدث عن عملية لا ـ نهائية أو لا نهائية. وفي الحالة الأولى نحن في مواجهة ما ينفي النهائية in-fin. الـ(in) هنا نفي للنهاية (fini). وفي الوقت نفسه تؤكدها بصورة ما. بينما جاءت الأخرى ذات خاصية حسابية مواقعية باعتبارها indéfini. فال (defini) تأتي بمعنى المعين والمحدد. بل إنها تتكون من fini (نهاية) كما يلاحظ، ومن dé. فهي إذا نفي النفي، نفي التحديد والتعيين. لذلك نجد أنفسنا إزاء حقيقة زمكانية. ودريدا إذ يزعزع هذه اليقينية في علمويتها يحيلنا إلى فعل الكتابة وطاقتها التدميرية والبنائية في آن، وهو فعل يتحدد فيما يتفوه به دريدا نفسه، في محاولة لتدشين تصور جديد عن التاريخ والحقيقة والعلم والمكان بالذات.

إليها، يبقى تصور على طريق التبلور Formation دائما ملائما[1]، ما يجب أن يكون منقسما، منفصلا بين قوتين، وهذا الانفصال سيكون له علاقة ببنية الأرشفة. يستنتج بلا شك من ذلك، بان التحليلنفسي الفرويدي يقترح نظرية جديدة واضحة حول الأرشيف، يأخذ في الحسبان مواقعية، والدافع الغريزي للموت، بدونهما قد لا يوجد في الواقع بالنسبة للأرشيف، أي رغبة، أي إمكانية. لكن في الوقت نفسه لأسباب استراتيجية، ولأن ظروف الأرشفة قد تتضمن كل التوترات، التناقضات، أو المآزق، حيث نحاول تقعيدها هنا[2]، خصوصا تلك التي تجعل منها حركة موعودة ومستقبلية[3]، ليس أقل من التسجيل للماضي، التصور

---

(1) المستقبل بصفته الدريدية والوعدية هو ما يمكننا استشفافه واكتناهه. وهو ما يفضي به تصوره للأرشيف بعد الذي تقدم به، بأسلوب لا يخلو من جاذبية الموعود والمنتظر، بحيث يكون المتلقون متعطشين لمعرفته، إثر الأطناب في إبراز مزاياه أو مناقبه!

(2) ما الذي يثيره التقعيد formaliser؟ إنه يخص ظروف الأرشفة، وكيفية إدراجها في حيز المعلوم والمفهوم والمتداول، وهذا التقعيد يحيل المجهول واللامحدد إلى معلوم ومحدد ولكن وفق ما يرتئيه دريدا، الذي لا يدخر جهدا في استثمار كل المجهود الفرويدي التحليلنفسي لاستحضار وتاريخ توراتي العلامة واعتباره أهلا لئن يحمل على محمل الجدية كونه يرينا ما ليس معلوما، وما يساعدنا في فهم ما نحن فيه الآن ولاحقا!

(3) هنا يستكمل التقعيد مفهومه وحقيقة ما يراد له أن يكون بعد غياب وإقصاء. فالحركة الموعودة والمستقبلية un mouvemen de promesse et d'avenir تستمد أهميتها وتؤكد حقيقتها بالرجوع إلى الموعود به، إلى اليهودي المنتظر، الوعد هنا يكتسي صياغة تكوينية في تجليها التوراتي. ودريدا يبث فكرته في نسابتها القبالية اليهودية وانطلاقا من تعميد فرويدي ــ يوروشالمي، في صميم الفكر الأوروبي (الفرنسي هنا). إنه مأخوذ بزخم حضور أقرانه ومن الذين سبقوا في تطعيم الفلسفة الأوروبية بما هو يهودي (ماركيوز، تيودور ادورنو، فالتر بنيامين، إيما نويل مالفيناس...). وما يعاصره كذلك (انظر حول ذلك: مقاربات في الحداثة وما بعد ــ الحداثة «حوارات منتقاة من الفكر الألماني المعاصر لـ محمد الشيخ ــ ياسر الطائري ــ دار الطليعة ــ بيروت ــ ط1996/1 ــ الفصل الأول خصوصا.

الأرشفي قد لا يتمكن من ألا يحافظ في داخله ككل تصور، ثقلا من اللامفكر فيه «الافتراض المسبق لهذا اللامفكر، يتخذ أيضا صورة «الكبت» (القمع repression) و«المنع» (الإلغاء) حتى لو لم يقتصر على ذلك بالضرورة. هذا الافتراض المزدوج يترك دمغة. إنه يسجل الذي ينطبع هكذا لا يؤثر فقط بوصفه حمولة سلبية. إنه يلتزم بتاريخ التصور، إنه يحول الرغبة أو سوء الأرشيف، وانفتاحه على المستقبل، وتبعيته لرؤية ما يأتي، باختصار: كل ما يربط المعرفة والذاكرة بالوعد. Tout ce qui lie le savoir et la mémoire et la promesse.

3 - «انطباع فرويد» قد يعني أيضا شيئا ثالثا، على الأقل الأول: الانطباع المتروك Laissée من قبل سيغموند فرويد. انطلاقا من الانطباع المتروك في ذاته، والمكتوب في ذاته منذ ولادته واقترانه منذ ختانه، عبر كل التاريخ الظاهري أو الخفي، للتحليلنفسي، للمؤسسة، والأعمال مرورا بالتطابق العام والخاص، بما فيه هذه الرسالة لجاكوب شلومو فريد Freid إلى شلوموه سيغمو فرويد، كذكرى رموز أو رهانات الاقتران ولمرافقة «الجلد الجديد[1]» للتوراة.

أريد التحدث عن **الانطباع المتروك من قبل فرويد**، من خلال الحدث الذي يحمل هذا الاسم العائلي، الانطباع غير قابل للنسيان وغير قابل للتنفيذ، وهو مؤكد (خصوصا من قبل هؤلاء الذين يصدقونه) حيث **يقوم فرويد بتطبيقه** على أي كان بعده، ويتحدث **عن نفسه**، أو يتحدث إليه، ويجب إذا موافقة ذلك أو لا، معرفة ذلك أو لا non ou، وترك المجال

(1) يحيلنا الجلد الجديد باستمرار إلى ما هو غابر، إلى حالة تمايز لما هو يهودي، إلى الوعد عبر العلامة، كما هو حال الختان، كذاكرة جسدية تتجدد باستمرار، وهي الذاكرة بالوعد كما تقدم آنفا.

لنفسه في التعبير في ثقافته، في أسلوبه أيا كان وخصوصا الفلسفة، الطب، علم النفس المرضي، وبدقة أكثر هنا، لأنه يجب علينا التحدث عن ذاكرة وأرشيف وتاريخ النصوص والخطابات، والتاريخ السياسي، أو تاريخ الحق، وتاريخ الأفكار أو الثقافة، وتاريخ الدين والدين الحق، وتاريخ الأفكار أو الثقافة، وتاريخ الدين والدين نفسه، وتاريخ المؤسسات والعلوم، خصوصا، تاريخ هذا المشروع المؤسسي والعلمي الذي يسمى التحليلنفسي[1]. دون التكلم في التاريخ عن التاريخ، وتاريخ عمل المؤرخ[2]، في أسلوب ما، أيا كان، لم يعد بالمستطاع، لم يعد علينا التمكن، إذا لم يعد لدينا الحق ولا طرق الإدعاء بالتحدث عن ذلك دون إمكانية التعبير سلفا بطريقة أو

---

(1) المعروف عن فرويد هو أنه زاول التحليلنفسي وطبقه في ميادين معرفية مختلفة. حيث تنوعت دراساته. والبداية كانت الفيزيولوجيا، والنهاية كانت الانتروبولوجيا. في حين أن السيكولوجيا كانت الواصلة بينهما، رغم أنها بقيت الركيزة لكل ما قام به في دراساته لاحقا. ولعل بروزه كطبيب أعصاب هو الذي مكنه ودفع به لأن يمعن النظر الفعلي فيما هو نفسي، وحتى ثقافي لاحقا. فالبيان العصبي يشكل الأرشيف الحيوي للجسد ولقراءة غوامضه. ولذلك فإن الفيزيولوجيا لم تختف في قراءاته...

إن قائمة الأعمال المنشورة وتواريخها وهي منشورة في (معجم مصطلحات التحليل النفسي)، تعطينا فكرة عما تقدم (ص25 ــ 34). ومن خلاله يطرح فكرته ذات المنحى الفرويدي تلك التي تخص الأرشيف.

(2) هذا الإلحاح على ما هو تاريخي، على التاريخ، عليه ألا ينسينا فكرة الطباعة، وعلاقتها بالمدون، وبما يجب الاشتغال عليه اعتمادا على الأرشيف.

إن دريدا مسكون بهاجس وحميا التاريخ وكيفية رد الاعتبار إلى المغيب والمهمش. فهو إذ يفك تاريخا كاملا (ذاك، الذي يضعه في مخططه) يمارس فيه تقويضا، ليحل محله ما هو ناو عليه. إنه التاريخ الآخر ذو النسابة التوراتية. وبذلك تكون دنيويته ممهورة بما هو إيماني عند التدقيق فيها. وهي دنيوية تترافق مع نزعة العلمية في الفكر الأوروبي المعاصر.

وترجع جذورها إلى السفسطائيين الذين انتقدوها. وإلى نيتشه وهيدجر في دراساتهم التقويضية، وفرويد هو مفكر تقويضي عندما تتمعن في طريقة مناقشته لمواضيعه، عدا عن كتب اليهود الذين مر ذكرهم معنا سابقا!.

بأخرى من خلال هذا الانطباع الفرويدي، من المستحيل واللامشروع القيام بذلك دون إمكانية التكامل بحسن نية أو بسوئها، بطريقة منطقية أو غير منطقية، عبر الاعتراف به (عن الانطباع)، أو تأكيده، ما يسمى هنا بـ(الانطباع الفرويدي) إذا أخذنا انطباعا في التمكن، لا تأخذ ذلك في الحسبان، من خلال النسيان، والإلغاء، والشطب، أو الاعتراض عليه، أكدنا فيما مضى، حتى يمكن التوقيع (إذا الأرشيف)، على «كبت» ما أو «حظر» ما («القسر» أو «الإلغاء») هذا، ربما ما كنت سمعته دون فهمه، ما كنت أريد بغموض إضماره، وأنا أهيء نفسي بالإملاء هذه الكلمات عبر الهاتف، ومن خلال «الانطباع الفرويدي».

المقدمة Avan-Propos

لدينا انطباع إذا بأننا لم نعد نتمكن من طرح مسألة التصور وتاريخه. ولا سيما تصور الأرشيف. لم نعد نستطيع القيام بذلك، على الأقل بموجب صياغة مرحلية، أو تاريخية يسيطر عليها الحاضر أو الماضي، لم نعد نشعر بالحق في طرح المسائل حيث شكلها وقواعدها، ومعانيها تبدو مع ذلك شرعية جدا، وأحيانا حيادية جدا. لم نعد نجد معنى مطمئنا للأسئلة كهذه: هل تصرفنا بتصور الأرشيف؟ وهل تصرفنا بتصور الأرشيف عندما يكون هناك تصور واحد؟ ما الذي يكون تصورا حيث وحدته مؤكدة؟ هل كنا متأكدين من التماثلية والتماسك والعلاقة الأحادية كتصور ما هو ذي حد أو كلمة كما «الأرشيف»؟ في شكل هذه الأسئلة وفي قواعدها، كانت دائما متجهة نحو الماضي. كانت تسأل فيما إذا كنا نتصرف بتصور كهذا، وإذا كنا نتأكد من هذا الموضوع[1].

---

(1) كثرة الأسئلة هذه تخص الجانب التفكيكي في عمل دريدا. وهي في بنيتها تمهد لما يلي أو يمكن قوله لاحقا. خصوصا وأنه يتحدث عن التصور la concept الذي يتداخل مع المعنى المجرد والمفهوم والإدراك والمتخيل عقليا. ولأنه ـ كما يلاحظ ـ يتركز على الأرشيف وما يمكن أن يكونه.

أن تتنوع الأسئلة المتعلقة بالتصور، وبتصور الأرشيف تحديدا، فإن ذلك يعني أولا ضرورة إعادة النظر فيما كان يسمى أرشيفا، وكيف كان يتعامل به ومعه. ثمة إحالة إلى ما هو

إن التصرف بتصور معين، والتأكد من موضوعه، يعني افتراضا إرثا مغلقا، وافتراض الضمانة المختومة، تقريبا من خلال هذا الإرث. إن كلمة ومفهوم الأرشيف يبدوان بادئ ذي بدء، وبالتأكيد وكأنهما يشيران إلى الماضي، ويحيلان لقرائن الذاكرة المودعة، ويؤكدان حق العرف[1]. والحال أننا لو حاولنا الإشارة إلى هذا الماضي منذ الكلمة الأولى لهذه الأسئلة، يعني ذلك للإشارة إلى طريق إشكالية أخرى. بمقدار ما يكون هذا الأرشيف من الماضي، فإنه يجب أن يضع موضع التساؤل قدوم المستقبل، وإذا لم نتصرف أيضا بتصور يمكن اشتغاله، تصور موعد، معطى للأرشيف، وهنا بلا شك لا يوجد تقصير مفهومي محض، تقصير نظري، وابستمولوجي، وفق نظام الأساليب المتعددة والنوعية، وربما لا يكون هذا خطأ، توضيح كاف في بعض المجالات المحددة: مجال الأركيولوجيا، طباعة الوثائق، والبيبلوغرافيا، والفيلولوجيا، وعمل المؤرخ.

لنتخيل في الواقع مشروعا ما في علم الأرشفة العامة، كلمة لا توجد،

قضائي، إلى حقل المصداقية التاريخية للأرشيف الذي كان يطمئن إليه. الآثارية الناطقة في لغة دريدا وعدية ومشفوعة بالقوة في آن.. ثمة ميتافيزيقيا من نوع مختلف يريد عقلنتها ذات مرجعية تاريخية بجذورها الدينية اليهودية، ولكسر احتكار التاريخ المسيحي ـ بكل علنيته ـ للحقيقة، لحقيقة الأرشيف الذي يتضمن حقيقة ما كان ويهزأ بكل ما قدم بوصفه الحقيقة الوحيدة وفق تصور أحادي (مسيحاني).

(1) ما الذي يتضمنه حق العرف؟ la fidélité de la tradition، إنه حق ذاك الذي أهمل أو همش وتمت تنحيته. هو هذا الذي يدعو إليه دريدا بوصفه حقا تاريخيا مغتصبا. ثمة تركيز على دين الأرشيف الذي طمس لأكثر من سبب. هو دين غابر وتراكم على مر التاريخ. وبطريقة أخرى، فإن دريدا يطالب متلقيه بضرورة الالتفاتة إلى صوته، إلى تاريخه الذي يؤكده الحاضر، إنه ينطلق من حضور يهودي مؤثر راهنا!

إنما يمكنها أن تشير إلى علم عام، عبر نظامي للأرشيف، نظام كهذا يجب في الواقع أن يخشى الخلخلة في مضمار مأزق تمهيدي، ربما يلزمه أولا - أن يتضمن التحليلنفسي، مشروع حيث من السهل التبيان بأنه يريد علما عاما للأرشيف، ولكل ما يكون بوسعه الوصول إلى اقتصاد الذاكرة وإلى ركائزه، وآثاره، ووثائقه، بأشكاله النفسية المزعومة، أو التقنوترميمية. داخلية وخارجية: المجموعات السحرية **للماضي أو المستقبل** (ما تتمثله وما تضيفه) أو ثانيا - الخضوع بالعكس للسلطة النقدية (بالمعنى الكانطي)[1] **للتحليلنفسي، والاستمرار في مناقشته، بلا شك، لكن بعد تكامله مع المنطق،** والتصورات، وما وراء علم النفس، والاقتصاد، والمواقعية الخ.. مثلما يكررها فرويد بطرقة دقيقة جدا في الجزء الثالث لكتابه

---

(1) لماذا بالمعنى الكانطي au sens kantien؟ ما هي السلطة النقدية عند كنط أولا؟
السلطة النقدية تخص سستام العقل نفسه (أو نظامه) في بعض الترجمات العربية، رغم الوقع الدلالي السيء لكلمة (نظام) بسبب صداه السياسي. كانط يتوقف هنا عند قدرة العقل القبلية (قبل الأمبيريقيا) على رؤية موضوعه وتفهمه. وكما جاء في تصدير (نقد العقل المحض): (للعقل البشري، في نوع من معارفه، هذا القدر الخاص: أن يكون مرهقا بأسئلة لا يمكنه ردها، لأنها مفروضة عليه بطبيعة العقل نفسه، ولا يمكنه أيضا أن يجيب عنها، لأنها تتخطى كليا قدرة العقل البشري. وهو يقع في هذا المأزق من دون ذنب يقترفه. فهو ينطلق من مبادئ لا غنى عن استعمالها في مجرى التجربة، ولا شك في كفايتها فيها، ويحلق استنادا إليها وأيضا بدافع من طبيعته. أبدأ إلى أعلى نحو شروط أبعد...).
انظر الكتاب المترجم عربيا لـ: موسى وهبة ـ منشورات مركز الإنماء القومي ـ بيروت ـ ط2 ـ دون تاريخ ـ ص(25).
كنط ينتقد مصداقية العقل في سستامه، من خلال ما يكونه ويكونه. ودريدا بالتالي يستثمر هذا المفهوم من خلال ما كتب في وعن الأرشيف اعتمادا على سستام عقلي يتطلب مراجعة ونقدا في عدته وعتاده المعرفيين، تمهيدا لطرح فكرته.

موسى..[1]، عندما يعالج بوفرة «صعوبات»، ومشكلات أرشفية للعلاقة والملكية العامة، والآثار الذاكرية، والإرث المتواتر عبر الأجيال، مثلما كل ما يمكن أن يصل إلى «الطباعة» في هذه العمليات «المواقعية». Utopiques، (Topisch) والوراثيات (genetisch).

في ذات الوقت، أن يكرر، بينما هذه المواقعية لا علاقة لها بتشريح الدماغ، وذلك يكفي لتعميق البعد الفقه وراثي i compliquer la dimension phylogénétique، والذي يعتبره في الواقع شيئا من المتعذر نيله، لكن من المبعد التبسيط في هذه الخطاطات اللاماركية Lamarckien (غالبا ما يتهمها يوروشالمي أيضا)، ولا حتى الداروينية. إن الانخراط في مذهب بيولوجي للطبائع المكتسبة. للأرشيف البيولوجي كذلك. قد لا ينسجم بطريقة بسيطة ومباشرة مع كل ما يعترف به فرويد من جهة أخرى! أي ذاكرة التجربة الإنسانية L'expérience de generati ons السابقة[2]، وزمن تكوين اللغات

---

(1) في الطبعة العربية المذكورة يشغل الجزء أو الفصل الثالث القسم الأكبر من الكتاب (112) صفحة فعلية من أصل (180) صفحة فعلية.
تتقدم الفصل المذكور توطئتان لا غنى عن قراءتهما، تلقيان الضوء على ظروف تأليف الكتاب وحساسية موضوعه كموضوع، وبالنسبة للمؤلف كيهودي. ودريدا يضعنا في قلب الحدث فيما يخص كتابة موضوع تحوطه صعوبات ومحظورات وعوائق مذهبية وابستمولوجية لازالت تشغلنا إلى الآن!

(2) هل نتحدث هنا ثانية عن اليهودي الذي شغل التاريخ واتهم به، وفي الوقت نفسه كان متجذرا في وقائعه؟ إن دريدا يفجر في اللغة كل مكنونها ومكبوتها، يفتح فيها الثغور التي يجب أن تفتح ــ من وجهة نظره ــ وبنوع من العناد المتبصر لحقيقية ما يبتغيه، ومن منظور تاريخي.

والرمزية التي تتعالى على اللغات المحددة وكذلك الخطابية.

بوضوح يعرف ويعترف فرويد يقظا «الموقف الراهن للعلم البيولوجي الذي لا يعرف شيئا عن نقل الطبائع المكتسبة للمتحدرين «H dants avx.[*]، إذا كان يعترف في الحال بعد أن كان من الصعب عليه الاستغناء عن مرجعية ذات تطور بيولوجي (إنما بوسعه بجدية أن يأخذ عليها حيث المبدأ أو الأخلاق؟ باسم ماذا؟).

يظهر نفسه في هذا الصدد أكثر تحفظا وأكثر يقظة، حيث غالبا ما لا نقول ذلك، مميزين خصوصا بين الطبائع المكتسبة (من الصعب ضبطها) و«الآثار الذاكرية المتصلة بالانطباعات الخارجية»[*]، هذه الطبائع وهذه

إذا لم يعد بالإمكان تجاهل هؤلاء الذي عاشوا وعانوا وهاهم يثبتون وجودهم على صعد مختلفة. وهو تأكيد لا يعززه سوى الحضور السلطوي والرمزي لما هو يهودي وعلى أرض الواقع ومن خلال المساهمات المختلفة للكتاب اليهود أوروبيا.

(*) موسى الإنسان: تر: س حاييم ـ غاليمار 1986 ـ ص(196)، يوروشالمي يأخذ في الاعتبار هذه النصوص، يعرف جيدا أن فرويدا كان يعرف ذلك، أن وراثة الطبائع المكتسبة هي موضع نزاع في العلوم. لشرح تصور كهذا والمثار للعناد من قبل اللاماركية، يشير إلى الأعمال القيمة حول هذا الموضوع لـ«رووبريخ سيميتيس» ثم يتساءل فيما إذا كانت اللاماركية (دون أن تكون شيئا يهوديا بالتأكيد)، لا تختبر شخصية اليهودي في فرويد. اللاماركية المتفككة إلى كلمات يهودية (deconstructed into jewish terms)، ألا تعني بأن اليهودي قد لا يكف عن أن يكون يهوديا، لأن قدره كيهودي قد حدد منذ زمن بعيد جدا، من قبل آبائه وما زال يشعر بها اليوم. ويشعر بالهزة الغامضة حتى في دمه؟ «رسالة من فرويد إلى زويك، تتحدث اللغة نفسها في الواقع بصدد أرض إسرائيل والإرث حيث أن قرونا من الإقامة ربما تركت أثرا في «دمنا وفي أعصابنا»، يوروشالمي يورد أيضا ملاحظات حول أدلهيت: «بالنسبة لفرويد في الواقع، إن تطور الجنس البشري قد يكون داروينيا من خلال الجينات، لكن لاماركيا من خلال اللغة والثقافة» ـ المصدر نفسه ـ الترجمة الفرنسية المعدلة ـ ص (2).

(*) المصدر نفسه ـ ص 75.

الآثار ربما (فرويد لا يقول ذلك بلا شك هناك بالصيغة *هذه*)[1]، تتبع الاستبدالات عبر الإنسالية، وعبر الفردية المعقدة جدا، واللغوية والثقافية والقابلة للترقيم والمرقمة بصورة عامة، والمتنقلة هكذا من خلال أرشيف، حيث علمه لن يتوقف، ذلك لا يحيلنا بالضرورة إلى لامارك أو إلى داروين[2]، حتى إذا كان يجب ربط تاريخ البرامج بطريقة أخرى، والترقيمات

---

(1) من الواضح أن دريدا يفصح عن المواقف المختلفة السلبية المنحى التي بـــرزت تأريخيـا وحديثا، وخصوصا ما يخص العداء للسامية إلى درجة أن اليهودي لوحق في كل مـا كـان يعنيه ويمسه بحيث يبقى مميزا بعلامة ليعرفه الآخرون، وحتى في زمرته الدمويـــة، ومـا يخص نظرية التطور.

وواضح أن دريدا يلمح إلى واقع اليهودي مجتمعيا ويلفت النظر إلى الوضع القلـــق الـذي يعيش فيه. وهو إذ يلجأ إلى استحضار مثل هذه الأمثلة فلكي ينسف تلك التصورات المشبعة بالأيديولوجيا والمفاضلة المذهبية، ويحرر الفكر الغربي (بالمعنى الحضاري) من كل علامـة مسيحيانية، حيث اليهودية كفكر وبناء كامنة فيه. ومن هنا يكون حديثـه ضـد المركزيـة الأوروبية والإقامة كونه في منفى دائم حتى يحقق ما يلح على حضوره.

وفي ضوء هذه الإحالة التأريخية تكون اليهودية أكثر من قيمة مذهبية محددة، إنها أمثولـة تتجاوز ذاتها عبره، فتعني كل ما جرى تغييبه، وما ينبغي توضيحه وتصحيحه!.

(2) ما مغزى حضور كل من لامارك وداروين هنا؟ إن لامارك 1744 ـ 1829، المؤمن بتحـول الأنواع من خلال وراثة صفات مكتسبة، وأن داروين 1809 ـ 1882م. المؤمن بـــالتطور والصراع من أجل البقاء والبقاء يكون للأقوى، وبعدهما فرويد الذي لا يخفـي داروينيتـه، وهو يتحدث عن فطرية العنف إنسانيا، وخاصية القوة في السـيطرة، إن هـؤلاء الثلاثـة، والأولين خصوصا يؤرخون لفاعلية التحدي بغية الاستمرار في الوجود والأرشيف هو الـذي يعبر عن ذلك حين الرجوع إلى أدبياته بخصوص القوانين الفاعلة في التاريخ وفـي بنـاء المجتمعات البشرية. والذاكرة هي التي يجب عليـها أن تساعدنا حيـن انطلاقتـها مـن الأرشيف. ودريدا فيما تقدم يريد أن يقول لنا (أم يقول لنا مباشرة): عليكم أن تعرفوا حقيقة رئيسية، وهي أن الذي يواجه تحديات مستمرة، ثم يتجاوزها بصورة ما، فإنما يكون لديـه

الوراثية بكل الأرشيفات الرمزية والفردية. كل ما يقوله فرويد هو بين النموذجين من الذاكرة والأرشيف عبر الوراثي (ذكرى تجربة الأسلاف أو الطابع الذي يسمى بالطابع المكتسب بيولوجيا)، نحن متيقظون لهذا التماثل ولا نستطيع «أن نتمثل (Vorstellen) الواحد دون الآخر(*) بمعزل عن القوة والسلطة غير القابلة للقمع، أي فقط السلطة القامعة والكابتة لهذه الذاكرة عبر الوراثية، أو المشكلات التي يتحدث عنها قد تحل أو تفك سلفا. لم يعد هناك تاريخ أصلي للثقافة، ولم يعد هنا مسألة تتعلق بذاكرة وأرشيف بالأرشيف الأبوي أو بالأرشيف الأموي، حتى لم نعد نفهم كيف أن سلفا ما يستطيع التحدث عنا. ولا حتى أي معنى يوجد لذاتنا للتحدث عنه إليه. التحدث بطريقة «vnheimlich» اللاحق عليه معه[1].

صادفنا فيما مضى هذا الرهان، سنلتقيه ثانية، وهل يجب تطبيق خطاطات القراءة والتفسير والتصنيف المتلقاة والمتفكر بها. منذ هذه المدونة حيث وجدتها مفترضة هكذا على ما هو محدد مسبقا مثل

استعداد دائم وأكثر من سواه الأقل عرضة للتحديات وحتى تهيئة، لنقل صفات مكتسبة إلى الذي يليه عن طريق آلية الوراثة.. والتاريخ يعلمنا بذلك.

(*) المعطيات نفسها.

(1) هذه النتيشوية الباذخة التي تفضل الأرشيف على الذاكرة، في إهابها الدريدي، ذات نزوع تراجيدي، وهي تعلن رفضها لما هو ثقافي ما دام محروسا ومتروسا بسلطة مشرعنة وضاغطة ومستندة إلى جملة أدبيات تعبر عنها وتمثلها، ثمة تذمر مما يحصل، إفصاح عن ضرورة قلب للتاريخ أو تصحيح لمساره، حيث التمثيل موارب والإدعاء تصنع، والحقيقة وهمية.

الأرشيف الفرويدي أو التحليلنفسي بصورة عامة[1]. أو هل لدينا الحق بالعكس، معالجة هذا الأرشيف التحليلنفسي الفرويدي، بموجب منطق أو أسلوب عمل مؤرخ أو هرمونوطيقيا مستقلة عن التحليلنفسي الفرويدي، حتى سابقة باسم فرويد بعد الافتراض مسبقا، طريقة أخرى تتعلق بالانغلاق والمطابقة لهذه المدونة؟ هذه الاستقلالية قد تتخذ أشكالا عديدة، قبل أو بعد تحليلنفسية، مع أو بدون مشروع واضح، أي إدراج وتعقيد ما نسميه راهنا:

بالانطباع الفرويدي ولدينا هنا تجربة مألوفة بالنسبة للعديد من الذين يشاركون في هذا المؤتمر، ويشاطرون هذا الهم، وليس فقط هنا أو هناك، والمؤرخون الأكثر نبوغا من مؤرخي التحليلنفسي، وبالمعنى اللغزي الذي سيتوضح ربما (ربما لأن شيئا قد لا يكون مؤكدا هنا لأسباب بدئية essentielles[2])، إن قضية الأرشيف ليست، لنكرر ذلك، قضية تتعلق بالماضي. إنها ليست قضية تصور حيث سنتصرف بها، أو لا نتصرف

---

(1) ليس الأرشيف الفرويدي سوى أرشيف المؤلف نفسه هنا، ولكن بعد اظهاره للنور، للملأ الأعلى، كصيغة بيانية تخص المستقبل والوعد، وختم الانتظار بنيل المراد المترتب على التفكيك!

(2) إن essentielles العائدة إلى الأسباب كصفة هي جوهرية كمعنى. ولكن كلمة بدئية تضفي عليها قيمة دلالية أعمق. من ناحية لأن البدء يخص الرئيس، أو جوهر المقصود، ولأن المتحدث عنه هنا هو جوهر المطلوب والمشار إليه، إذ أن التفكيك يحيل كل مفردة إلى أصلها المفترض، وكل موضوع يطرح يبحث في جوهره بإيضاح وإبراز ما هو بدئي فيه من ناحية ثانية، وجل البنيويين، ومن لف لفهم يعتمدون هذا الإجراء، لإضفاء قيمة معرفية متمايزة على ما هم بصدده. ثم إن البدنية تمنح الأرشيف وموضوعة دريدا في منحاها الأرخي، وكذلك المعرفي التاريخ حركية معنى أعمق، كونه يعني كثيرا باللغة وهو يغير في دلالاتها وتصوراتها من ناحية ثالثة، في كتابه هذا، وكتبه الأخرى.

قضية رد، ومسؤولية بالنسبة للغد الموعود[1]. الأرشيف إذا أردنا معرفة ما يعني ذلك، سوف لن نعرفه إلا في الأزمنة المستقبلية.

تقريبا في الحال أو ربما أبدا مسيانية طيفية، تعمل عمل تصور الأرشيف messianicité spectrale[2]، تعمل عمل تصور الأرشيف وتربطه، مثل الدين، مثل التاريخ، مثل العلم ذاته، بتجربة فريدة من نوعها بالوعد. ونحن لسنا بعيدين أبدا عن فرويد، وإذ تقول ذلك. المسيانية لا تعني المسيانوية. وقد شرحت ذلك في أطياف ماركس[3]. وحتى إذا كان هذا التفريق يبقى هشا أو مبهما.. اسمحوا لي.. وذلك لكسب الوقت لتناولها هنا بهدف استيعابها.

هذه الفرضية المسيانية، يجب علينا فيما بعد، وربما، أن نصيغ منها تصورا وقانونا شكليا، وهذه اللحظة، اسمحوا أن أوضحها، مشيرا إلى إحدى اللحظات الأكثر إدراكا للمشهد الذي صاغه يوروشالمي الفرويدي فيما إذا تجرأت على قول ذلك أمامه. في نهاية كتابه. في ما يسميه (مناجاته مع فرويد) يجب علينا الوصول إلى لحظة حيث يوروشالمي يبدو كأنه قد أجل كل شيء بشكل خاص، ما استطاع قوله وعمله حتى الآن، عبر

---

(1) ينحو الغد الموعود منحى يهوديانيا «توراتيا» في الصميم. إن دريدا إذ يركز على ما هو غدي، فلكي يفصح عن قوة واعدة وموعودة: معرفية وسياسية (عبر حضور يهودي) ينشغل به التاريخ، وتشير إليه ثقافات مختلفة. وكأنه يمنح هذا الحضور طيفا ميتافيزيقيا وإعجازيا، ويزاحم به القيمة التاريخية لما هو مسيحاني مذهبيا ومعرفيا وفكريا!.

(2) إنها تخص مسألة الاعتقاد بمجيء المسيح مستقبلا وإحلال السلام على الأرض بصورة دائمة.

(3) في (أطياف ماركس) يعاود دريدا طرح الأسئلة الخاصة بموضوعة لا تنفد إشكالاتها أو مضامينها، تلك التي تخص ماركس والماركسية في نهاية القرن العشرين. فالماركسية لم تزل موجودة بيننا وعلى صعد مختلفة. وقد صدرت الترجمة العربية للكتاب حديثا عن مركز الإنماء الحضاري ـ حلب ـ سوريا ـ والمترجم كان الدكتور «منذر عياشي».

سياق مرمز، هذا السياق يمكن المحاولة لتناوله في وسط الكتاب. كل شيء يبدو معلقا في هذا الوسط من خلال وسط الحدث الذي يمثله هذا الكتاب. لأن الصفحة الأخيرة للمؤلف بكاملها مخصصة للذاكرة وللأرشيف[1] وهي جملة تخص المستقبل، تقول، في المستقبل: «الكثير سيعتمد، بالتأكيد على الطريقة، حيث يجب تحديد الكلمات المتصلة باليهودي والعلم»[*]،

(much will depen of course, on how the very terms jewish and science areto be defimed).

هذه العملية كانت تتبع إشارة إلى «كثير من الأبحاث» (much Future work) يجب تناولها، وكانت تجازف، وهي تعظمها، بتدشين هذا المستقبل، حيث تبقى إمكانية المعرفة ذاتها معلقة على نحو مشروط:

«الأستاذ فرويد، وصولا إلى هذه النقطة، يبدو لي من السذاجة، أن أسألكم، فيما إذا كان التحليلنفسي هو وراثيا وبنيويا: علما يهوديا، ذلك ما نعرفه، من المفترض أن ذلك هو دائما موضوع معرفة (that we shall know, if it is at all knowalle) [أشير إلى جاك دريدا]، فقط عندما يتم إنجاز العمل على أكمل وجه. الكثير سيعتمد بالتأكيد على الطريقة التي

---

(1) بين الذاكرة والأرشيف تواصل وتفاصل في آن. دريدا يهدد الذاكرة بالأرشيف، ويوعدها بما من شأنه إجراء تغيير في بنية ذخائرها وخمائرها المعرفية. وهذا الإجراء المرتكز إلى جاذبية الأرشيف كما يريد ويتصوره المؤلف له جاذبيته. كون الأرشيف يتجاوز بمدده ومداه وحتى بنيته حقيقة ما تكونه الذاكرة التي أنبتت على غياب الأثر وعلى المسموع والمفروض بصورة، حيث مخالفة الحقيقة في سياقها التاريخي قائمة. الأرشيف علامة هدى وفاعل قوة لا يقاوم دريديا لإملاء المنتظر هنا! وعلى هذه الركيزة، الإيمانية المؤرشفة يراهن.

(*) المصدر نفسه ـ ص 188 ـ ترجمة معدلة.

يجب من خلالها تحديد المفردات نفسها عن اليهودي والعلم»(*).

انقلاب مفاجئ ضمن انقلاب مفاجئ آخر[1]. في لحظة تشدد النظام للحضور. انقلاب فجائي ثان يوضح الانقلاب الأول. إنها صعقة الحب (حب وتحول) الذي كالبرق تحول ضوء ذاكرة الانقلاب الأول لضوء آخر. لم نعد نعرف جيدا ما سيكون زمن هذا المسرح، الانقلاب الفجائي الأول، الانقلاب الأول، الأول، نقطة البداية.

قضية الأرشيف تبقى هي ذاتها: ماذا يأتي أولا؟ أو من الأفضل: من يأتي أولا؟ ومن ثم ثانيا؟

في نهاية الفصل السابق، الانقلاب الفجائي الأول المتعلق بـ «مشهد عصيب»، و«نص قانوني»: كان يورشالمي قد أسس الأرشيف الخارق الذي دوناه في الحاشية كان قد حث على القراءة: النموذج الفريد من نوعه، لكن أولا أعيد، من قبل الأرشيف الأبوي إلى الأب، من قبل جاكوب إلى

(*) المصدر نفسه ـ ص 188 ـ ترجمة معدلة.

(1) coup de thé?tre dans un coup de théatre هـذا المفهوم الخاص بالمسرح وحيثياته يشتغل عليه دريدا مطولا، باعتباره حدثا دراميا وتاريخيا في آن وبشكل أخص إذا أدركنا أنه يمس علاقة أطرافية ومتخيلة ولكن لها ما يقابلها في الواقع. إذ إنه يتحدث عن علاقة يورشالمي بفرويد، وفي الوقت نفسه عن مكانة فرويد في حياة يورشالمي، ذاك الذي يتعقبه، ويلح عليه بفكرة ذات دلالة وهي أن يتجسد ما كانه، وكما يبتغي يورشالمي.

يورشالمي هنا يتحول إلى مفهوم رمزي، وإن كان من لحم ودم في نص دريدا، من خلال متابعة علاقته الوجدانية بفرويد، وكتابته عنه وأرشفة ما يعمق علاقتهما ببعضهما بعضا حيث التوراة بكل حمولتها المعرفية والرمزية وحتى النزوع القبلاني السحري الغائي فيها.

وهذا يلبي ما ينشده دريدا في نصه هنا. خصوصا وأن العلاقة تتجلى قرابية في العمق (رحمية) وعلائقية: أبوية وبنوية. ومتخيلة، فرويد بالنسبة ليورشالمي، وهذا بالنسبة لدريدا وعبر الأول..

سيغموند، حاملا، ركيزه «جلده الجديد» الذي هو بمثابة الاستذكار الشكلي لختان ما. «الانطباع المتروك على متنه من خلال أرشيف تحالف لا متماثل، وبلا اتفاق، وبتحالف تبعي صادقه سيغموند شالومه تماما قبل معرفة كيفية التوقيع، وكذلك كيفية التصديق. في سمكة دون قعر لهذه الكتابة القديمة في لحظة هذا الحدث الأرشفي الإسمي. بجلد جديد لكتاب يودع الجلد الجديد التالف والميمون لمولود جديد[1]، يردد كلام إله مخصص لهذا المولود الجديد مخاطبا إياه وبحد ذاته («إليك»، وأنت ذاتك، within you») حتى قبل أن يتكلم لحثه على الإصغاء والقراءة حقيقة، أو على التحليل: «اذهب، اقرأ، في كتابي[2]، ذاك الذي كتبته»).

نحث على قراءة الأرشيف الذي يمنحنا خلال تحليل عظيم، يورشالمي بدوره سمع بالمنح أقل من الرد[3]، يتصرف قليلا مثل جاكوب الذي لا يعطي توراته إلى سيغموند، إنما بالأحرى ردها إلي، سلمها إياه. حين أعطيت لنا هذه الوثيقة للقراءة، scholar عظيم أعيد إلى فرويد كفاءته الخاصة، وقدرته الخاصة في تلقي، وكذلك قراءة الكتابة العبرية. يريد خصوصا الاعتراف بها إليه لأن فرويدا، وهذه الغائية، الموضحة،

---

(1) تتكرر صيغة الجلد الجديد، عبر إحالة تاريخية ورمزية، لتجمع بين الجسدي إحيائيا والتوراتي وقد برز رمزيا عبر مفهوم الختان، ولتجديد العهد، ومن خلال تبني مضمونه.

(2) يورشالمي ألف (مناجاته مع فرويد)، والمناجاة هذه تخيلية، ولكنها مولفه ومشبعة بالحضور القبلاني اليهودي، وعبر أثر يحفر (هو إرشيف) ولا يمحى، بل يكون علامة تمايز، وهي الختان.

(3) الأب باستمرار هو من يتكلم أكثر، هو من يملي أكثر، هو من يجسد الرمز أكثر ويجدده. وهذا يتجسد في خاصية الشولار، في أبويتها المسهودة، بحيث لا يعود الأب مجرد أب بيولوجي، إنما أب تاريخي، معتقدي، وقلتي، ملاذ آمن، وذخر معرفي، الوعي الموجه حتى وهو في حالة غياب ما دام يستوطن الذاكرة عميقا.

لبرهان يورشالمي كان عليه أن يعرف في شبابه، قراءة التقديم. كان عليه بالتالي الاعتراف بانتمائه جاعلا ثقافته العبرية علنية، وبوضوح أكثر لم يقم بذلك.

يورشالمي ذكر انكارات فرويد حول هذا الموضوع، والمقصود عائلته الخاصة، أو هو ذاته (كل المنعتقة Aufklárer كان يدعي جميع الفولتيريين[1] والذي كان لا يحتفظ بشيء هام من الثقافة اليهودية) مثل والد فرويد «الشولار، يريد تذكير سيغموند بشالومه، بالتحالف وهو ينشئ، أي أنه يعيد القرابة[2].. الشولار يكرر، تقريبا حركة الأب، يذكر أو يكرر الختان، حتى لو كان الواحد إثر الآخر لا يتمكنان من القيام بذلك، بطبيعة الحال، إلا من خلال الشكل، بعد الانقلاب الفجائي الأول، ثمة انقلاب فجائي ثان، إنها اللحظة التي بواسطة السلطة المؤكدة **لشولار**، إنما في موقف بنوية ظاهريا، يخاطب يورشالمي الأستاذ، أو بالأحرى، يزعم مخاطبة طيف الأستاذ فرويد في الواقع مباشرة. أن يكون الموقف أكثر بنوية، وأن

---

(1) نتذكر هنا «فولتير: 1694 ـ 1778»، كاتب موسوعي فرنسي ومتنور، ألف أكثر من مئتين وخمسين كتابا بين قصائد وملاحم وتاريخ وسيرة ومقالات فلسفية ونقد أدبي وأدب... وما تميز به هو انفتاحه على الثقافات، وهذه امتداد لفكره التنويري، وهجومه على ما هو ديني كنسي بسبب المآلات السيئة الخاصة بأفكار وسلوكات رجال الدين في عصره، وميله إلى ما هو تعبير عن تنوع أفكاره واهتمامه..
ويظهر أن استحضار فولتير عبر أتباعه هنا ليس سوى الإفصاح عما يجب تغييره في فرنسا بالذات.

(2) مفردة القرابة l'alliance تتضمن الحلف والمصاهرة أيضا، وهي في حالتها الأولى تعبر عن الرابطة العميقة بين يورشالمي وفرويد ذات المنحى الرمزي. فثمة كتاب يجلد باستمرار أو ثمة جسد يختن باستمرار مع كل ولادة جديدة لتحال العلاقة بالتالي إلى ما هو ميتافيزيقي، رغم دنيوية النص الدريدي الظاهرة. وهذا ما يفصح عنه إلحاحه على علاقة أثنينية: أبوية وبنوية تمتد نحو المستقبل.

يظهر الحب واحترام ابن ماء ذلك لا يعارض البتة تكرار حركة أبوية، قد يجوز أن يأتي ذلك أيضا ليؤكد، ويقذف به في الهوة. عندما يخاطب شولار طيفا ما، يذكرنا بصورة قهرية افتتاح هملت عند الظهور الطيفي للأب الميت، مارسيلوس يتوسل لهوراثيو:

«Thou art a scholer, speake to it, Horatio» [1]

كنت قد حاولت أن أبين في مكان آخر فيما إذا كان الشولار الكلاسي لا يؤمن بالأشباح، ولا يتمكن في الواقع بالتحدث إليها، ويتحاشاها، ربما يجوز أن مارسيلوس قد استبق مجيء شولار المستقبل، شولار هو طي المستقبل، ولأجل التفكير في المستقبل، كان يتجرأ في الحديث إلى الشبح، شولار كان يجرؤ على الاعتراف بأنه يعرف التكلم مع الشبح، زاعما أن ذلك ليس فقط

---

(1) وتعني: أنت متعلم، فكلمه ياهوراثيو. ولكن ما علاقة هذه العبارة الشكسبيرية التي وردت في بداية مسرحيته (هملت). بدريدا؟ إن ذلك يعبر عن الهاجس الدريدي المتعلق بالأرخية المسرحية لطيف الأب في (هملت) فالأب يلح على الابن بضرورة الانتقام من أعدائه، ومن هنا كانت دلالة عبارته الأثيرة (تكون أو لا تكون)، هكذا نطق هملت مأخوذا بوطأة طيف الأب، وظهوره شبحيا للابن. وهو ما يتوقف عنده «فرويد» مطولا في (تفسير الأحلام) وفي صفحات مختلفة منه، في السياق التحليلنفسي. وعند يورشالمي يغدو هذا هملتا وفرويد الأب المطالب بحضوره، والداعي إلى تأكيده عبره، وهذا ما يؤكده دريدا مطولا في (أطياف ماركس) وفي طول صفحاته وعرضها. مأخوذا بالقيمة الرمزية لعبارة ماركس التي تتصدر (البيان الشيوعي) سنة 1848 (هناك شبح يجول فوق أوروبا، إنه شبح الشيوعية، وقد توحدت قوى أوروبا العجوز لمواجهته) ــ دريدا يستنطق الغنى الدلالي لطيف ماركس الذي لم يمت ويجب ألا ينسى ذلك (انظر مثلا الفصل الخامس منه ــ الترجمة العربية للدكتور منذ عياشي ــ منشورات مركز الإنماء الحضاري ــ حلب ــ ط1 ــ 1995 ــ ص239، وما بعد).

وهنا يبرزهم الطيف الفرويدي، كما يلاحظ، فالشبح الأبوي يهدد الابن ويتوعده إن لم يأخذ بقوله، إن لم يؤكد حضوره. الطيف السياسي الماركسي يلتقي مع الطيف النفسي والرمزي الفرويدي، وكتابة دريدا تلح على ذلك بغية الاهتمام به، وعدم تجاهله!

غير قابل للاعتراض عليه ولا يحدد scholarship، لكنه سيشترط في الواقع لقاء تعقيد ما غير مفكر به بعد، يأتي ليمنح حقا للآخر، لمعرفة الشبح. وربما دائما معرفة الشبح الأبوي، لمعرفة أي موقف له الحق في أن يجد نفسه وهو يمنح الحق ـ والكلمة الأخيرة.

«الأستاذ الموقر والمكرم فرويد»، هكذا تبدأ الرسالة إذا. رسالة بنوية بليغة، ومحترمة، بلا شك، درجة أنها فظيعة وحاسمة وغير مثيرة للشفقة، في حالة الاعتراض، وكأنها قاتلة في المماحكة، فيما إذا كان الآخر لم يمت، إذا هي صعبة البلوغ، في كلية قدرتها المعتلة.

هذه الصفحات الثلاثون لا توضح فقط الخيال، الذي هو بمثابة قطيعة مع اللغة التي كانت قد سيطرت إلى الآن على الكتاب في معرفة خطاب scholarship، خطاب مؤرخ، وخطاب فقيه، وخطاب خبير في تاريخ اليهودية، وخطاب شولار توراتي، كما يقال عند الزعم في التحدث بكل موضوعية انطلاقا من الأرشيفات القديمة أو الجديدة، وغنى هذه الجدة يقوم بشكل خاص على أن بعض هذه الوثائق إلى الآن أقل مرتبة، أو صعبة المنال، سرية أو محظورة، هذه الوثائق تكون أيضا موضوعة تفسيرات جديدة، وترجمات مستحدثة وموضوعة إضاءات تاريخية أخرى أو فقهية. كلا، هذا الخيال له أصالة أخرى **تفسد** خيالية المونولوج، أي أن التأنيب[1] موجه لميت ما، لموضوع المؤرخ الذي يصبح ذاتا طيفية، والمرسل

---

(1) l'apostrophe، مفردة تعني التأنيب والمناجاة والتعنيف والالتفاف. في المناجاة le monologue، ثمة حضور مسرحي، حديث يجريه الشخص مع نفسه ذاتيا. في الحالة الأولى مناجاة تتحول إلى الجانب الآخر الذي يمارس في الصانع تعنيفا. هذا التحول لإبلاغ رسالة التأنيب يهب المعنى قوة ودلالة، إن فرويد بدأ هو الذي يقرع أو يعنف يورشالمي

إليه أو المخاطب الافتراضي لضرب من رسالة مفتوحة، تأثير آخر للأرشيف في خياله نفسه، هذا التأنيب جاء في الواقع ليغني المدونة، حيث يدعي معالجتها، إنما يعظم ويكون جزءا منها من الآن وصاعدا. في نهاية نقاش جدي مع الشبح، بموجب القواعد المتشابكة للتحليلنفسي وللتلمود في ذهن le - didakh[1]، ينتهي توقيع الكتاب والرسالة بالتساؤل حول شبح فرويد.

سنعود إليه، في هذه اللحظة، نستنطق «الكتاب والرسالة»، إذا كان هذا المونولوج مع فرويد[2]، يشبه الفصل الأخير من الكتاب، يمكن توضيح ندرتين بنويتين، لعلاقته بالكتاب الذي على الأقل بموجب الموافقة المبدئية لأرشفته في المكتبة، يدرجه في داخله. أولا، هذا المونولوج الخيالي، متغاير في الكتاب، في موقعه، في مشروعه، في شكله، إذا عبر خيال قضائي محض، مرتبط في الواقع بخيال في الكتاب الموقع للمؤلف نفسه، والذي يصف بوضوح في «أقسام» العلوم (لا خيالية، ولا شعرية، ولا رومانسية، ولا أدبية) في القائمة البيلوغرافية حيث

بضرورة إيلاء الكتاب (التوراة) القيمة المستحقة. ودريدا يمنح الحدث قيمة تاريخية، بضرورة الانهمام به.

(1) هو ذهن المتعلم، أو الخبير، أو الحرفي، وبذلك يغدو الاسم ذا قيمة تلقينية وتدشينية. ودريدا في إشارته هذه يضفي على التلمود بعدا مساريا، طقوسيا، كون الموضوع يتجاوز حدود علاقات أثنية، ليغني مجموعا، ويشكل إرثا جماعيا بالتالي.

(2) إنه كتاب يورشالمي عن فرويد، والذي أثنى عليه دريدا سابقا كثيرا، مثمنا مضمونه. وإذ يطيل في إبراز مناقبه ومزاياه، فلكي يلفت النظر إليه. وفي ضوء هذه العلاقة / الإحالة يتداخل المونولوج مع الأب مع الكتاب المعطى أهمية ذات مغزى (أي التوراة) في علاقة قرابة (ختانية). وكل ذلك للتوجه نحو المستقبل.

ويورشالمي في نهاية المطاف يغدو طيف دريدا، مشروعه، حدثه المرتقب، رهانه، فكرته التي يأمل اهتماما بها من قبل من يقرأ لهم نصه هنا.

نجد جميع مقولاتها الكلاسية في بداية المؤلف.

ثانيا، هذا النوع من ما بعد الكتابة[1] يحدد استرجاعيا بتردد أبدي، أي الافتتاح المركزي للمستقبل، الذي لا يحدد لا شيء على الأقل، كلمتي «اليهودي» و«العلم»، أو على كل حال يتجه صوب غموضها، إذا يمكن القول بأن كل الكتاب هو مفهوم مسبقا، بوصفه متنقلا وممتعا ومغيبا في العنصر السحيق **للمونولوج**، حيث يكون منه ضربا من مقدمة طويلة، من تمهيد، أو استهلال.

العنوان الحقيقي للكتاب، وعنوانه الأكثر خصوصية، أي حقيقته، قد يكون مناجاة مع فرويد، لنشر إلى ذلك على الأقل إلى عنوان الأرشيف: للتذكير بأنه لا يتمكن من الأرشفة دون عنوان (إذا بدون اسم وبدون مبدأ قضائي تشريعي، بلا قانون، بلا معيار تصنيفي، وتراتبي، دون نظام، دون أمر، للمعنى المزدوج للكلمة هذه) خلال هذا النقاش وجها لوجه. إنما بحضور القارئ الذي نكونه (أو الله يعرف من) مثل tertis شخص ثالث أو ثان، لم يعد فرويد يعامل كشخص ثالث ممثل عبر كتاباته (العامة منها والخاصة، العيادية، النظرية، والسير ذاتية، المؤسسية أولا، التحليلنفسية، والسياسية العلمية أو «الروائية» - لأن كل كتاب يورشالمي يدور حول كتاب فرويد، حيث أن هذا الأخير أراد أولا أن يحضر كطيف:[2]

---

(1) هذه العبارة تشكل منعطفا حاسما في الكتابة الدريدية، رإفصاحا عن ضرورة تغيير في المنظومة الفكرية المعتمدة، بغية تغيير وجهة النظر لما اعتبر غير مأخوذ به، أو مهمشا، كما في النظر إلى خاصية اليهودي، وما يجب ان يكون عليه مستقبلا كمكانة!

(2) هذا التداخل بين الشخصيات لم يأت اعتباطيا. إن طيفية المفهوم هي في حقيقة أمرها مفهوم مقترح ومستثمر هنا، إذ ثمة إحالة للفكر من بعده المعاش إلى بعد غائي، بغية تحويل الغائب، المتواري عن النظر (فرويد هنا نموذجا) إلى حقيقة عيانية، للإنهمام به.

Der mann moses ein historischer roman، مستهدفا تصورا جديدا للحقيقة، تحت اسم «الحقيقة التاريخية»، أي حقيقة أن الشولار الأرشيب[1]، عمل المؤرخ، وربما الفلسفة قد تلاقي صعوبة في إيصال فكرتها، إذا فرويد لم يعد كشاهد، بدور الشخص الثالث (tertis) يجد نفسه كشاهد يقوم بدور شخص ثان. حركة من حيث المبدأ متناقضة مع قواعد الخطاب العلمي الكلاسي، خصوصا قواعد التاريخ والفيلولوجيا، التي كانت قد استحوذت حتى هذه النقطة على الكتاب نفسه.

زد على ذلك، هذا الشخص الثاني، يقال عنه هكذا، لأول وهلة أنتم «وليس» «هو»، إن موقع الرسالة، هذه الرسالة المناجاتية، يقترح عليه فجأة أن ينتقل إلى «نحن»[2]. ربما لأنه يجيب بدلا عنه «في هذه القضية هنا، وطوال وجودها، لدينا الواحد والآخر، بوصفنا يهوديين، الرهان

وفي هذه الحالة يتخذ الطيف وضعا إهابيا أرواحيا وهو يلاحق الأحياء ممن يعنيه أمرهم، وبالمقابل ممن يهمهم أمره. و«دريدا» يمارس لعبة المفاهيم وهو يوظف في لعبته كل ما من شأنه التصعيد بالقول اليومي إلى ما هو مؤثر على صعيد الأثر الفكري، وفي المسار الدلالي المعتقدي للمؤلف فيكون الطيف حمالا بالدلالات وبالرموز.

(1) ليس الشولارشيب، أو الملقن في إهابه الديني، سوى ما يعتقده دريدا في توجيه فرويد مفهوميا، وهو يكون مفرداته باتجاه الأحياء. إن الشولارشيب نمط تعليمي غاني مغلف بروحانية دينية سرية، من نوع تلمودي، أو محاط بالكتمان، حيث تتجلى الحقيقة ذاتها أسرارية، مصدرها الماضي، ولكنه الماضي الذي أغمط حقه في منظور المؤلف كما يظهر.. والمعرفة ذاتها تتراءى هنا طيفية.

(2) بين خطاب المتكلم المفرد والمتكلم الجماعي حركية إلغاء لوصائية الأنا لصالح ما هو عام. ولكن الجمعي هو عملية قلب الفردي، أو كما يظهر فردي مجمعن. فالمتكلم هنا هو دريدا، والذين يتحدث بأسمائهم في مؤلفه أشخاص معروفون، وهو يذوبهم في خطابه اللعوب، أو الماكر والمتعدد الأصوات، ولكن داخل صوته..

نفسه، لهذا السبب عند الحديث عن اليهود لن أقول «هم» إنما «نحن» [we «they» I shall say » shall not say»] الفارق لن يغيب عنكم(*) .

تعريفا، بما أنه مات، فهو عاجز عن الإجابة، فهو لا يستطيع أن يوافق، ليس بوسعه معارضة هذه الجماعة المقترحة والمفروضة في الوقت نفسه، فهو لا يستطيع إلا قول «نعم»، «oui» لهذا الحلف حيث يجب عليه الدخول فيه مرة أخرى. لأنه كان عليه الدخول فيه، مدة سبعة أو ثمانية أيام، بعد ولادته.

Mutatis mutandis[1]، إنها واقعة لا تماثلية وتبعية مطلقة، حيث ينوجد فيها ابن يختتن بعد اليوم السابع، ويتم إدخاله في الحلف، في لحظة حيث هو خارج القضية التي يجيب عنها، علامة أو توقيع، هنا أيضا حين يعبر عن الأرشيف، في متنه يعتزم فرويد على التذكير بالحلف المؤبد الذي تترتب عليه النتيجة الخارقة: «سأقول نحن I shall say we». عندما يخاطب طيفا أو وليدا.

(لنشر إلى ذلك على الأقل ما بين قوسين: إن عنف هذا اللاتماثل **الجماعي**، يبقى في الوقت نفسه خارقا وبدقة مشتركا بشدة. أصل كلمة **المشترك** يحدث في كل مرة حين نخاطب شخصا ما، وندعوه بالافتراض

(*) المصدر نفسه ـــ ص155

(1) هذه الطقوسية المتحولة بقدر ما تبدو ضاربة بجذورها في القدم (في المنطقة ككل)، كونها لا تتوقف في تفعيل خاصيتها على ما هو خاص ومحدد بجماعة محددة، إنما تمارس تأثيرها على كل المعنيين بها وباتجاه الآتي. فالدخول في الحلف يفصح عن وضع قبالاني تلمودي، وإشراقية منشودة، كما في الزهار في صيغته السرية المحصنة. كان دريدا إذ يفتح المجال واسعا ليورشالمي لكي يتحدث منطلقا من كتابه، فإنما لكي يقول ما لديه، باعتباره مأخوذا بالحضور الرمزي المهيب للحلف ذاك!

أي نفرض «نحن» وبالتالي تدوين هكذا، الآخر، في هذه الواقعة، واقعة رضيع طيفي وأبوي في آن)[1].

كل شيء يحدث كما لو أن يورشالمي قرر أن يختن فرويد بدوره، كما لو أنه كان يشعر بالالتزام المستقبلي ("we" I ahall say) بإعادة ختانه شكليا للتأكيد على هذا الحلف كما لو أنه كان يستشعر الواجب. في الواقع. بتكرار حركة يعقوب فرويد، عندما في كتابة خارج وداخل الكتاب في الوقت نفسه مباشرة، في الكتاب (التوراة «م») وفي melitzah ذاك يذكر شالومه «في السنة السابعة من أيام حياته، روح الرب بدأت تنبض فيك وتخاطبك»[2]، اذهب، اقرأ في كتابي، ذاك الذي كتبته[*]. (الذاكرة بلا ذاكرة، العلامة تعود في كل مكان، حيث يجب مناقشتها مع فرويد، حول العبارات السريعة التي كثر منها في هذا الموضوع بالطبع موضوع يتعلق بالأرشيف الفريد من نوعه، والذي يسمى «الختان» بالرغم من أنه يتحدث عنه هنا أو هناك من وجهة

---

(1) هذا الرضيع الطيفي والأبوي يمثل ثنائية تجسد مفارقة وفي الآن عينه معانقة أو مطابقة. فالرضيع الطيفي هذا القاصر الغر، هو نفسه الأبوي الذي يتحكم بالآخر، بمخاطبه، بمن يقصده ويؤثر فيه ــ إنه بقدر ما يتطلب انشغالا به نظرا لأهميته تاريخيا وثقافيا ودلاليا، كونه القادم المستقبلي والمنتظر، بقدر ما يتضمن حضورا مهيبا في اسمه، وفي دوام حضوره كأب هذا الذي أطنب في إبراز مكانته (أي فرويد)، كما في (موسى) وغيره. وبذلك يصعد بـ(نحن) ليكون بديلا عن الأنا، ويكون المتحدث عنه مشغولا بكل الصياغات القضائية دينيا، ربما يكون (يهوه) تجسيدا حيا للطيف نفسه، بوصفه الأب الذي يخيف ويطاع في آن.

(2) ليس فرويد ليورشالمي، سوى علامة حضور تاريخية، أو الوشم الذي يميزه عن سواه، خصوصا وأن يورشالمي في تصوفيته اليهودية وذات النزعة السرية يتلمس في فرويد أكثر من حضور أبوي مفارق لجسده، ومتجل بكل سيميائه الإسمية والروحية الماضية في الزمن، والأمل الموعود لاحقا!

(*) المصدر نفسه ــ ص 139 ــ

نظـر فرويـد أو جونيـس، يورشـالمي لا يحـدد هـذه العلامـة علـى الأقـل في حرفيتها في صلب كتابه(*)، ولغز هذا الختان، خصوصا في الحرب الفاصلة بين اليهودية والمسيحية، هو (أي اللغز «م») في الغالب لغز خطيته، وكل ما يعتمد عليه، رغم أنني أؤمن بهذه المسألة الصعبة خصوصا في إعادة قراءة فرويد، صعبة خصوصا، بلغز يتعلق بالخصاء castration كان ينبغي علي أن أدعه جانبا غير مأسوف عليه، مع اللغز المتعلق بالتعاون، هذه الأرشيفات **الجلدية** أو الرقيـة المحتـواة بكتابـه، بحيـث أن اليـهود هنـا أيضـا، وليـس اليهودية، تحمل عن كثب على الجسم، وبين ذراعين، وعلى الجبهة: مباشرة على الجسم، كل شيء مثل علامة الختان، إنما مثل **كائن**، لا يستبعد هذه المرة الفصل وفك الرباط ونزع الركيزة والنص معا).

في هذا المشهد البنوي بحميمية مفرطة، الذي يظهره يورشالمي لأب التحليلنفسي، تنطلق المناجاة منذ جلاء الأب، الأب لوالد والد الميت(1).

(*) موضوع الختان مع ذلك معالج بوجهات نظر عدة في كتابه موسى الإنسان، من وجهة نظر تاريخية، ربما الأمر يتعلق باحفورة دالة (leitfossil) لمساءلة الذاكرة وتفسير علاقات الإسرائيليين، مع عبودية، والخروج l'exode من مصر (حيث الختان ممارسة قانونية). من وجهة النظر الأكثر بنيوية، كان الختان الحامل الرمزي لخصاء الابن من قبل الأب البدائي le pére primitif.

(1) للأب في اليهودية حضور كبير يتمثل في يهوه. ومن هنا كان الختان مشغولا برهانات عدة، إذ أنه يتجاوز إطار قطع الغرلة أو القلفة. إنه بتر نفسي ودخول في الحضرة البطريركية، وانشغال بطاعة الأب الأعظم. وفي الوقت نفسه تمايز عن الآخرين.
ولهذا اختلف اليهودي عن المسيحي عبر تشدده في الممارسة الختانية، ومن خلال إصحاحات كثيرة في التوراة، لا بل وفي كتب يهودية تعتبر مقدسة، ويتخذ الختان الذي يلي اليوم السابع بعدا فلكيا (كونيا)، فالرب في اليوم السابع استوى على العرش. حيث اكتمل وبدأ بممارسة سلطته وإدارته للكون، والختان المختون حالة مماثلة للكوني واكتمال. والمسيحي لا يجيز ذلك خصوصا حين يحيل مفهوم الاسم «عيسى» إلى المسيحي. أي المؤمن به من عدا اليهود، ومن باب التمايز...

الآخر يتكلم. وغالبا ما ينسحب الأمر على المشاهد حيث يقوم الابن مقام الأب. الكلام يعود للجد المتوفى. الكلام يعود: كفعل كلامي. وكحق في الكلام. لماذا هذا المونولوج ليس مونولوجيا بالطبع. ولا مناجاة نفس[1]؟ لأنها تمثل السخرية، وهي تبدو مثل «مونولوج مع....؟ » هل لأنهم أكثر من شخص حين الكلام. بلا شك إنما يوجد أكثر من هذا العدد. هناك نظام. لأنه فيما إذا كان موقع المونولوج ليس وحيدا في التوقيع، أبعد من هناك، فإنه لم يتمكن خصوصا الأول للقيام بذلك. يتحدث بدءا من ظهور الآخر: يحمل في ذاته، هذا الناطق بلسان الآخر، يتحمل عبء الصوت الذي قد يكون صوت يعقوب فرويد، أي الأب البطرياركي للتحليلنفسي، وفي النتيجة باسم يعقوب إن صوت كل آباء التاريخ البطريركيين للتاريخ اليهودي بشكل خاص، على سبيل المثال هؤلاء الذين ليس فقط يثبتون أبناءهم في الحلف في لحظة الختان، ويقومون بذلك أكثر من مرة حرفيا أو شكليا. لكنهم لا يكفون عن إخفاء ذهولهم والبقاء شكاكين أمام الإمكانية حيث ابنة تتحدث باسمها الخاص.

وأشرت إلى الطلب الأخير الذي وجهه موقع المونولوج، دون رد لطيف فرويد. الطلب ينتقل عبر سؤال، يجب علينا تمييز كل سؤال عما عداه،

ـ انظر حول ذلك «سامي الذيب» في: ختان الذكور والإناث عند اليهود والمسيحيين والمسلمين. «الجدل الديني» ـ منشورات رياض الريس ـ بيروت ـ ط1 ـ 2000ـ ق 2 + 3..

(1) يمنح دريدا المناجاة قيمة اكتشافية ومن الأعماق، لأنها من ناحية تتوافق مع منهجه التفكيكي والأركيولوجي هنا، وكذلك نزوعه التأويلي الذي يغازل به كل ما هو أسراري يهودي، ولهذا يجعل المناجاة خطابا مقروءا أو ظاهرا!

فالمونولوج داخلي، وعليه أن يذاع، أن يتحول المصان إلى علني، عبر أهميته المميزة، كما يذهب في ذلك دريدا نفسه. وها هو يمارس أركيولوجيا في متابعة كل ما يكونها، ويسميها بكل ما يشكل عناصرها ودعاماتها من ناحية أخرى.

الطلب يتعلق بموضوع آنا فرويد[1]، انتيغونكم votre Antigone، يقول في مقطع يورشالمي الذي، وهو يطابق بوضوح طيفه فرويد مع طيف أوديب، وربما يعتقد، - وربما - أن ذلك يكفي لنزع الأدبنة.. علاقتها الخاصة بفرويد، كما لو كان مستبعدا أن يغدو أبدا أوديب أوديب[2] في عام 1977، دعيت آنا فرويد من قبل الجامعة العبرية في القدس، لتدشين كرسي يحمل اسم والدها المتوفى منذ زمن طويل - ممنوعة من المجيء - هي أيضا- ألقت هي أيضا كلمة مكتوبة. في هذه الوثيقة الأرشفية الأخرى التي استثمرها يورشالمي بشغف، وضحت آنا من بين الأشياء الأخرى بأن الاتهام الذي بموجبه يصبح التحليلنفسي «علما يهوديا» «في الظرف الراهن، قد ينتصر انتصارا مذهلا»[*].

---

(1) من الملاحظة أن أنتيغون هنا هي بنت الملك أوديب من أمه جوكاست، وهي التي بقيت وفية لأبيها حتى عندما سمل عينيه بعد افتضاح أمره، إذ رافقته في وحدته وغربته حتى موتـه. ثم عادت إلى طيبة لتشهد صراعا بين أخويها. وتبقى حتى النهاية مخلصة لعائلتها ولفكـرة التضحية حتى موتها جوعا.
ويمكن مراجعة مسرحية (أنتيغون) لـ«سوفوكليس» لمتابعة حيثيات هذه القصة اللاشعورية المنحى أما هنا فإن ثمة تداخلا بين آنا بنت فرويد وأنتيغون، حيث بقيـت معتـدة بأبيـها مخلصة له. ألاحظ العلاقة بين أنا والحروف الأولى من أنتيغون. وكأنها في حياتـها تؤكـد على صوابية فكرته حول عقدة أوديب. وها هو دريدا يثير قضية كهذه!

(2) أوديب بن لابوس ملك طيبة وزوجته جوكاست. تنبأت عرافة دلفي بأنهما سـينجبان ولـدا يقتل والده ويقترن بأمه. وهذا ما حصل. وحيث يكتشف ذلك بعد لأي، يسمل عينيه.. إلـى آخر القصة... أما ما يخص المقتطف هنا، فيلاحظ تداخلا بين فرويد وأوديب طيفيا. فلكـل منهما حكمته وشجاعته وتاريخه ووزره في آن. وهو في علاقته مع ابنته من ناحية حبـه لها كعلاقة أوديب مع أنتيغون. وكأن المحيطين به انفضوا من حوله. ولم يعروه الاهتمـام المطلوب. ولكن ما الجريمة التي اقترفها. ألأنه افصح عن جريمة وسماها؟

(*) المصدر نفسه ــ ص 187

هذه الجملة **المكتوبة** من قبل آنا، يتساءل يورشالمي فيما إذا كانت قد وقعت من قبل آنا، ومتساءلا عن ذلك، يطلب من مخاطبه الطيفي «يسائل طيفه الذي سئل بداية»[1]. فيما إذا كانت ابنته تتحدث عن اسمها الخاص لنفسها: كما لو أنه كان يشك بأن ابنة، خصوصا ابنة فرويد، تستطيع التكلم باسمها الخاص حوالي ثلاثين سنة بعد موت أبيها، وخصوصا فيما إذا كان يسريه (سر أراد الاحتفاظ به، أي مشاطرته مع فرويد، وهو الوحيد الذي شاطر مع فرويد). كان يتمنى أن تتحدث دائما باسم والدها باسم الأب.

«في الواقع، ولكي أكون واضحا فيما أحدد أكثر، أكتفي بردكم على هذا السؤال: متى قامت ابنتكم بإيصال هذه الرسالة إلى مؤتمر القدس، هل كانت باسمكم، وقد عبرت عنه؟ أتوسل إليكم أستاذي العزيز، قولوا لي ـ أعدكم بأن احتفظ بالسر»[*].

إنها آخر كلمات الكتاب، كل شيء يبدو مختوما بهذا التوقيع الأخير الذي كان على شكل الوعد[2]. سرا إنما بوضوح، في ملاذ سري، حيث

---

(1) يصعد دريدا بالعلاقة المذكورة إلى مستوى المساءلة والتحري الداخليين. إن فرويدا، ونظرا لوطأة الظروف التي مرت به ورهاناته النظرية والعملية في مجال عمله التحليلنفسي، والذين تتلمذوا على يديه وشقوا عليه عصا الطاعة، يراهن هنا على ابنته، يتلمس فيها وحدها إمكانية الإخلاص لما يمثله حتى النهاية... ثمة أرشيف ينقب فيه من الداخل ومن لدن المؤلف، مؤكدا مقام فرويد وإشكالية فكره!

(*) المصدر نفسه ـ ص 188.

(2) يسهب دريدا من ناحية في الحديث عن علاقة فرويد بابنته وبالعكس، وتداعياتها، ولكن يورشالمي يغدو هنا موضوعا مرافقا للعلاقة هذه، إنه طرف في العلاقة الأثنينية، وفي الآن عينه المصدر الأهم لتأويل ما لم يؤول بعد بدقة، أو كما يجب، وكما يستنتج من كلامه من ناحية أخرى. فرويد هو أب وبطريرك، بالنسبة لأنا، وهو أب وبطريرك رمز بالنسبة ليورشالمي، وهو أب وبطريرك تفكيكيا بالنسبة لدريدا، إذ يشكل حقلا خصبا لإطلاق أفكاره

يريده بيانا لسر يسعى إلى جعله علنيا، يتمنى يورشالمي، أن آنا - أنتيغون لم تكن ناطقة حية، والمفسر المخلص، والناطق الصوتي القادم من جهة أستاذها والدها المتوفى، وبغية تمثيل كلامه، اسمه، انتمائه، أطروحته، وحتى شرفه، ماذا كانت تقول إذا حسب يورشالمي، بالرغم من كل الإنكارات الاستراتيجية لفرويد. وبالرغم من كل التحذيرات السياسية التي أراد مضاعفتها خلال سيرة حياته، ما يتعلق بالجوهر العام (الجوهر اللايهودي)، للتحليلنفسي، هذا الذي يجب أن يفتخر به كونه يهوديا، كونه علما يهوديا بشكل أساسي وجوهري، وجذري، علما يهوديا بمعنى مختلف عن الإدعاء المضاد للسامية، وهو إذ يكتشف «الحقيقة التاريخية» لمعاداة السامية[1]. هنا يبدو لي أن أطروحة يورشالمي، تتقدم وهي تنسحب، لكنها أطروحة حيث نظامها هو في الواقع خاص بما فيه الكفاية - والحركة المفارقة: هي أن هذه الأطروحة تقدم أقل مما هي عليه، مما تكونه، ويجب أو سوف يجب أن تكون في المستقبل، أي أن التحليلنفسي يجب أن يكون علما يهوديا (أعود بعد برهة إلى هذه النمذجة الزمنية)، بلا شك، بالمعنى المختلف جذريا عن معنى إدانة معاداة السامية، والتي ربما تظهر مرة على الأكثر، بموجب حركة فرويدية جدا، في أسلوبه وفي تقليده، الحقيقة حيث لا وعيها المضاد للسامية قد يكون حاملا لها[2].

وتساؤلاته واستثمارها، لأن ثمة أكثر من علاقة قربى تضعهما في مواجهة مصير مشترك من ناحية استعداء الآخرين، وفي الوقت نفسه الإكثار من الخصوم والنقد الحاد.

(1) دريدا في مسعاه المعرفي والأركيولوجي، يشدد على مقولات فرويدية وتوراتية وإيديولوجية بخصوص معاداة السامية. وهو في إجرائه يحاول ممارسة مسح أركيولوجي تاريخي عما يخص اليهود معرفيا، وما يقال حول ذلك، دون أن يبعد نفسه عن المؤثرات الخاصة باليهودية من موقع معتقدي وسيكولوجي وثقافي.

(2) يمكن معالجة هذه النقطة على أكثر من صعيد تاريخيا وميثولوجيا ودينيا. ولكن ما يمكن التدقيق فيه هو أن فرويدا لم يكن مستقلا عن عباءته اليهودية التي تلبسته في معظم مقولاته.

سنعثر على هذا السؤال بصياغة أخرى بعد هيمنة في هذه اللحظة، أسحب من هذه الربطة خيطا وحيدا تفسيريا، خيطا يتعلق بالأرشيف، كيف يغدو قانون الأرشيف في الحالة هذه؟ حسن، بطريقة استثنائية تماما وغير مألوفة، ونادرة وتدشينية حتى بالمتناقضة مع التقليد وفكرة العلم نفسها **للأبستيمي** epistéme **للتاريخ** istoria أو **للنظرية** theoria، وحتى الفلسفة في الغرب، واليوم، بدءا من هذه اللحظة حيث علم يبتدى كذلك، وبهذا القلب، يرتبط جوهريا ليس فقط كذلك، وبهذا اللقب، يرتبط جوهريا ليس فقط بتاريخ لقب خاص وببنوة وبمأوى، هنا منزل فرويد، لكن باسم أمة وقانونها، باسم شعب أو ديانته[1]، هنا التحليلنفسي كعلم يهودي، ذلك يقوم بالنتيجة، بتحويل العلاقة جذريا علاقة علم كهذا

كما أن دريدا في مقاربته لشخصية فرويد يعزز تلك المقولات الخاصة بما هو يهودي، وما يمكن القيام به بخصوص تطعيم الفكر الغربي (السائد) وفي تجليه المسيحاني بما هو يهودي، خصوصا حين يركز على الوعد والمستقبل المنتظر في مسيحيانيته المتهودة في العمق.

(1) لا يحتاج القارئ العادي أو نصف المطلع إلى الكثير من التفكير لإدراك مرامي دريدا في مصطلحاته ومقولاته التي تتعلق بالفلسفة والشعب والأمة والتاريخ. فهو إذ يتحدث عن العلم فلكي يقرنه بما هو يهودي. العلم من وجهة نظره كما يلاحظ هو انبثاق المنتظر يهوديا. ما كان لا شعوريا (نستأنس هنا قليلا بفرويد) وهو موسوم بالفرويدية هو فاعل معرفي في العمق. وهذا يطال التاريخ والفلسفة، وقد ذكرنا سابقا قائمة بأسماء يهود في حقول معرفية مختلفة. لكنني أحسب أن اللاشعور الفرويدي يرتقي هنا ليمثل المكانة اليهودية المغيبة والكامنة والمؤثرة في أن، في واعية أولئك الذين يمارسون حياتهم ويبدعون ويفلسفون مقولاتهم معتقدين أن الشعور هو الفاعل في ذلك، بينما اللاشعور، هو الفاعل الفعلي. وفي ضوء ذلك تصاغ مفردات مفهومية سياسية لتكون حقائق دامغة وجدت ولم يصغ إليها في المغرب خصوصا، وهي المتمثلة في اليهود والأمة والشعب والتاريخ والعلم.. الخ.

بأرشيفه الخاص، وبغتة، وللأخذ بالحسبان، فرادة حاكم قضائي arkéion ذلك يعني أنه يحول مفهوم العلم ومفهوم الأرشيف، علم، فلسفة، نظرية، نظرية تتطلب البرهنة عليها. في البنية **الكلاسية** لمفهومها، يجب أن تكون مستقلة **جوهريا** عن الأرشيف الخاص بتاريخها. من المعروف أن هذه الأشياء (العلم، الفلسفة، النظرية...الخ). لها تاريخ، تاريخ غني ومعقد، يحملها، وينتجها بألف طريقة[1].

ومن المعروف أيضا بطريقة مختلفة ومعقدة، أن الأسماء الخاصة والتواقيع تؤخذ بعين الاعتبار. لكن بنية العبارة النظرية والفلسفية والعلمية، خصوصا عندما تتعلق بالتاريخ، لا تمتلك، ولا يجب أن تكون لديها حاجة جوهرية من حيث المبدأ، حاجة تتصل بالأرشيف، وما يربط الأرشيف بكل أشكاله بالاسم الخاص، وبالمتن الخاص، وبالبنوة (العائلية أو القومية) وبالأحلاف، وبالأسرار، لا توجد حاجة كهذه على كل حال في علاقته، أو في ادعائه للحقيقة بالمعنى الكلاسي لهذه الكلمة. لكن مع أن يتم الكلام عن علم يهودي، أيا كان ذاك الذي نفهمه تحت هذا الاسم (سأعود إليه بعد برهة)، يصبح الأرشيف لحظة مؤسسة للعلم[2] وليس

(1) هذا ما يرتئيه دريدا جيدا وينشغل به، حين تنشطر الحقيقة عنده، ويغدو الحنين إلى الأصول المغيبة، المهمشة، المحظورة، المرهوبة الجانب) أصولا لحنين مضاد يدشنه في كتابه هذا وغيره. إن الـ (ألف طريقة) هي بمثابة جرس انذار لكل مقولة متمركزة حول ذاتها (غربية قبل كل شيء، ومن في أهاب مسيحياني مذهبيا) إذ أن موسى حليف عيسى هو سلفه الصالح، ولا يجوز تجاهل ما يمثله تاريخيا. فكرة الـ(ألف طريقة) هي ممارسة التأويلات ضد الوثوقيات.

(2) لا علم إلا بالأرشيف. وهذا ما يتمسك به دريدا. الأرشيف هنا نبش بالمؤرشف، قلب لمعانيه، إدراج الأسئلة التي ظلت طويلا هرطقة في حيز المعرفي.. الأرشيف وثائقي وفي

فقط التاريخ وذاكرة الأحداث النادرة، والأسماء الخاصة، والملفات، والبنوات النموذجية، إنما الإيداع في الأرخيون (قد يكون أثرا أو معبدا)، الإيداع في مكان خارجي نسبيا، المقصود هنا الكتابات والوثائق أو العلامات المطقسنة ritualisées على جسد خاص (على سبيل المثال التعاويذ أو الختان) الأمر يتعلق هنا الأخذ على محمل الجد، مسألة معرفة فيما إذا كان علم بوسعه أن يعتمد على شيء ما كالختان[1]. نقول عن عمد «شيئا ما مثل ختان» للإشارة إلى موقع هذه المشكلة، موقع أشكال بين الشكل والخطية. هل بالإمكان أن يرتضي المرء بكثير من العبارات حول فرويد، فيما يخص الختان، المرتبط دائما وبسرعة بالخصاء أو بتهديد بالخصاء؟ لشرح تكوين مفهوم معاداة السامية، أي الغيرة في مكان شعب كان يمنح نفسه - يقول - كالمختار عند الله Comme l'iné Favoride Dieu، فرويد يشير في كتابه moise.... إلى العزلة المحددة

الوقت نفسه دلائلي، حيث يطيح بكل غائية مرسومة في كنف المعاش والممارس والمنقود من قبل دريدا في فرنسا وخارجها.

(1) تلعب الوثائقية دورا كبيرا في صياغة اطروحات دريدا إلى درجة أنه يسعى إلى تثبيت فكرته انطلاقا من الوثائق التي يتصدى لها بالدرس والتمحيص، ولكن في محاولة منه تقديم وجهة نظر مغايرة. تجمع بين حيوية الوثيقة ودلالتها بوصفها تيمة تتضمن عناصر ثقافية واجتماعية وطقسية ودينية. ولا أدل على ذلك هنا أكثر من فكرته هنا بالذات. عندما يقدم الختان مقروءا دريديا، وقد انشغل به مؤلفو تصورات وطارحو أفكار سابقون (فرويد قبل غيره).

الختان كتابة موثقة، كتابة عهدية، كتابة مدفوع ثمنها مسبقا. كون الجسد بكل مداميكه الطقسية حيث يشكل هو ذاته إيداعا في حضرة الإلهي.

ودريدا يساوم على الختان ويراهن عليه بوصفه إمكانا فعليا لما يجب الأخذ به من خلال نتائجه. إذ نكون هنا في إهاب الأرخيون: النصب الجسدي والسلطة الرمزية المتمثلة في دلالاته مع الزمن.

لليهود[1]، والعزل الذي يفصلهم عن العالم، العزلة حيث فيها يقصيهم ختان يذكر دائما بالخصاء الذي يخشى منه. ذلك يظهر هنا على كل حال، أقل أهمية، حتى أقل إقناعا من طريقة يصفها فرويد بانطباع يتركمه الختان على اللامختتنين Les incirconcis انطباع غير سر، مقلق (unheimilich)، (أحاول أن أظهر في مكان آخر، ولا أستطيع التوقف في كل مرة تظهر كلمة (unheimlich) في نص فرويد - وليس فقط في الدراسة التي تحمل هذا العنوان Das unheimlich - يمكن تحديد اللاقرارية المتعذر بلوغها في البداهة. في الابستمولوجيا. في المنطق، في نظام الخطاب، وفي العبارات اللاهوتية أو النظرية، وهذا ينسحب حتى بطريقة دلالية تماما على هايدجر)[2].

يورشالمي يفكر بلا شك، وكتابه يبدو أنه يميل إلى برهنته على كل حال، بأن التحليلنفسي هو علم يهودي. يبدو أنه يسعى إليه بالمعنى البدئي. مقترحا تحديدا صارما و«علميا» للقراءة إلى أرشيف غابر أحيانا (الرواية التوراتية أو التلمودية الأكثر قدما). وأحيانا أحدث ظهور إلا أنه

---

(1) ينشغل دريدا كثيرا بالختان، لدرجة أنه بات مأخوذا ببعده التضحوي والطقسي، وكانه امتياز يهودي محض، وفي الآن عينه علامة تمايز. وما يترتب على هذا المنحى من تبعات سياسية واجتماعية ونفسية وأدبية. الختان أركيولوجيا خارجانية (ملحوظة عبر الجسد) ولكنها داخلانية في مسارها التاريخي، وبما يتجاوز المنظور الحسي، لتغدو مدخلا لمقاربة بنية وحقيقة من يراهن عليه ويتميز به أكثر من سواه (اليهودي متميزا عن المسلم، فالاثنان يختتنان مثلا).

(2) هل لأن الختان قرين الخصاء ومستدعي الذاكرة الدينية الطقسية (شعب ماخوذ في كليته بالإلهي، في إدعاء إخلاصه له دون غيره)؟ والخصاء ذاكرة كبتية وهذه تشرف بنا على أواليات نفسية واجتماعية وسلوكية. ويكون فرويد الممثل الأبرز لابل الأوحد الذي طبع التحليلنفسي بطابعه على صعد مختلفة، بوصفه يهوديا؟

ترك إثباته الخاص معلقا هناك حيث قد يبدو الأرشيف اكتسابا. السؤال الأساسي يبقى دون جواب.

من وجهة نظر فرويد. يورشالمي يرى بوضوح أن الشيء يجب أن يقال من فم فرويد. ينبغي أن يقول فرويد أيضا باسمه الخاص، وأن يعترف أو يعلن نتيجة، يتعذر تبسيطها، بأن التحليلنفسي يجب أن يفتخر به كونه علما يهوديا نتيجة من خلالها يحدد العلم، العلم التحليلنفسي، مثلما الجوهر المتهود وإلا اليهودية La judeite. Sinondu judaisme بطبيعة الحال، إذا أمكن القول، إن طيف فرويد لا يرد، على الأقل من حيث المظهر[1]. لكن هل يمكن الاعتماد عليه؟ حين وعد بالسر، بالنسبة لجواب افتراضي منتظر، والمرتقب دائما، فإن موقع هذا المونولوج يحمل على الاعتقاد بأن فرويدا قد لا يقول أبدا علنا، على سبيل المثال في كتاب، وفي

---

(1) ثمة استماتة من لدن دريدا في الدفع بمقولته الخاصة بفرويد هنا إلى أبعد مدى. وهو يحاول تمييز اليهودية كمفهوم معرفي لا يفتقد أصالة النسب ـ كما يستنتج من كلامه ـ واليهودية كمفهوم إيديولوجي يمارس مركزة التصور الأثني باستعلاء كخاصية تمايز عرقية محض.
وطيف فرويد الموغل في القدم بأثرياته الميثولوجية والأدبية والاجتماعية والرمزية يتجاوز فرويد إذ يلح على استدعائه اسما وفاعلية اسم وحيزا لما يمكن قوله. إنه طيف عنيد، متمرد، استجوابي، مغامر ومداهم، بقدر ما يكون طيفا قلقا، إشكاليا، يشكو اتكفاء على الذات، ورهانا على مجهول حين يسميه، يتعلق بالسر المقلق. وقراءة دريدا له ممعنة في البلاغة النصية والأدبية والسجالية لحظة مقاربةمضمونها ومحركاتها البنيوية.
إن أسئلته المتواترة لا تخفي قلقها الداخلي، ليس في اعتبارها شغوفة بالمعرفي فقط. بقدر ما إنها تكون معمدة بالمذهبي في الصميم، وهو إذ يكثر من الأسئلة يتجاوز الافتراضيات، يقلق قارئه، يثقل عليه بظلال أفكاره عبر أسئلة هامة. ومن ثم يحاول الاستحواذ على تفكيره إذ يحيل ما يقوله وينفتق عنه ذهنه من أفكار إلى ميتافيزيقيا تاريخية ومتصورة!
فيغدو القلق المتحدث عنه قلقه، والمونولوج المقترن بيورشالمي مونولوجه هو بالذات، إذ يتهم به كثيرا.

مما هو مخصص ليصبح أرشيفا عاما، هذا مما يفكر سرا في الواقع، مثلما هو يناجي ذلك قائلا «نحن»، أي أن، نعم، التحليلنفسي هو إذا علم يهودي ومع ذلك أليس ما تركه كان على الأغلب مفهوما؟ أليس ما همس به، ما يخص غايات تتصل بالآداب عبر ألف علامة أحصاها يورشالمي مصنفة، ومرتبة، ومفسرة، بانتباه وابتهاج لا مثيل له؟ لكن في نهاية الكتاب، المناجي يقول «نحن»، يدعي أنه مستعد لاحترام السر، والحفاظ في أرشيفاته الشخصية، الجواب حيث الطيف بوسعه ومن فمه الخاص، أن يوشوش في أذنه شخصيا. لا شيء يبدو لي جديا باستثناء لعبة الخاتمة هذه، في السر ذاته، الافتتاحية في خياله القلق، والأسباب عديدة. بعضها تبدو وكأنها تتجه نحو الماضي، وأخرى نحو مستقبل الأرشيف[1].

أ ـ فيما يتعلق بالأسباب الأولى، تلك التي تتجه نحو الماضي، لن أقول إلا كلمة واحدة، كلمة تتحرك ما يربط، بنظر فرويد، خصوصا، ذلك الإنسان **المولع بقراءة الكتب**: L'homme aux rats وتقدم العلم والعقل، عند ظهور البطريركية. في ملاحظة لن يفسح لي المجال أن أقرأها هنا، وأن أعلق عليها في مكان آخر، أخطأ فرويد ثلاث مرات مع ليختنبرغ Lichtenberg، حيث يبحث عن وسيط Caution، أخطأ وهو يؤكد بأنه ليس في وسعه أن يشك فيما يتعلق بهوية الأم، ومنذ ذلك الحين. اعتمد هذا التحديد للهوية، لشهادة الأحاسيس. هوية الأب بقيت دائما مثارا للشك

---

(1) **الأرشيف الذي يذكرنا بالماضي يقفز بنا سريعا نحو المستقبل. إنه أرشيف من نمط معين، يحمل علامات دريدية تاريخية توراتية المنحى. الجسد اليهودي بعد جلي من أبعاده، وتغدو اليونانية كمصطلح أثير وتاريخي ودلالي في خدمة ما يطرح هنا حيث الأرشيف يستدعي الأرخيون، والأرخية، والأرشيك، ويكون السر حيزا واسعا لقول المنتظر، والإعلان عنه، حين يهود، ويعمد بما هو يهودي فرويدي العلامة!**

لأنها قامت، هي، وهي وحدها، على استدلال عقلاني، مثل هذا «**الخيال الشرعي**»[1] Legal Fiction حيث يتحدث عنه ستيفان **stephen في يوليسيس** لجويس joyce والحالة هذه، والأفضل راهنا مما سبق، هذا لا يحتاج إلا إلى إمكانية أمهات حاملات وأموميات مرممة، وبنوك من النطاف، وكل التعشيرات الصناعية[2]، مثلما تؤكدها وسوف تؤكدها لنا أكثر في المستقبل التقنية العلمية، الوراثة الحيوية، من المعلوم أن الأمومية، هي أيضا مستدلة مبنية ومفسرة، مثلها مثل الأبوة. ومثل القانون الأبوي في الحقيقة، كان الأمر دائما كذلك، بالنسبة للواحدة تلو الأخرى. فرويد أخطأ مرة ثانية حين اعتقد مع ليختنبرغ، بأن الأبوة هي وحدها، هي أيضا غير مؤكدة، مثلها مثل مسألة معرفة فيما إذا كان القمر مسكونا

---

(1) يحول دريدا مفهوم الخيال من حالته الشخصية والذاتية إلى قضية عندمايمد بمفعوله فلا يعود مجرد وظيفة نفسية وذهنية في لحظة معينة لا ينتبه إليها، إنما أرضية لبناء فكرة منتظرة، حيث الأب هو المغذي هنا، ولخلق أداة توصيل بين الماضي والحاضر، ولا يعود الموت مجرد تعديم لجانب من الحياة، إنما أخص لدلالتها، وتعميق لمفهومها. ولا يخفى تأثر دريدا «جويس» نفسه الذي عاش بين عامي 1882 ـ 1941، فهذا الإيرلندي الصعب المراس، والمعقد الأسلوب اعتمد نهج تيار الوعي في كتابة الرواية، خصوصا (يوليسيس) حيث يبدو تفكيكا في الأدب، ويعتمد على أمثلة مقتطفة بين ثقافات مختلفة. الأوديسة والتوراة والإنجيل، وحضور الأمثلة التوراتية في روايته هذه قوي، كما أنه يستشهد أكثر من مرة بـ«هاملت» شكسبير، وما يخص طيف الأب كما يتضح في شروحات الكتاب المترجم عن دار المدى ـ دمشق ـ 2001، فهو مقرب إذا من دريدا للأسباب المذكورة أعلاه!

(2) les insémination artificielles. ما علاقة التعشيرات الصناعية بموضوعة الأرشيف، بموضوعة طيف الأب، بالخيال الشرعي؟ ثمة قاسم مشترك، كون التعشيرات الصناعية حالة مزاوجة موجهة وعبر تدخلات بغية الحصول على ما هو منتظر. وهي توسع حدود العلاقة الاجتماعية والمآلات الفكرية في أي قضية.. ثمة اخصاب للخيال الشرعي، بعث للأرشيف المنشود.

يعرف اليوم ومع كل يقين موضوعي بأنه مقفر، وبالعكس، من السهل جدا رؤية ولمس أديم هذا الكوكب أكثر من الهوية المؤكدة لأم. وأخطأ فرويد مرة ثالثة حين استخلص من كل هذه الأخطاء، وهذه الأوهام والتوهمات phantasmes، نتيجة متمحورة حول القضيب phall ogocentrique: ويسبب هذه الدعوى المفترضة للعقل في تسييب الأبوة فيما وراء «شهادة الأحاسيس»، فإن المقطع المخصص للأبوية سيعبر عن الانتصار الحضاري للعقل على الإحساس وعلى العلم وعلى الإدراك.

عند الشك بأن آنا / أنتيغون قد تحدثت من لندن إلى القدس، باسمها الشخصي، متمنية بوضوح، في أن تتحدث باسم والدها، باسم والدها المتوفى. إلى ماذا سعي موقع المونولوج مع فرويد إلى الطباعة الفوقية في صيغة «نحن» لهذا العقد الفريد الجانب، ولهذا الحلف، وفي هذا الختان المتجدد لفرويد؟ حسن، دون فيها ربما، ربما، (الأفضل أن أقول ربما)[1]، كما لو أن عليه باسمه، رجولية حذرة تترتب، وطاقية من المتعذر محوها! نحن: الآباء، نحن القضاء، نحن البطاركة الحراس للأرشيف والقانون[2]، أقول ربما لأن كل هذه الأسئلة تبقى معلقة الآن مثلما هي ستكون معلقة في المستقبل.

---

(1) ثمة إحالة إلى وضع احتمالي في طرح القضية هنا، نزع لها من وضعيتها الوثوقية وإيلاؤها قيمة مضافة تتمثل في استشراف آفاق عدة. إن (ربما: étre–peut) تضفي على الـ«ربما» في حالتها العادية المألوفة بعدا يقينيا أفضل، حيث التفكيك يمارس لعبة الاحتمالات، فيتعمق التفكير أكثر.

(2) كل هؤلاء الذين يرتبطون بالأرشيف والقانون (وهذا هو نفسه لصيق به من جهة قضائية: أرخونيته). يتجاوزون ويتداخلون في إرادة المعنى والدلالة، كونهم معنيين بالأرشيف والدلالة، كونهم معنيين بتمثيل القانون، ومعاينة ترتيباته ومقاربة تكويناته، وما يعززه ويتعزز به، فالقانون ذاته يؤرشف هنا، ويكون أرشيفا إذ يقترن بزمكان معين وحدث ما.

أقول «ربما»، مثلما يقول يورشمالي «ربما» لواحدة من اللحظات الأكثر قطعية لنتائجها المعلقة [Absurd? Possbly. But tomer dokhperha ps, after all....؟] («عبث، هذا ممكن، لكن Tomer dokh - ربما بعد كل شيء»(*)). كان الأمر يتعلق إذا بالنتيجة في موضوع سر فرويد وفكرة الكتيم والشائن، الذي بموجبه قد يكون التحليلنفسي يهوديا بلا إله، أو بموجبه فيما يتعلق بلا يوس laios أو أوديب[1] أو فيما يتعلق بمستقبل الدين، قد لا يكون هناك أمل... يجوز بإصرار بأنك على حق... ويردف يورشالمي، الذي يرى في إنغلاق المستقبل، في اليأس، وفي اللاوعد، وبالأحرى في الإلحاد dans l'athéisme، ما يوجد متميزا بطابع يهودي أو لا يهودي (un - jewish) عند فرويد، بحيث أن اليهودانية (jewishness)، إن لم تكن اليهودية (judaism)، تعود هنا، في جوهرها الأدنى، إنما مثل العلم نفسه، إلى افتتاح المستقبل، ومع قول يورشالمي، مع ذلك، وبدقة، حول مسألة رجاء ممكن أو لا أكثر مما يكون حول غياب الإله. حيث أن مذهبك (مذهب فرويد . م.) ربما هو أكثر بعدا عن اليهودية (may be at its most un - jewish). ألح على هذه النمذجة الجوهرية لـ: ربما، مثلما حاولت

(*) فرويد في موسى... ص 99 ، تر معدلة هنا، حيث ينقل أو يحذف الـ«ربما» هذا عبث؟ ربما. لكن tomer dorkh ـ بعد كل شيء...ص 186).

(1) أن نقول لا يوس أو أوديب، لا فرق هنا، بالنسبة لأوديب معروف من يكون. أما لايوس فقد عرف به أيضا، أنه أبوه، أو الأب الذي ينسب إليه أوديب ابنا، وهو الذي يقتل على يد ابنه، ليكون هذا زوجا لأمه جوكاست. حيث يكون ابنها بالفعل. ثمة وضعية قهرية هنا، إذ أن فرويدا يتراءة لايوسيا، عبر خاصية معرفية تحليلنفسية، بينما الآخرون الذين غدوا أخلافا له، ورثته فقد حاولوا لعب دور أوديب. وهم موجودون به. والتحليلنفسي يعلمنا بأن هذا العلم تخاصمي في الصميم، عبر عقد في الأب وأوديب. واليهودية يتم تجييرها، عندما تستلب رموزها، مفاعيلها الثقافية. ودريدا يستعرض القضية، ولكنه يناصر الأب ضد أبنائه كما يظهر.

دائمـا القيـام بذلـك(*). هـذه النمذجـة تبـدو لـي مـن المتعـذر اختزالـها. وانطلاقا من الجرأة في قول **ربما** كان نيتشه يزعم التعرف على مفكري المستقبل، أشير إلى «ربما» لسبب آخر أيضا، في لحظة الإشارة إلى هذه البنوة الأبوية للبكور من الأولاد، إذ في هذه البنوة قيد يورشالمي، على الأقل من قبل إحدى إيماءاته. لأنه ما زال يطرح على الأستاذ فرويد مسألة مهمة حول هوية الأم[1]، في خطاطة الأوديبية، هوية ربما، تكون غير محسوسة، ربما هي متملصة عن شهادة الأحاسيس، مثل «الخيال الشرعي»[2] للأب، وأكثر كذلك من هذا، ما دام هذه المرة، تكون المرأة القانون نفسه: «التوراة، العقيدة، الوحي، التوراة، التي بالعبرية، ومن النوع المؤنث، والمدراش midrash[3] يروق له أن يشبه بخطيبة. وبالنسبة لامتلاكها تأتي المسيحية الابن التالي، لتتحدى ليس من خلال الإله الأب. دائما من خلال الابن البكر، اليهودية. إن وصف هذه المواجهة المتصلة

(*) المصدر نفسه ص 95 ص 179ـ الأكثر لايهودية.. (un - jewish) يقول هكـذا حرفيا يورشالمي الذي يميز جيدا، سنعود إليها فيما بعد، اليهودانية (jewishess) عن اليهودية (judaism) اليهودية تكون «ممكنة التحديد» ومنتهية، بوصفها دينـا، تراثـا أو ثقافة، اليهودانية ليست كذلك. إذا لا يمكن ترجمة «un - jewish» بعبارة «النائي عن اليهودية» دون الخشية من خيانة أو افتقاد أطروحة هذا الكتاب ذاتها.

(1) تتسلل العلاقات هنا، فالإله اليهودي هو الأب وشعبه أوديب، بينما التوراة تغـدو أمـا فـي الحالة هذه. وفي السلسلة التحليلنفسية يكون هذا العلم بكل تفعيلاتـه الأم التـي يتخـاصم عليها، وفرويد الأب بينما الذين تتلمذوا على يديه ورثته وقتلته. يورشالمي يعزز من مكانة الأب ليكون أبا في اشراقيته، ودريدا يغدو أبا في تفكيكيته، وفيما يثيره من قضايـا يفصـل فيها.

(2) بينما اليهودية في إحالتها الأثنية والدينية، واليهود أثنية كمفهوم إيديولوجي وشعاراتي فرق جلي، أثرنا العمل به، وتوضيحه ويظهر دريدا ـ عبر فرويد ـ يقوم بفك اليهودية وإيلائـها قيمة تاريخية استثنائية معززة، وهو إذ يلجأ إلى هذا الإجراء فلكي يؤكد ما يعتـبره مغيبـا بخصوص البعد الانتمائي لفرويد وتحليله النفسي. اليهودية تغدو في هذا المنحـى حاضنـة إبداعية من وجهة نظر فرويد.

(3) يعتبر المدراش نشيدا دينيا شفاهيا. وربما كان له علاقة بالدرس الذي يوجه ويقوم أخلاقيا.

«بالمنافسة الأخوية» يبدو لي ضعيفا، نفسيا أو بالأسف تاريخيا، قد يكون من العدل التحدث عن صراع الأخوة(*)(1)..

ب- نعم لنتحدث بالأحرى عن المستقبل. تماما قبل طرح مسألته، والمتعلقة بشبح الأب، وبالطيف القضائي للتحليلنفسي، في لحظة وعده بالسر، خصوصا، حين يؤكد أن التحليلنفسي هو علم يهودي، يورشالمي قد جازف بحركة قطعية، مباشرة، بمقطع واحد، قلب كل البداهة الابستمولوجية التي حتى الآن تبدو افتراضية من خلال خطاب. لوصف هذه الحركة. مرة أخرى أيضا، يجب علي أن أختار ما يخص الأرشيف بداية، يبدو أن، أركز هنا في **رسالة خاصة**، فرويدا كان قد أعطى أساسا الرد حيث بدا يورشالمي وكأنه ينتظر، وأن يتظاهر بالانتظار[2]، وهو إذ

(*) المصدر نفسه ـ ص 174 ـ حول قضية الأخ هذه بين اليهودية والمسيحية، خصوصا في مؤسسة التحليلنفسي، أعد في أن أحيل إلى كتابي (سياسات الصداقة ـ غاليله 1994 ـ خصوصا ص 310 وما يليها). بعد تخصيص صفحات كثيرة لمسألة نزاع الأخوة هذا، يورشالمي يقدم الفرضية التي بموجبها تقدم صورة قايين شرحا «مؤثرا» [«as potent»] لشرح أوديب.

(1) صراع الأخوة ليس حديث العهد. فحول وراثة الملك والسلطان واستلام السلطة، والكلام، وتجسيد القوة المشرعنة، كانت الصراعات تتم. وما قيل حول دور الابن البكر وكيفية احتيازه بالأكراه أو بقوة ما، إذ أن يعقوبا يخدع عيسوفيسلبه دوره، عن طريق أمه (رفقه) ليحل محله بمباركة مكرية من الأب اسحق. وهذا نفسه كان الابن الأصغر حيث عزل أخاه اسماعيلا ليرث أباه إبراهيما. وداود نفسه كان الابن الأصغر لأبيه صموئيل وقد فضل على إخوته الكبار، وهو نفسه من أورث سليمانا السلطة مفضلا إياه على أخيه الأكبر أدونيا.. وبالوسع المضي في هذا المنحى كثيرا، وكيف كان الابن الأصغر يمنح بركة الأب أكثر من الأكبر منه. وهذه المسائل تدخل في إطار الفقهيات والشرعيات قبل كل شيء. أما الصراع من خلال ما هو مذهبي، فله بعد تاريخي ومعتقدي هنا.

(2) يورشالمي يفلسف فرويدا على طريقته، إنه يقول فيه وعنه ما هو مأمول ومنشود. فرويد عنده محول بلغته الإشراقية التصوفية، يندغم مع ما يعتقده ويسنده في تفكيره. كونه

يعد بالاحتفاظ بها له. كما لو أنه ينبغي الحفاظ على السر من أجله، هنا لأجله شخصيا، يوسف حاييم يورشالمي، مبدأ جواب خاص، بحيث أن فرويدا خصصه (قبل 65 سنة) إلى أنريكو مورسيللي. كما لو أنه كان يبتغي مقاسمته مع فرويد لوحده سرا حيث كان قد أباحه فرويد لآخر، تماما قبل ولادة يورشالمي.

«في عام 1926 يكتب يورشالمي، تقرون بشكل خاص لأنريكو مارسيللي بعدم التأكد من أن التحليلنفسي، حسب اعتقاده هو ثمرة الفكر اليهودي، لكن إذا كانت تلك هي الحالة، فلا داعي لأن تخجلوا من ذلك»(*) بعد إيراد هذه الوثيقة، يورشالمي يضيف ملاحظة، هذه الملاحظة تغير وجهة المسألة فجأة، مسألة المعادلة بين اليهود والتحليلنفسي. هاتان الكلمتان لمعادلة كهذه، تغدوان أيضا غير معروفتين، غير محددتين، مازال يجب تحديدهما، مرجأتين إلى المستقبل. لنقرأ ثانية هذا الإقرار في الصفحة الأخيرة من كتاب المونولوج:

«الأستاذ فرويد، وصولا إلى هذه النقطة، يبدو لي من العبث أن

يغوص في النفس عميقا، فثمة إسرارية في حالة كهذه. ثمة انشغال بالأعماق النفسية، باللاشعور، باللاوعي، بحركية الأعصاب، بالأحلام بوصفها كتابة لاشعورية في قرطاس النفس، وهي خاصة لا يتسنى لأي كان قراءتها. يورشالمي في إشراقيته ينهم بمسائل من هذا النوع، فهو ذاته مشغول بالتحولات النفسية مسكون بكل تطور أو تغير يطرأ عليها ولكن دون أن يكون عالما نفسيا، ولكنه (يشرقن) أفكار فرويد، ويوجهها في منحى يهودي طقوسي سري!

ولعل انهماكه في مونولوج متناغم ومتشعب مع فرويد يبرز الأثر الكبير الذي يمارسه الأخير، والقيمة الكبيرة التي يضيفها إلى ما أنجزه. ولا أدل على ذلك من كتابه نفسه، إذ أن المونولوج هو انفتاح على الآخر، ونوع من التطابق والتعايش معه بمعان شتى!.

(*) المصدر نفسه ـ ص 187 ـ 188.

أسـألك، فيمـا إذا كـان التحليلنفسـي هـو وراثيـا أو بنيويـا: علـم يـهودي. إذا قدروا إن قمنا بتأسيسه ذات يوم، سوف يجب لأجل ذلك القيام بكثير من الأبحاث والكثير منها يعتمد على الطريقة حيث يجب تحديد الكلمات نفسها، عن اليهودي وعن العلم. وأنا أنتظر، ومع وضع هذه المسائل جانبا، المسائل ذات الطبيعة الدلالية والابستمولوجية، ربما أرغب فقط، في معرفة فيما إذا كنتم شخصيا، تؤمنون به أخيرا[1].

يورشالمي يشير إلى **أنتم** (الترجمة الفرنسية تحذف، وبالأحرى تبدل عبر «شخص ما») ما يهم هنا، ليس محتوى ما يقوله فرويد الذي اعترف به بطريقة ما، حيث يوضح ذلك **هو** («أنتم»، «you»)، من فمه وعلامة اسمه من الآن وصاعدا، العلامة كما توصف كعقيدة ما: «أنت شخصيا تؤمن في النهاية بذلك هو ذا فقط ما يريد معرفته: «I want only to know whether you ulti mately came to believe it to be so».

الزمن والعمر يؤخذان بالحسبان. يورشالمي يدرك، وهو الأول، عليه أن يتذكر بأن فرويدا آمن بذلك على الأقل قبل خمس وستين سنة، ولو أعاد

(1) لماذا هذا الإلحاح على هذه الرابطة بين اليهودية والتحليلنفسي؟ ما الذي يرمي إليه يورشالمي وعبره ومعه دريدا؟ هل لهذا الإلحاح صلة بالنبرة الكفاحية والعناد المعتقدي حول ضرورة تعميد التحليلنفسي يهوديا؟
ليس يورشالمي المعني بما تقدم فقط. إنه دريدا بدوره، حيث يراهن ويؤكد على أهميته. وهو إذ يلجأ إلى تقريظ من هذا النوع، وتقديم معزز لمضمونه. فكأنه يحل محله، ليغدو هو فرويدا بالمقابل. إنه يصيغ مونولوجه، وإن كان يقرأه، وأن يقدمه عبر شبكة من الاستشهادات والإحالات التاريخية والأرشفية. حيث التفكيك صنو لما هو إشراقي تصوفي في هذه، ولكنه يسعى إلى تنفيذ الوعد، الوعد بالمستقبل مفكر فيه انطلاقا مما هو ماضٍ.
صوت يورشالمي هو طيف الآخر، هو صوت دريدا الناطق هنا، إمعان في توكيد الاسم، وإصغاء إلى نبرته التوراتية المصطفاة!.

طرح السؤال عليه، لو سأله ثانية، وإذا بدا عليه وهو يسأله، وهو يطلب منه تأكيدا جديدا، كما لو كان أنه كان يبتغي الأخيرة الإرادة الأخيرة (the will)، التوقيع الأخيرة (ultimately) لوالد يحتضر. وليتأكدوا من والد مات فعلا[1]. ما قاله فرويد قبل (65 سنة)، وفي مناسبات كثيرة، يريد تكرارا أخيرا في اللحظة الخيرة، يطلب تصديقا غير قابل للإلغاء. هذا الالتزام الأخير يجب ألا ينعكس بالتحديد. الالتزام بميت ما، لم يعد يخضع للحسابات الاستراتيجية، ولانكارات فرويد الحي، واستدراكات مؤسس تحليلنفسي معرض لكل حالات العنف المعادية للسامية.

هذا الإقرار يبدو وكأنه غير كل هذه العلامات، وهو، هو وحده، يبدو لي، الذي من بوسعه أن يحمل ويبرر العنوان الفرعي لكتاب:

«judaism Terminable and interminable».[2]

---

(1) **هذه المتابعة الحثيثة لكل كلمة تخص يورشالمي، هي من جنس المعنى، من جنس المرجعية الفكرية والمعتقدية ليورشالمي. الأب يحتضر، يموت، لكنه يحيا عبر من يستدعيه أو يلمحه طيفا أوشبحا إذ يتهيأ له، فهو مهيأ له بوصفه الرغبة التي طالما اشتهاها وارتضاها. ليكون حقيقة ما يقوم عليه الطيف، حقيقة ما يمثله، وما يراوده من أفكار تدور في حيز الهموم المشتركة، وما يبتغى لاحقا!.**

(2) **في: اليهودية النهائية واليهودية اللانهائية، صيغة إقرارية بالهاجس الذي يتملك يورشالمي، نفسيا، وتاريخيا، وهو ـ كما يظهر بجلاء ـ يتبصر ذاته في الثانية. وما يدل على ذلك هو مسعاه المتنامي في توكيد اليهودية بوصفها حقل إمكانات منتظرة، ووعود قادمة، وإشراقات. أي باختصار: مسار المبتغى في سياقات مختلفة. إن ذاكرته تتولف هنا حول المعقلن والمشرعن تاريخيا، وانطلاقا من أرضية توراتية: إذ كل مقروء توراتي في حيز الوعد، وتحقيق الوعد، يعتبر موجة طويلة، إن جاز استخدام كلمة «فرناند بروديل» ـ كون الزمان يطوى هنا طيا، وما كان يجد مسوغه للانتقال إلى الآتي، باعتباره موعودا، هو الأمل لـ(شعب) محدد، مكافأ إلهيا، وكل ذلك يحرض يورشالمي على البوح بما عنده، ودريدا ليقول ما يريد قوله يورشالمي، وعبر فرويد الموجه، وملقنا مرتجى.**

والحال أن هذا الإقرار يجعل مفتوحا في المستقبل ليس فقط التعريف، إنما اللامحدودية، مثلما محدودية اليهودية إنما أيضا تلك المتعلقة بالتحليلنفسي حتى الآن، على أي حال حتى افتتاح هذا المونولوج الخيالي، يورشالمي قد قام بتسوية خطاب. أساسا ما تظهر نظريا أو ما لا يظهر - حول القواعد الكلاسية للمعرفة، **والشولارشيب** والأبستمولوجيا التي تهيمن في كل رابطة عملية: هنا موضوعية المؤرخ والمؤرشف، وعالم الاجتماع، والفقيه اللغوي، والإحالة إلى مواضيع وتصورات ثابتة، والخارجانية النسبية[1]، بالنسبة للموضوع خصوصا بالنسبة لأرشيف محدد، بوصفه معطى في الماضي، أو على كل حال فقط غير مكتمل غير قابل للتحديد، وبالتالي قابل للتحديد في مستقبل غير قابل للتحديد نفسه، لحاضر مستقبلي، وكهيمنة الجاري على النتيجة،... الخ. وهكذا يمكن تفسير هذه الملاحظة التي أبدت «مرورا» بشأن الاكتشاف والنشر غير المتوقع عام 1980، للأرشيف الخاص بسابينا سبيلراين spielrein. «هذا الاكتشاف، يقول يورشالمي، مازال يجب أيضا أن يذكرنا بالطابع المخلخل lacunaire بالضرورة والافتراضي لأبنيتنا الجديدة المتصلة بتاريخ التحليلنفسي نظرا للكميات الهائلة من الوثائق المستحدثة أو الخاضعة للقياس طوعا»[*]. ثمة نقص في الأرشيف وبالتالي في محدودية المستقبل،

---

(1) فكرة الأرشيف بوصفها مجالا مفتوحا، تسع كل ما يفكر فيه، حيث يحيل الأرشيف إلى داخله كل ما يقال ويقرأ ويتحدث عنه ويعتبر مرجعا في مقاربة أي قضية خلافية. دريــدا يكشف مقولاته ليمنح أرشيفه هنا القيمة المستحقة. وبالتالي ليبعث كل شيء من الرماد المتراكم والبارد بالنفخ فيه عميقا، معاينا ما كان يمنحه حقيقة حضور تاريخية، وما يحاط بـه من غموض مقصود وغير مقصود. وهي في نزعته الشكية يقر بفضيلة الاستنطاق عبر منهجه التفكيكي بغية تثبيت ما اعتبره مهمشا: أي ما يعنيه هو!

(*) المصدر نفسه ـ ص95 ـ

ذلك ما يجب الأخذ به في الحسبان من قبل المؤرخ في أبنيته الجديدة «والتاريخ التحليلنفسي». والحال أن هذا النقص من نظام مختلف تماما عن نظام المستقبل حيث الأمر يتعلق بغاية **المونولوج**. ما زال الأمر يتعلق في وسط الكتاب. بنقص، وبمستقبل، ينتميان إلى الزمن الطبيعي للتقدم العلمي. بلا شك في نهاية **المونولوج**.. يورشالمي أشار أيضا إلى مستقبل بحث ما، يجب تناوله. لكن المستقبل الذي يتحدث عنه حينئذ، وخصوصا عندما يتعلق بتصورات العلم واليهودانية، ليس من مستوى نقص نسبي كهذا. لم يعد الأمر يتعلق فقط بلا حتمية مؤقتة تفتح الحقل الاعتيادي لعمل علمي متواصل ودوما غير منجز خصوصا لأن أرشيفات جديدة ما زال بوسعها أن تكتشف وتخرج من السر[1] أو من الإطارالخاص لتجد نفسها خاضعة لتفسيرات جديدة لم يعد الأمر يتعلق في الوقت نفسه، بالحقل نفسه وبالعلاقة نفسها في الأرشيف. اللحظة التي يوضح المؤرخ للأب البطريركي» من العبث مساءلة فيما إذا كان التحليلنفسي وراثيا أو

---

(1) بقدر ما تتكرر كلمة السر، مثلها مثل كلمات أخرى في هذا النص، كما في حال: الوعد، العلم، البطريزك، المستقبل.. الخ، بقدر ما يمكن الولوج أكثر في خاصية الكلمة وتسمياتها البلاغية والدلالية، خصوصا وأن اشتغال دريدا بالكلمة في مواضع مختلفة، وهي تظهر مكررة، ليس من باب الولع بها. فثمة غائية، أونية استثمار متعددة الأبعاد لها، عند التدقيق في أرخيتها وكيفية تجليها. فبين السر **secret**، وكلمة أخرى في خانتها هي **secrite** تعني صلاة الأسرار، وكلمة **sacré** تعني مقدس رابطة معنوية تاريخية. ودريدا في حالة كهذه لا يلعب بالكلمات كما يظن. بقدر ما يتفنن فيها ـ كما يقال ـ تعبيرا عن نزوع نفسي، عن انشغال ثقافي يأخذه أي مأخذ، ويؤخذ فيه بالمقابل. كل ما يستهدفه هو لفت الأنظار إلى حقيقة يجلوها منطق يورشالمي الأسراري. إنه سر مميز، كونه ينتظر المستقبل ليتحول إلى واقعه لا تعود تبعاتها تقتصر على المعنيين بها مباشرة، إنما على كل من ينشغل بالمستقبل في الجوار، بل على كل من تعنيه مسألة المعرفة، فثمة محاكمة ثقافية تطال المستقبل بالفعل.

بنيويا، «هو علم يهودي» ويضيف «ذلك سنعرفه، من المفترض أن ذلك أبدا موضوع معرفة» (that we hall know, if it is at all know able). [أشير إلى جاك دريدا].

فقط عندما كثير من العمل يتم انجازه[1]، الكثير يعتمد بالتأكيد على الطريقة حيث يجب من خلالها تحديد كلمتي «**يهودي وعلم**». إنه يغير إذا تماما الكتاب والزمن[2]. ويؤجل فجأة كل الضمانات والأسس والقواعد البدهية التي كانت في خدمته حتى الآن في تنظيم العمل العلمي ولا سيما النقد التاريخي، وبشكل خاص علاقته بالأرشيف المعروف والمجهول[3].

إن نظام المعرفة ذاته، على الأقل المعرفة الكلاسية هو معلق، الأمر يتعلق بتصور آخر للمستقبل حيث سنعود إليه[4]. بما أن الأسئلة التي تهيمن على الكتاب حتى هذا **المونولوج**..

---

(1) العمل المراد إنجازه شغوف بالسر المذكور، بالعلاقة بين كلمتي اليهودي والعلم حيث أطنب فيهما كثيرا، ولكن هذا الاطناب لا يفسر بوصفه لغوا، إنما نشدان رغبة معقلنة، الشروع بالمنتظر، إيلاء السر أهميته، نزع مركزية الثقافة التي يعرف بها دريدا..

(2) يحيل الكتاب والزمن كل منهما خاصية السر إلى الآخر.. أن يؤرخ للعمل المنجز في كتاب مقروء، هو أن يغير من تصورنا للزمن، الذي يقع في المستقبل.

(3) العمل الذي ينهم به دريدا هو على مستوى الممارسة النظرية، حيث ينشغل بالأرشيف، يعاينه. إن كل توكيداته لا تخلو من نبرة إنذارية، وهي تحيل السائد إلى البائد، إلى ضرورة تنحيته، ليحل محله ما هو منتظر، ذلك سره الذي يحاول أرشفته.

(4) يلعب المستقبل دورا كبيرا في عموم طروحات دريدا. بل إن عموم طروحاته مدونة بغية القبض على المستقبل. ولهذا فإننا عندما نتحدث عن الوعد والسر والتفكيك نفسه، فلان مستقبلا بالانتظار، وفي ضوء هذه الإحالة يمكن قراءة كل ما كتبه دريدا. إنه يفكك ليركب من جديد، طارحا في الحالة تصورات جديدة تخص ما يرتئيه، ما يتصوره مغامرا للمعمول به. لهذا تتوطد العلاقة بين ما يسميه باليهودية وما يطرحه من علم من حيث التناظر، ومن خلال التحليلنفسي الذي يعتمده كثيرا هنا.

فإنها تخص العلاقات بين اليهودية والعلم، خصوصا هذا العلم الذي أراده التحليلنفسي، أن يكون، والشولار الذي كان يفترضه يورشالمي باستمرار يتمثل في معرفة ما يعنيه «العلم» و«اليهودية» عندما كان الأمر يتعلق بتقويم الطابع العلمي للتحليلنفسي، كان المؤرخ يتراءى غالبا أكثر صراحة، وبلا دعوى appel، بالنسبة لما يسميه في هذا الكتاب. مثلما في كتاب Zakhor: (jewishhistory and jewish memory(*)) [1] اللاماركية أو «البسيكولاماركية» لفرويد، المقصود هنا عجز مدان من جهة حالة العلم، لعلم ليس علم يورشالمي، حيث يتلمس منه النتائج القادمة من الخارج، مؤرخ يكتفي بتسجيل النتائج الصحيحة، في لحظة معينة، من خلال مجمع علمي، حيث لا يساهم فيه بحيوية، ولا يسهم فيه بقدراته، بالعكس، يورشالمي يتكفل، افتراضيا، بانتمائه للمجمع العلمي للمؤرخين أو لعلماء الاجتماع المعنيين بالثقافة خصوصا بالثقافة اليهودية. إنه أستاذ كتاب:

"jewish History culture, and society" يساهم فيه، بحيوية وعنفوان بنتاجاته، يزيد فيه ويدقق فيه بكفاءاته. إنما ما يتعلق بالوراثة أو تاريخ

(*) zakhor: jewish History and jewish memory, university of washington press, 1982 schochen book inc. New york - 1982 - p 109.
De 1987 في ما بعد الكتابة.
وهي لا تظهر في الترجمة الفرنسية: لـ: أريك فيني.
(تايخ اليهودية وذاكرة اليهودي: zakhor)
Editio la Découverte - 1984 - Gallimard - Coll - Tel, 1991

(1) كتاب المزكهار، أو الزهار: من كتب اليهود اليدينية، ويعني كتاب السناء. وله دلالاته الطقوسية والمعتقدية.

الحياة. يقبل بدور المراقب الحيادي، والحكم الموضوعي في الواقع[1]، عليه أن يعرف بأن الأشياء في هذا المجال تكون أكثر صخبا، وأكثر انفتاحا على المستقبل من أي وقت مضى، أكثر من كل مكان، وليس بلا رابط مع القانون المستقبلي للأرشفة، القانون الأبستمولوجي الذي يطالب به بالنسبة لخطابه قد يستحق دراسة معمقة[2].

لنأخذ على سبيل المثال خرائطية الحدود التي ينتسب إليها[3]. ليس

---

(1) يورشالمي بقدر ما يظهر باحثا في الباطنيات، أو الإشراقيات الصوفية، بقدر ما يؤكد انتماءه إلى ثقافة يدافع عنها ويعتبرها مميزة وجديرة بالتبني. إنه يحيل كل ما تقدم به فرويد إلى مفاتيح نافعة لما يفكر فيه وبه. ولعل كيل المديح له من قبل دريدا هو الذي يضاعف مركزة أخرى، مركزة عقلية مغايرة للسائد، ومركزة تمذهبية، ومركزة معتقدية متمذهبية: يهودية في عمومها.

(2) الأرشيف يحيل القانون إلى خاصته حيث يطالبه بضرورة الكشف عن أوراقه. ليؤكد مصداقيته، هنا الأرشيف والقانون والعلم والمستقبل كلمات مسكونة بالعلاقات اليهودانية. دريدا سعيد بما يعتبره لحظة الاكتشاف، ولحظة انبثاق الموعود من خلال خطابه الذي يحمل نفحة كفاحية وجهادية في العمق: أي توراتية صراحة!

(3) يمكن الاسترسال قليلا في ومع هذه العبارة! إنها تذكرنا بالبنيوية والسيمانتيكية والألسنية تذكرنا برولان بارت وفرنان بروديل وجيل دولوز، بكل ما يخص الثقافة والتاريخ والألسنية من تعابير تفصل بين كلمة وأخرى، بين الكلمة كدلالة والكلمة كعلاقة، بينها وهي في حالة تزامنية، وهي في وضع تزمني. ثمة إحالة للغة إلى وضعية تضاريسية، إلى مناخات، إلى أغوار، وكذلك عتبات، الكلام يتقمص كوكب الأرض هنا. في هذا الحيز ما علينا إلا أن نستحضر المؤثرات الاجتماعية والتاريخية والدينية والنفسية كافة، ما يجلو السطح وما يليه. ما يحرك السطح الراكد للمجتمع، يغذي مكوناته الطبقية والفئوية والمذهبية أمام الأعين، وما يتحرك عميقا في بلورة مفاهيم وقيم الموجات الفكرية، والعواصف النقدية وحمى التلاقح الثقافي، وازدهار وتصحر مفاهيم وتصورات تعيش صراعات وحروب منافسة وبقاء لأمد أطول. دريدا يخطط ويرسم حدوده، يوجه إحداثياته بغية التحكم بمواقعه، وهو يستقرئ كتاب يورشالمي هذا الذي يرتقي إلى مستوى الحامل لآمال جمة، كونه يجسد في أفكاره الصوفيانية ما كان يتمناه دريدا. يورشالمي يعزز فيه ما يسعى الى تثبيته وليس الاندماج مع حركية

من السهل نظرا لحركية حدود كهذه. يبدو أن في شبه كلية العمل (المؤلف. م) وحتى عتبة **المونولوج**. يظهر المؤلف كمؤرخ يدعي التمسك عمدا بخارج الموضوع: المؤرخ، موضوع هذه المعرفة التاريخية، لا ينطرح إذا بوصفه كذلك ليس كيهودي، ولا ككل محلل نفسي، يتعامل مع الأرشيف التحليل نفسي بوصفه معطى، حيث حقه في الوصول، العقلانية، التقويم، لا يعود خصوصا لا إلى اليهودي ولا إلى المحلل النفسي. عدة مرات، يطالب يورشالمي بهذه المسافة كشرط للتاريخ، يتفهم كتابته. إنه يقوم بذلك على سبيل المثال وهو يصنع في حاشية فصله الأخير، تماما قبل **المونولوج**.. هذه القضايا المتعلقة بفيليب ارييس، حيث رأيتها من جهتي (تلك هي غالبا الحالة بالنسبة لما يقوله ويفعله ارييس بصورة عامة) أكثر إشكالية «يمكن المحاولة في تاريخ السلوك، أي في التاريخ البسيكولوجي، دون أن يكون المرء عالما نفسيا ولا محللا نفسيا، ويكون بعيدا عن النظريات وعن المفردات، وعن أساليب البسيكولوجيا الحديثة، مع ايلاء الأهمية إلى جانب ذلك لهؤلاء العلماء النفسيين، في سلكهم. إذا ولد المرء مؤرخا، فإنه يصبح عالما نفسيا على طريقته».

القول كلمة تتعلق بحيرتي حول هذه النقطة، ولماذا لا أشاطر يورشالمي عندما يذكر مسألة كهذه للبحث فيها بلا شك عن ضمانة ما، أتساءل، ما كان يعني ذلك (.. أن يكون المرء مؤرخا من الولادة.. وفيما إذا كان المرء يولد مؤرخا..)، ويسمح لنفسه وبإبداء وجهة نظر ابستمولوجية، خصوصا، **Concesso non dato**، من المفترض، القيام بذلك في الواقع، وفق شروط كهذه، تاريخ البسيكولوجيا، ذلك لا يكفي لكتابة تاريخ

المونولج سوى الدليل الأكبر على هذه النزعة السيكولوجية، ومعتقدانية التفكيكية الجلية في إبراز خاصتها والتعريف بنفسها بوصفها منخرطة في الحراك الثقافي عميقا، ونراهن على تصورات غاية في الوضوح على أرض الواقع، وليس ككلام نظري فقط.

البسيكولوجيا أقل من كتابة التحليلنفسي، وخصوصا ليس في هذه النقطة حيث هذا العلم، هذا المشروع، على الأقل بكامله، الذي يسمى بالتحليلنفسي، يزعم تحويل الحالة ذاتها لموضوع المؤرخ، وبنية الأرشيف وتصور «الحقيقة التاريخية»، وحتى العلم بصورة عامة، وأساليب تفكيك الأرشيف وتضمين الموضوع في الحيز حيث يزعم وضعنته، ولاسيما مواقعية كل الفواصل الداخلية/ الخارجية التي تبين هذا الموضوع وتجعل من نفسها مكانا للأرشيف بالنسبة إليه أي وضعيته ليست خالصة، ولا حتى ممكنة وصارمة في الواقع، أي كاملة ومحددة، حتى لو كان مؤرخ كلاسي للعلوم، عليه أن يعرف من الداخل محتوى العلوم، حيث يصنع تاريخها[1]، وإذا كان هذا المحتوى يخص تماما عمل المؤرخ، فإنه ليس من المنهجي ولا من الابستمولوجي أن يسمح لنفسه بوضعه (أي المحتوى «م») بين قوسين: إذ يمتنع المرء عن الشروط الأولية، والثبات الدلالي الأدنى

(1) يثير دريدا في هذه النقطة مجموعة كبرى من القضايا تخص موضوعة الأرشيف، تخص سوء الأرشيف، وتحث على البحث من خلالها عن أرشيف مختلف يشدد على تبنيه.. إن الحديث عن التحليلنفسي هذا الذي يركز على السلوك عبر علم نفس الأعماق، يراهن على فعاليات جمة مؤثرة، في عمل المؤرخ، وعن العلم المشار إليه وتفكيك الأرشيف، وعن العلاقات بين مكونات الموضوع المبحوث فيه.. الخ لا يدخل في باب الهذيان اللفظي، إذ ليس في جعبته ما يمكن هدره، حتى وهو في سطر يكرر كلمات ذات معنى واحد، أو كلمة معينة في صياغات متعددة. ذاك هو أسلوبه، وهذا هو مدخله لمقاربة حقائق الأشياء. هل كل ذلك لتضليل القارئ، هل لبلبلة وتضبيب الفكرة، هل لإعطاء صورة غير دقيقة تعكسها ملايين سطوح مراياه اللفظية، هل ثمة خبث في طريقته هذه، هل هو عاجز عن قول ما يريده صراحة، هل هو قلق تجاه مفرداته، أم هو، غير مالك للجرأة المطلوبة..؟ الخ..
ليس ثمة تصور من هذا النوع.. عبر صياغاته المختلفة بالوسع مقاربة ما يفكر فيه، وما يستبطنه.. ربما كان في أسلوبه تقعير ما، ولكن هل هنا فوضى قولية تمنع من فهم ما يريد حقيقة؟ لماذا يكتب إذا؟

وحتى تقريبا القواعد التي تسمح بالكلام، بكلام ما يمكن أن يتكلمه المرء، إن إرادة التحدث عن التحليلنفسي، والزعم في كتابة تاريخ التحليلنفسي من وجهة نظر لا تحليلنفسية محض. ونقية من كل تحليلنفسي إلى حد الاعتقاد بمحو آثار كل انطباع فرويدي فيه، كما لو أننا نطالب بالحق في التحدث دون معرفة عما نتكلم، دون الإرادة حتى في سماع ما نتكلم. هذه البنية لا تحل محل تاريخ التحليلنفسي فقط أو كل الخطابات حول التحليلنفسي، إنها تقوم على الأقل مقام كل العلوم المسماة بالعلوم الاجتماعية أو الإنسانية، إنما تتقبل انعطافا جليا حيث يجب مقاربته قليلا[1].

في الواقع، يعرف يورشالمي جيدا بأن هذه الخارجانية قد رفدت من لدنه، وهو يعرف ذلك بوضوح، إن تحرير خطابه من كل انطباع فرويدي مسبق، هذا ليس مستحيلا فقط قد يكون لا شرعيا، لكن، بما أنه لا يريد إطلاقا أن يتخلى عن هذه الحيادية الاثباتية المزعومة، والنظرية حيث الشولار أو المؤرخ الكلاسي يدعي بناء قاعدتها (أي الحيادية «م»)، أي أن الموقف من خطابه يبقى هنا، على كل حال في القسم الأكبر من كتابه وقبل **المونولوج**.. مركبا ومماثلا، ولا متذبذبا وحتى مضطربا. هذا الموقف محكوم بالنفي، أحيانا معترف به حتى في نفسه. ومضطهد ومترجم في الوقت نفسه عبر الأعراض المسماة بـ (ما بعد الكتابة) قهرا، أي أن هذا

(1) كما في هذا التشديد على فرويد، في هذا الإعلاء من شأنه بغية التنسيق بين فاعلية التحليلنفسي وفاعلية التفكيك الذي يستمد قوته ومغزاه منه، ولكنه لا يتوقف عنده، ويقلده في أسلوبه فلخطابه قوة حضور ثقافية لا تختصر في سياقات التصورات النفسية أو في حيز المصطلح الفرويدي..

المونولوج مع فرويد الذي يشبه - أو يتظاهر بالشبه بداية تحيل والاعتراف المعلن للتحول أن يشبه أو يتظاهر بالشبه، فإن ما بعد الكتابة تحمل بلا شك وفي الحقيقة، في خيالها نفسها حقيقة الكتابة، ذلك يعبر بشكل خاص في اهتزاز حركة ولا استقرار وضع ما، المؤرخ يدافع عن نفسه كي يكون محللا نفسيا، لكنه يدافع عن نفسه أيضا كي لا يكون محللا نفسيا[1]

لا نورد في ذلك إلا مثالين بدقة هناك حيث، يعنيان علاقة مزدوجة بالأرشيف، المثال الأول، **النموذج الأول**، يبين لنا الرغبة رغبة مؤرخ لافت للنظر يريد أن يكون المؤرشف الأول، الأول في اكتشاف الأرشيف، الأركيولوجي، وربما المسؤول القانوني للأرشيف.

المؤرشف الأول يؤسس الأرشيف كما يجب أن يكون أي ليس فقط أنه

(1) مقتفيا خطى فرويد يتحول دريدا، وهو ينقب في تاريخية الأرشيف، وهو يحيل مادة التحليلنفسي إلى حقل رؤى وإمكانات قوة لبلورة فكرته المنشودة. يحيل المونولوج الآنف الذكر إلى مشروع عمل، كما أنه يستقرئ هذا المونولوج ليعزز بين ما يناسب فكرته وما يعارضها. بالنسبة له يرفع من قيمة يورشالمي، إذ يمنحه قيمة تمايز واختلاف عن فرويد. وهو يشدد على مفهوم ما بعد الكتابة. ربما كان في وضعه هذا يروم تمايزا بدوره. عبر يورشالمي تتجلى شخصية المؤرخ، الذي يدرسه دريدا جيدا، وبتواتر، لأنه يشكل في حقيقة الأمر، وكما يبدو، ما يريد الإفصاح عنه بوصفه شخصيته أو مفهومه عن التاريخ وعن الأرشيف المطلوب.
المؤرخ يدرس الأثر، ولكنه مسكون بصدى الأعماق، لكنه معني بفكرته التي تقوم عليهما، وتتجاوزهما في آن. ربما كان هناك حذر من مدى دقة عبارات يحفل بها التحليلنفسي، من انتكاسات تعرض لها، أو انتقادات، لكن ما يجدر ذكره هو افتتانه بثروة وثراء التحليلنفسي عبر فرويد بالتحديد، وعبر يورشالمي الذي عمق مفهومه. لأنه بكتابته الجديدة (أي دريدا) يتجاوزهما، وفي الآن عينه يلفت الأنظار إليهما، يكسبهما حضورا رمزيا أكثر.

يعرض الوثيقة، إنما يؤسسها أيضا يقرأها، يفسرها، يصنفها[1]، في هذه الحالة، الرهان أكثر خطورة إلى درجة أن الوثيقة تجد نفسها وهي تحتفظ بهذه الكتابة على شكل إهداء يرافق هبة مكررة، الهدية الثانية هي إعادة توراة فيليبسون، من خلال الأب البطريركي إلى بطريرك التحليلنفسي، الهدية التي قدمها يعقوب بن شلومو فريد إلى شلومو سيغموند فرويد بعد ثلاثين سنة من ختان قام بتذكيره، وهو يسميه أثرا دالا على الحلف وألواح الشريعة[2].

يورشالمي يعلن بأنه سيغدو الأوحد (بعد فرويد)، وحتى لوحده (بعد فرويد)، لفتح الأرشيف، وإن لم يحدث الاحتفاظ به.

الأرشيف الذي يسميه «مشهدا حاسما» يريد هنا أن يكون الأول، سمى ذلك، الأول بعد فرويد، الثاني الأول، الابن البكر، الابن البكر، الأول الثاني، وإذا بالنسبة للخطة مع فرويد الوحيد قام بمشاطرة السر. (بالطبع ليس هو الوحيد، ولا الأول أراد أن يكون الأول بعد فرويد، وبالتالي (الوحيد مع فرويد، لدينا آخرون في فرنسا، هي هذه السلة الفرنسية حيث يورشالمي وكأنه يريد (لكن ماذا؟) الاحتراس مثلما من الطاعون).

منذ ذلك الحين لأي سبب يتردد؟ لماذا ينزعج؟ بما يتعلق بقضية معرفة فيما إذا يقوم كشخص سيسميه «بالمؤرخ العادي» (ordinary

(1) كل مؤرخ يحركه هوى، يتحرك تحت ضغط فكرة، إمكانية قوة، هوس الريادة في أن يكون الناطق الرسمي بصحة حقيقية تاريخية أو ما يجعلها كذلك، الملفوظ اسمه عبرها. الوثيقة تحمل أقنعة هنا لا تكتشف بسهولة لابد من التمعين فيها. حيث الأرشيف الأصلي متوار.

(2) تصنيف دائرة المفهوم الخاصة بالأرشيف، حيث العلاقة مع المادة تتخذ صيغة تمذهبية ومعتقدية.. مفهوم الحلف ممهور بعلاقة يهوية. فالذين يتكلمون هنا تجمعهم العبرية كلغة، اليهودية كدين، ألواح الشريعة كعقد توراتي مقدس، المأسوية كتاريخ يشاد به!

historians) أو كمؤرخ تحليلنفسي، بمعنى أخر وبطريقة ما، كوريث في السلسة البطريركية الأبوية، حيث يحلل للمرة الأولى، وبشكل خاص الأرشيف؟ يقول مرتين «بشكل خاص» (Properly). ويدعي أنه لا محللا ولا عكسه، نافيا الفريضتين في الوقت نفسه.

وبالتالي ليس نافيا ولا واحدة منهما، بالتدريج أو معا. ها هما[1] (يوجد مشهد مؤثر بين يعقوب وسيمغموند فرويد، حيث أن مغزاه يقيم أبدا بشكل خاص [Prpoprerly] [مشير إلى ج. دريدا]، بلا شك لأنه (أي فرويد «م») يشرك نصا عبريا في هذا اليوم، لم يكتب بصورة الكتابة [ما زلت أشير إلى ج. دريدا]، لنعترف بذلك بأنها صعبة التفكيك)[2]. وبالأحرى لم تفسر

---

(1) من يقصد دريدا هنا: يورشالمي، أم المؤرخ، أم أيا كان في بحثه عن حقيقة ما: تاريخية خصوصا؟ هل دريدا يحلل شخصية يورشالمي أم فرويد، أم المؤرخ، أم كل معني بالحقيقة، بمعرفة حقيقة ما؟
ما يلفت النظر هنا هو اهتمامه بالعلاقات التراتبية، بالعلاقة الصراعية والتنافسية بين الأب وأبنائه الرمزيين، بين فرويد والذين جاؤوا من بعده، وحاولوا العمل في حقله التحليلنفسي، ومن ثم الانشقاق عنه. اللافت هنا هو موقع الأرشيف، حساسية الموقف ناحيته حيث المادة والفكرة تتجاذبان حقيقة ما. ثمة حقيقة أطلقت أو دشنت بداية، حولها وباسمها يدور صراع إثر صراع، كونها تسعى عبر ممثليها إلى طرح نفسها كحقيقة وحيدة لا نسخة أخرى في الواقع.
وثمة حقيقة هي الحقيقة الموجودة التي يصعب إن لم يكن يستحيل القبض عليها، ما دام هناك خلاف واختلاف عليها، ونحوها، وحقائق متصارعة تدعي تمثيلها.
دريدا ما موقعه هنا؟ هل يحذر من وجود حقائق تتجاذب الحقيقة المفترضة أصلية، أم هو نفسه يقدم حقيقة يدعي تمثيلها، في تردده بين موقعين..؟

(2) هذا التردد الدريدي ظاهر وجلي بأبعاده، أم هو نوع من الاستراتيجيا في فن القول أو صوغه؟ دريدا الذي يحار في مواجهة نص فرويد، ربما لا يكون هدفه هو الإفصاح عن عجز في التفسير أو في ممارسة التأويل، إنما خلق هذا الشعور لدى القارئ، الذي يكون الآخر لديه وفي هذا بعض التضليل أو غواية تضليلية (أو لنقل اعترافه بأن الكتابة

أبدا بشكل مناسب [Let alon adequaly glossed] أشير إلى صفحة 45] والحالة هذه إنه النص القانوني الوحيد ليعقوب فرويد الذي وصلنا، لا أدعي زخرفة هذا البناء المتجدد الذي سيتبع صفة جديدة بالتحليلنفسي (بالرغم من أنه ليس كذلك أقل من غيره والذي يتباهى بالكائن). [ستكون ذلك قراءة رائعة كاشفة «ج. دريدا»]، والذي سيقبل بطيبة خاطر والمستند إلى نص وحيد، حيث سيكون مضعضعا بشدة).

ها هو الآن المثال التالي، المثال الذي يتبع، مثال ثان، ومثال يتصف بالأولوية اللاحقة، مثال هذا الابن البكر، لهذا الأب الثاني البكر ليعقوب فرويد لهذا الموقف المركب لمؤرخ يدافع عن نفسه دون رغبة في ذلك، وأن يكون محللا نفسيا دون رغبة في ذلك، يورشالمي يقول لنا بصيغة شرطية ما يقوله، وبالتالي يقول، إذا كان يسمح بذلك، ما يسمح به، أي أن فتنة مصطلح تقني مأخوذ من التحليلنفسي مثال عن [1] «طاعة بعد فوات الأوان» «Obeissance apres coup» «إذا كان بوسعي أن أمنح لنفسي فتنة مصطلح تقني مأخوذ من التحليلنفسي مثال عن طاعة بعد فوات الأوان»[2] المقصود هنا الطاعة المختلفة لفرويد

المذكورة ليس بالإمكان مقاربتها في حراكها الدلالي، ومعاينة بنيتها، حتى لا يترك الباب مفتوحا لقول ما يعن على باله دون تفكير في النتائج المترتبة). ولكن ألا يكون مستبدا هنا بالحقيقة التي يدعي معرفتها، ولو نسبيا؟.

(1) ماذا تنفع هذه التراتبية القولية، هذه التراتبية تخضع لعلاقات قوى، لنفوذها، لحركة المؤثرات الضاغطة والمفاجئة، لما لا يدرك، ولم يحسب له حساب. فرويديا. تبقى النفس رهينة مكبوتاتها. دريديا يبقى التاريخ عبر أرشيفه المغيب مقاوما لإرادة الإكراه، ولكن ثمة أشخاصا ينفذون ذلك تماما!

(2) ماذا تتضمن: طاعة بعد فوات الأوان؟ هل ثمة تهديد ووعيد في العبارة هذه؟ هل ينذر المؤلف بوقوع مالا يحمد عقباه إن حدث انحراف عن المرسوم والمخطط، عن الأب الذي يكون الوصي على الحقيقة والناطق باسمها؟ ألا تدخل المعرفة في حيز الديني، في ربقة الأخلاقيات المستعادة تحت وطأة الأوامر والنواهي، تحت سلطة الواجبات التي لا تناقش،

لوالده، من الأب إلى الأب البطريركي (نجد صعوبة لكبح جماح هذه السلسة وهذا المشهد في الحال ربما يجب علينا التحدث عن (الطاعة بعد فوات الأوان)، «Deferred obedience» ليورشالمي بالنسبة لكليهما a l'un comme a lautre واستخلاص بعض النتائج منها).

مسألة وثائقية قيمة أيضا مرة أخرى، مسألة تتعلق بالأبحاث الحفرية ومواقع الأرشيف، الأمر يتعلق بجملة واحدة ضمن نوع من السيرة الذاتية الثقافية[1] (*).

أليس دريدا ممثلا للميتافيزيقيا في إهابها التوراتي، يقدم لنا الأب من نمط شولارشيبي (يهوي)، فرويدي يدرك كنهه، وفي الآن نفسه يورشالمي يتواصل معه عبره، ودريدا يستثمر كل ذلك ليزيد في رصيده المعرفي والسلطوي الرمزي؟ دريدا في العبارة ذات الصدى الأخلاقي الديني وهي تخفي تحت (قبعتها) ما يهدد من لا يلتزم بالأوامر. الأرشيف في هذه الحالة يكتسي صيغة ما ورائية. أم أن هناك استثمارا للمكبوت الفرويدي بحيث يزحزح ويعلم ثقافيا؟

يمكن الاسترسال طويلا في معاينة هذه العبارة، ومن ثم مساءلتها، ولماذا استحضرها واستخدمها دريدا أكثر من مرة، وهو يتحدث عن الأرشيف تحت ظلال فرويدية، بشكل أكثر وضوحا على خاصية الأرشيف من الجهات كافة، وتلمس الاكراهات، والثغور التي تمرر كل المؤثرات المغيرة في المعنى والدلالة، ليبقى ذلك شائها!

(1) دريدا يسعى إلى استثمار كل المخزون الثقافي الفرويدي، كل المفردات ذات الوقع النفسي، ومن ثم التاريخي والإشكالي، حيث أثارت وما زالت تثير تساؤلات هنا وهناك. وهو يوظفها في حيز خطير يعنى به كثيرا (حيز الأرشيف)، ثمة جرأة في إيراد الأقوال، في طرح الأقوال التي يختلف عليها كثيرا محليا، بخصوص تاريخية التوراة، وحقيقة ما يكونه اليهودي والعلم الذي يقترن به، والتحليلنفسي الذي يعلم يهوديا في هذا المنحى. علينا هنا أن نتتبع بحكمة وبعمق متعدد الأبعاد بالمقابل!

(*) «Swlbstdarsellung - Die frage der laienanalyse» نشر هذا الكتاب أولا في Die medizin der Gegenwart in selbstdarstdarstdaste llungen في عام 1925، نص نشر للمرة الأولى مترجما في دار نشر غاليمار تحت عنوان: حياتي

فرويد لم يصف، هذه الجملة، من باب تأنيب الضمير إلا في عام 1935 بعد الإنجاز الأول لكتاب موسى.. يجب معرفة أن هذه الجملة قد حذفت «عرضيا حسب دار نشر Shtambard، في كتاب gesammelte werke في عام 1948، ولم تظهر بعد ذلك. لهذا السبب، في الترجمة الفرنسية لماري بونابرت التي تعود إلى عام 1928(*) لكن هذا الحذف قد بقي في الطبقات التالية على الأقل حتى عام 1950!

يمكن إيراد هذه الملاحظة الصغيرة الفيلولوجية في الملف الذي أعده فرويد بنفسه في الفصل السادس من الجزء الأول لكتابه موسى عبر هذه الصفحات الغنية جدا حول الأرشفة، والتراث الشفهي والتراث الكتابي، والتفسير التوراتي، وعمل المؤرخ، وكل الـ Entsellungen وكل التشويهات المتعلقة بنص شبيه بالجثث المحنطة[1].. أورد الآن الجملة المضافة عام

والتحليلنفسي في عام 1928، ترجمة م. بونابرت، والأمر نفسه في دار غاليمار تحت عنوان آخر: فرويد بقلمه. ترجمة: ف كاتون. وأخيرا في دار بوف في عام 1992.

T XVII الأعمال الكاملة، تحت عنوان: تقديم ذاتي، وبالإنكليزية

AN AUTOBIOGRAPHICAL STUDY - T.XX.P.8

أفكار NRF ص: 14 هذا الحذف قد أعيد في طبعة PUF المذكورة آنفا ص 56: إن الغوص في التاريخ التوراتي بعزم، بالكاد ألممت بفن القراءة، هذا قد حدد بطريقة مثابرة كما علمت ذلك لاحقا، توجيه اهتماماتي. (ترجمة ب. كونيه. لينيه).

المصدر نفسه ــ الترجمة الفرنسية ص 113 ــ 115.

(1) لنلاحظ مثلا ما يقوله فرويد في الصفحة (58) من الترجمة العربية (وغني عن البيان أننا لا نعرف البتة مدى استناد قصص الأزمنة القديمة إلى روايات مكتوبة أو إلى مأثورات شفهية، كما أننا نجهل مقدار الفاصل الزمني بين الحدث وبين روايته المكتوبة. بيد أن النص، كما وصل إلينا، فصيح البيان عما طرأ عليه من تبدلات وأمساخات، ونحن نلقى فيه آثار معالجتين متعارضتين مطلق التعارض. فمن جهة أولى منح المنقحون النص وحذفوا منه وزادوا عليه، بل عكسوا معناه، تبعا لخفي مآربهم، ومن الجهة الثانية حفظه الورع

1935 من قبل فرويد كما ذكرت تماما من قبل يورشاليمي: «إن العمل الذي توغلت فيه مبكرا جدا [My deep engrossment] بالكاد انتهت ممارسة القراءة، في دراسة التاريخ التوراتي قد حدد بطريقة دائمة، كما أدركت ذلك لاحقا توجيه اهتماماتي»(*).

يورشالمي يفسر إذا الوثيقة التي تؤسسها هذه الإضافة بعد عشر سنوات من صدور الطبعة الأولى. والحال هي أنه يقول بأن هذه الجملة الأخيرة لم تظهر في الطبعة الأولى. وفرويد المكتشف قد أضافها في عام 1935، سنة بعد أن أنجز المخطوطة الأولى لـ: موسى الإنسان.. في الواقع، لم يكن إلا ما كان يدرك ويعترف بشدة، التأثير القطعي الذي مارسه على ذاته في دراسة التوراة بهذا المعنى، **موسى الإنسان، والدين التوحيدي**، يمثل إنجازا متأخرا للتعويض، يعقوب فرويد أو ـ للقول بشكل آخر فيما إذا أمنح ل نفسي أخيرا فتنة مصطلح تقني من التحليلنفسي ـ مثال طاعة بعد فوات الأوان (defereed obedince)(*).

المتحرز وسعى إلى إبقاء كل شيء فيه على الحالة التي وجده عليها، بصرف النظر عن توافق التفاصيل أو تضاربها..

وهكذا نلقى في كل موضع منه ثغرات ظاهرة للعين، وتكرارا مزعجا، وتناقضات صارخة. وبقايا آثار من أحداث ووقائع ما أريد لها أن يطلع عليها أحد. وتشويه النص شبيه، من وجهة نظر معينة، بجريمة القتل).

ومن الملاحظ أن كتابه (موسى) لم يكتب دفعة واحدة. كان كتابا خطرا بأفكاره. ولابد أن ظروف ظهوره، وظروف حياة فرويد، ووضع اليهود في أوروبا، وحالة العداء للسامية، وموقف النازية من اليهود، كانت وراء الكثير من أفكاره (يمكن ملاحظة ذلك في توطئة ثانية ـ ص81) بل أن التأكيد على اليهود بوصفهم، وما في الكتاب من صياغات إيديولوجية ومعتقدية وكفاحية لغة جلية لا ينفصل عن الجو العام الذي عاش فيه.

(*) ص 150 ـ الترجمة المبسطة المعدلة.

(*) المعطيات ذاتها.

ما رأيه بـ «**طاعة بعد فوات الأوان** (بالانكليزية)»؟ أشير أولا وما بين قوسين إلى أن الجملة الصغيرة حول «deep engrossment in the Bible» كانت تليها مباشرة جملة أخرى صغيرة لم يذكرها يورشالمي. إن تقييمها شرعيا خارج قضيته، بت فيها كليا. هذه الجملة كانت توضح منذ الطبعة الأولى، المدهشة والمغرية حيث وصفها فرويد مبكرا ضمن ما كانت تسمح بها.. «نظريات أروين» بالنسبة لمستقبل العلوم. لا يذكر هنا لامارك. هذا التصور لـ «طاعة مختلفة» يمكن من محاولة التعرف على أحد المفاتيح فيه، أو إذا آثرنا ذلك، أحد أختام المثل القضائي cet arkheion، أعني كتاب يورشالمي، على الأقل لوضعيه كتابا يمثل أرشيفا على أرشيف[1] في الواقع، المفتاح أو الختم، ما يوقع وما يحدث على القراءة، هو أنه على الأقل تصور، التصور الفرويدي لـ «طاعة مختلفة»، وانجاز يورشالمي، هذا

(*) ص 150 ــ الترجمة المبسطة المعدلة.

(*) المعطيات ذاتها.

(1) تحمل الكتابة عن (موسى) قيمة مضافة، إلا باعتباره من بين أخطر كتبه، إن لم يكن أخطرها حقيقة، إنما لأن هذا الكتاب ظهر سنة 1939، كآخر كتاب له، كما يعلمنا (معجم مصطلحات التحليلنفسي) بخصوص تسلسل أعماله. وهذا يعني لكل مهتم بفكر فرويد الكثير:

1 ــ إن كل تحولات فرويد الفكرية، وتطورات أفكاره، تؤخذ بعين الاعتبار.

2 ــ يمكن قراءة فرويد على أكثر من صعيد:

أ ــ من منظور التحليلنفسي، حيث كتب مؤلفا ذا طابع سياسي.

ب ــ من منظور القراءة الأيديولوجية إذ أنه لا ينفصل عن معتقده كيهودي.

ج ــ من منظور تاريخي: كونه معنيا بالتفاصيل الدقيقة في التاريخ، وهنا بالذات.

3 ــ إن التحضير للحرب العالمية الثانية وما رافق.ذلك من تحولات ومخاضات ومكانة التحليلنفسي له مكانته هنا. وفي هذا السياق يأتي يورشالمي، وهو يتحدث عن فرويد. عن أرشيف الأرشيف. إنه تاريخ التاريخ عندما نشدد فيه على ما هو حيوي، وتلعب التربية الاجتماعية والمهنية والنفسية دورا لا يستهان به في بلورة أخطاره أو إبراز أهمها في الحالة هذه. وهذا ما يهم دريدا من منظور: اجتماسي.

الإنجاز يتخذ تصورا دون الأخذ به، يعتمده دون استثماره، «أتذكره» (Mentions) بدلا من «استثماره» (Uses)، كما يقول منظر كتاب Speech Acts، إنه يضع تصورا (Begriff)، بدوره يدرك دون أن يستوعب، يفهم دون أن يطبق، والحركة المزدوجة لشخص ما يدرك في الوقت ذاته، تحمل أو لا تحمل المسؤولية النظرية العلمية لتصور كهذا، إنه حقا مشهد «الروعة» الذي تسمه الفتنة الشرطية «فيما إذا كان بوسعي أخيرا أن أسمح لنفسي بفتنة مصطلح تقني مستمد من التحليلنفسي. مثال على.. طاعة بعد فوات الأوان[1]، ولعبة هذه الفتنة هي بمثابة الربط بين الحقيقة والخيال، إنها تؤمن، هذا ما يبدو، وحدة هذا الكتاب بوصفه رابطا معا أربعة فصول من (Scholarship)، أرادت لنفسها أن تكون مطابقة للقواعد التقليدية، للنزعة العلمية، والفصل الأخير من المونولوج الخيالي بإضافة إلى طيف لم يعد يستجيب ظاهريا على الأقل لكن الفصل الأخير، الأكثر خيالية، ليس بالطبع أقل قبولا. وعلى طريقته، حتى وإن لم يقل ذلك، **يقدم** الحقيقة بالمعنى الذي استطاع أوغسطين أن يقوله عن الاعتراف[2] إنه يوحي لنا بشيء حول حقيقة الحقيقة أي حول تاريخ الحقيقة، مثلما حول حقيقة الاختلاف اللغزي التي أراد (فرويد) أن يميز بها بين «الحقيقة المادية» و«الحقيقة التاريخية»، لا أتخيل أفضل مقدمة لمسالة الأرشيف اليوم، من الرهان نفسه لهذا الاختلاف المسبب للدوار de celte vertigineuse différence كيف أن «روعة» هذه obedience Dbferred الطاعة المختلفة تربط ما بين زمني الكتاب هذا؟. إن تاريخ هذا التصور

(1) هذه العبارة المتكررة تحيلنا إلى قراءة العلاقة المذكورة خصوصا من خلال كتابة (موسى والتوحيد) ومآلاته الفكرية.

(2) هو اعتراف أو غسطين، ومن منظور طاعوي، حيث يغدو الأرشيف المتحدث عنه أكثر جلاء!

(nahbtragliche gehorsam) الطاعة بعد فوات الأوان..)، كما يدونه يورشالمي في بضعة سطور، يعود إلى الطوطم والتابو(*).

فرويد يشير إلى أن [الأب] أصبح أكثر قوة إلى درجة [أنه] لم يكن كذلك عندما كان حيا [..] بموجب واقع نفسي أصبح مألوفا لدينا في التحليلنفسي «الطاعة بعد فوات الأوان»[1].

بهذا الإخراج المقنع تماما يستخلص يورشالمي كل النتائج. هذا التصور التقني المتعلق بـ «الطوطم بعد فوات الأوان» (deferrd obedience) والأمن الطوطم والتابو يجد نفسه في هذه المرة. مقتبسا ومنتقلا، هنا أيضا بموجب الفترة المطلوبة حول فرويد ذاته، فرويد مؤلف موسى.. الامتثال المختلف يغدو هنا امتثال سيغموند ليعقوب والده «عندما كتب موسى الإنسان والديانة التوحيدية ليس أنه أطاع أخيرا لوالده وتعمق في الدراسة المكثفة للتوراة، لكن بفضل التفسير الذي قدمه عنها، توصل إلى

---

(1) الأمر يتعلق بمقطع حاولت تفسيره، في علاقته بأصل القانون وحول Vor dem gesetz لكافكا. انظر «المحكومون أمام القانون» في القدرة في التحكم ــ منشورات مينوي 1985.
لنقرأ هذا المقطع الدال على ذلك والمتعلق بالأب البدائي، الأولي، وكيفية تآمر أبنائه ضده، ودور الطاعة بعد فوات الأوان، بعد فعل القتل. في كتاب (الطوطم والتابو) الترجمة العربية ولبو علي ياسين ــ دار الحوار ــ اللاذقية ط1 ــ 1983 ــ ص (170): (لقد كانوا يكرهون الأب الذي وقف حجر عثرة جبارة أمام حاجتهم السلطوية ومتطلباتهم الجنسية، لكنهم كانوا يحبونه ايضا ويعجبون به. وبعد أن قضوا عليه وأرضوا كراهيتهم وحققوا رغبتهم بالتماثل معه، كان لابد أن تظهر عواطف المودة المقموعة. وقد حدث هذا بصورة الندم، نشأ شعور بالذنب يتطابق هنا مع الندم المحسوس به من قبل الجميع بصورة مشتركة. هكذا أصبح القتيل أقوى مما كان الحي، كل هذا كما نراه إلى اليوم في مصائر البشر. وما حظره الأب سابقا بوجوده، يحظره الآن الابناء على أنفسهم في الحالة النفسية المعروفة جيدا من قبل التحليلنفسي، في «الطاعة المستدركة» إنهم يتراجعون عن فعلتهم بأن لا يسمحوا بقتل بديل الأب، وهو الطوطم.. الخ).

الاحتفاظ باستقلاليته إزاء والده. رفض «الحقيقة المادية» للحكاية التوراتية، إنما استمتع باكتشاف «حقيقة تاريخية فيها»(*). «كيف يجب عليه أن ينهيها؟ ليسأل إذا يورشالمي قبل أن يقوم بمدح اندرياس سالومة، الذي قال بأنه قرأ كتاب موسى.. صيغة جديدة لعودة المكبوت، هذه المرة ليس بصيغة» أشباح انبثقت من الماضي (Phantons out of the past)(**) إنما ما يمكن أن نسميه «انتصارا للحياة». البقاء لم يعد يعني الموت وعودة الطيف، إنما البقاء تمسكا بالحياة التي تقاوم العدم[1] (the survival of the most triumphant vital elements of the past).

والحال أن بعض صفحات أكثر بعدا في افتتاحية **مونولوج**. يورشالمي تجرأ على مخاطبة فرويد، إنه يتحدث إذا إلى أحد هذه «الأشباح المنبثقة من الماضي» [Phantoms out of the past][2] هذا «الشولار» الجديد، يبدو وكأنه قادم مباشرة من هملت «أنت متعلم فكلمه يا هوراثيو»، يناجي دون مواربة، الطيف الأبوي للأستاذ فرويد، مشهد مشترك قليلا وربما لا مثيل له في تاريخ التحليلنفسي، لا أستطيع أن أمنح العدالة كما أريدها، لا إلى الثروة المجهولة، ولا إلى السخرية دون وجود أساس لهذا **المونولوج** غير المسموح حيث خلاله تجرأ مؤرخ أن يبلغ حدودا وقد جلب أمامه «مؤرخون

(*) المصدر نفسه ــ ص 151 الترجمة المعدلة.

(**) المصدر نفسه ــ ص 151 ــ 152 ــ الترجمة المعدلة.

(1) الطيف بقدر ما يخص الميت الذي مات ومضى، وقد انتهى أمره، بقدر ما يهم الحي، يخص تصفية حسابات، اختلالات وعلاقات تتطلب ترتيبات جديدة، سواء أكان طيف ميت فعلي أو متخيل (أدبي)، فثمة في الحالتين ما يراد قوله، أو ما يتم إرساله كإشارة إلى ما يجب تحقيقه لاحقا!

(2) انظر المخطوط ــ ص 64 التعليق رقم 159.

عاديون» (Ordinary historians)[*] العار لأنفسهم. أتمسك إذا مرة أخرى بثبات الأرشيف وبلا ريب لن أخبر شيئا للمؤلف مما يتعلق بهذا المونولوج العظيم.. خشية بعض الملاحظات التي، وأنا أطبع بدوري، سأجمعها تحت عنوان يسمى «الامتثال المختلف» (deferred obedience).

ما هو الامتثال هذا؟ إنه ليس الطاعة «بعد فوات الأوان» حيث يتحدث عنها فرويد في كتابة الطوطم والتابو[1] ولا تلك التي يتحدث عنها يورشالمي (طاعة سيغموند تجاه يعقوب والده)، إنما الامتثال المختلف ليورشالمي إزاء مختلف.

هذا الزمن المتصل بالتكرار، لنصفه بوساطة الكلمات التي خصصها يورشالمي لفرويد:

1. يورشالمي بدوره يخاطب أخيرا ومتأخرا (belatedleh) شبح فرويد وباحترام بنوي[2].
2. «يغوص» ثانية بدوره في «الدراسة المكثفة عن التوراة».
3. «يحافظ على استقلاليته». مقلدا قاتل أبيه الخيالي المزدوج، يناقش بحماس شديد مع أستاذ حيث يقبل قوانينه ومقدماته التحليلنفسية.

(*) المصدر نفسه ــ ص 163.

(1) ثمة أكثر من إشكالية تاريخية و دينية هنا. إنها حقوقية وقانونية وأخلاقية أيضا، تخص الارث المشترك لليهودية والمسيحية في اقتسام الأب، وفي حقيقة حلول الابن محله، وفي احتكار حقيقة الأب، ومن يمكنه أن يكون أبا، من يمكنه أن يجهز بحقيقته ويدعم هنا. كما في الطوطم والتابو ــ ص(173) وما بعد.

(2) فرويد دشن لمشروع الأب الذي يمكن الاحتفاظ بأثره، بحبله والاحتماء به، ما دام (يحرر) تاريخا باسمه دينيا، لهذا يتلمس فيه يورشالمي ابا رمزيا، منقذا، ودريدا هو الابن / الحفيد الذي يدخل في الحلف البنوي اللاحق، كما يظهر.

يستبطن أيضا خطاب البطيرك، على الأقل محترما عبارة «برأيك» (according to you) المتعلق بالتعليمات، بالتعريفات، بالتقنيات التلمودية. dule didakh, terminus technicus talmudique

كل هذه العلامات تذكرنا به، يورشالمي «يطيع والده أخيرا»، هو أيضا، شاء أم لم يشأ. إنه يتماهى معه ويتقمصه كشبح في ذاته قبله، يقدم له حسن ضيافة، وذهب حتى الاعتراف له ليس بدون حماس، إنه «إنك موجود بالفعل، وتبقى بالنسبة لي حاضرا بما يذهل».

(you are real, and, for me, curiously present) والحال أن هذا الشبح، علينا ألا ننساه، إنه أيضا شبح خبير شبحي. الخبير هذا أشار ذات يوم بأن الأكثر أهمية في الكبت، هو أن المرء لا يبلغ مستوى الكبت، فإن الشبح يصنع القانون، دائما أكثر من أي وقت عندما يقوم بمماحكته[1] بما أن والد هملت متخف تحت خوذته وبموجب تأثير **واقية الوجه** فإن

---

(1) نتذكر هنا من وما يكونه فرويد، ما يذكرنا به هذا الشبح المطلوب. فهو الذي يفتح ملفا لقضية موغلة في القدم، وهو الذي يحرض الآخر ذاك الذي يتراءى له لكي ينفذ ما هو مطلوب منه، ما يعتمل في داخله من مشاعر. الشبح هنا متميز، ومميز بأوصاف، بعلامات فارقة، تؤهله لكي يكون مأخوذا به كشبح محتفظ بمكانته. يورشالمي بالنسبة لدريدا هو الذي يلاحقه وليس العكس. المونولوج ليورشالمي، والشبح منخرط فيه، في لعبة صانع الاشباح، والملاحق لها، لأنه هو بدوره مسكون بهاجس وحيوية ما يمثله الشبح حقيقة. فرويد الشبح والشبح فرويد، وفي الحالتين يكون يورشالمي المعزز لحضورهما وهما واحد. هو ليس كشبح والد هاملت. ربما يكون هذا شخصية حقيقية، ولكنه منسوج بلغة المسرح، كما قدمه شكسبير. اما في حال يورشالمي، فالوضع مغاير. إنه شبح مفكر فيه، مشهد مسرحي ولكنه ليس رهين خشبته.. ودريدا إذ يلاحقه فلكي يمارس تفكيكا أعمق لخاصية الأرشيف، يحرره من عوائقه، من ثقل العتمة المسببة للشبحية، بغية الكشف والانكشاف. لذلك يبرز القانون حاصل الحضور الشبحي المتكرر، فثمة ما يحركه، ثمة ما يؤججه لقضية تبتغي نهاية لها..

الطيف يرى دون أن يرى، يجدد التبعية هكذا ثانية. يرى نفسه بشكل مؤكد ومكررا عبر المماحكة حتى عندما يدعي المرء معارضتها. يملي حتى كلماته على ذلك الذي يخاطبه على سبيل المثال كلمة غريب e'trange بكل دلالتها «engrossment» بعد استعمالها بغية ترجمة بيان متأخر عن فرويد في موضوع إشباعه بالثقافة التوراتية، يورشالمي يطبقها على نفسه بنفسه، مداولة أولا، ليصف إحاطته الخاصة بهذا الأرشيف الفرويدي الذي أمسى كالتوراة بالنسبة إليه التوراة الطيفية، يتحدث عن «امتلائه» الخاص[1]. من خلال وفي مدونة فرويد في حركة حيث من المستحيل التمييز بين الحب والكراهية إنما أيضا بين أشباههما المزدوجة doubles simulacres يبرئ يورشالمي نفسه بألم وبجد بعد فرويد حتى أنه طلب عفوه. حتى أنه يتذكر، حسب اعتقاده، بأن، على الورثة الآخرين وعصبة الشر et des mauvais fils، لم يبحث عن الأسرار أو عن نقاط ضعف المعلم، لذلك الذي يبقى، مثل غوته عبر «الملاحظات الأوتوبيودغرافية» « a careful conealer» «رجل يتخفى بخفة»:

«أنا لم أتحر في حياتك بحثا عن النقائص، النقائص المكتشفة من قبل آخرين في السنوات الأخيرة، لم تجرح شعوري (my engrossment)، بالنسبة لمؤلفك المميز الذي هو بدوره يستمر موسوسا. كروح معذبة.[2]

---

(1) كل ما يفكر فيه دريدا بسنده إلى دعامة، بقصد إثارة الفكرة، إضاءة حيزها لتثبيت مقولته. هذا الإلحاح الفرويدي، ليورشالمي، التوراتي، لأنه هو ذاته معنى بالثالوث المذكور، وهم في النهاية، كما في البداية واحد، التوراة الطيفية مثلا تتجدد كأثر كارشيف حي في وجدانه، لأن ما يقض مضجعه، هو أن يعيد للتوراة مكانتها التاريخية التي ينشدها.

(2) إحالة شبح الميت، إلى شبح متخيل، حيث المتكلم ليس فرويدا، إنما هو فرويد الذي يتصور، أو يتخيل حقيقة نفسية، أو شخصية نسجت أدبيا من نمط شخصية والد هملت. مع خلاف، هو أن فرويدا هنا يصاغ ويكتب فيه وعنه من منظور يورشالمي. وتتجلى عبارة الروح

(like an unlaid ghost). (*)

بشكل طبيعي، وبموجب كل مظهر، يعتقد معرفة ذلك، الشيخ لا يرد، لن يرد أبدا، يورشمالي لا يجعل ذلك. وفرويد مهيب لأكثر من سبب، إنه أبدا لن يعاود الكلام:

1. سوف لن يعود يرد في المستقبل لأنه كان قد رد سابقا. ولهذا فإن يورشالمي يريد السماع من فمه، إلى مورسيللي على سبيل المثال، أكثر من نصف قرن مضى.

2. إنه سوف لن يعود يرد، لأنه كان في موقع الرد دائما.

3. إنه سوف لن يعود يرد لأنه كان شبحا، إذا هو ميت.

4. إنه سوف لن يعود يرد لأنه شبح محلل نفسي. وربما لأن المحلل يجب أن ينسحب نحو هذا الموقع الطيفي، مكان الميت، انطلاقا منه، تاركا إياه متكلما، ويستنطق ولا يرد أبدا إلا أن يسكت ولا يسكت إلا ليترك الكلام

المعذبة، من داخل فرويد، مثلما من داخل يورشالمي، لأن كل روح مأخوذة بهوى، الأخرى، وشغوف بحضورها ودلالتها. دريدا هو الروح الثالثة المعذبة هنا، حيث يعيشهما، يتجاوب مع المونولوج المؤلف! يورشالمي يصيغ عبر الآخر أفكاره، ولكنها الأفكار التي تتغذى على أفكاره تلك، إنها ليست وليدة العدم، إنما هي مسكونة بنفس أفكار فرويد. ودريدا يعزز ذلك بانغماره في المشروع المونولوجي. والروح المعذبة هي التي تحمل رسالة من الماضي باتجاه المستقبل. أو من المستقبل دعما للماضي الذي بحث فيه. ثمة أرشيف يتم تبنيه هنا يعاد تركيبه عبر الأسئلة الواردة من لدن دريدا دفاعا عن ثقافة يدعو إليها، ولا يقتصر على الكتابة فقط.

(*) المصدر نفسه ص 155 ـ 156.

للمريض، إنه مجال التحول والتفسير والعمل[1].

هذا على الأقل ما **نعتقد معرفته**، هذا هو المظهر: الآخر لن يعود يرد. والخيال إنه رغم هذه الضرورات ورغم هذه التجليات، وهذه اليقينيات المعتمدة، بالرغم من التطمينات المؤكدة Les rassurantes assurances، التي تتملكنا معرفة كهذه، أو اعتقاد معرفة كهذه، حيث عبره يستمر الشبح في الكلام.

ربما لا يرد، إنما يتكلم، شبح يتكلم، ماذا يعني ذلك؟ أولا أو بطريقة تمهيدية، ذلك يعني بأنه يمتلك ردا دون الإفصاح عنه، تقريبا مثل مجاوب آلي (answering machine)، حيث صوته ينبعث في لحظة التسجيل: تدعى، الآخر هو ميت، الآن، بأنك تعرفه أولا، والصوت يجيبك بطريقة واضحة جدا، وأحيانا بحبور alle gresse يعلمك في أن بوسعه أن يوجهك، ويقدم لك توضيحات، ويوجه طلباتك، وصلواتك، ووعودك، وأوامرك[2].

من المفترض **cancesso non dato** [3]، أن شخصا حيا يجيب دائما

---

(1) في الحالات كلها يبقى فرويد المتكلم والمستنطق، وهو الموضوع الحامل بالآمال، ويورشالمي لم يعقد معه اتفاقا إلا لأنه تلمس فيه ما يفكر فيه مستقبلا، وهذا ما يتحرك نحوه وإليه دريدا في تفكيكيته.

(2) العلاقة مع الشبح هي علاقة مع حالة يحضر لها، ولأنها تتهيأ لإقامة مثل هاتيك العلاقة. عبر الإيمان بقوة الشبح يبرز الإيمان الآخر، وهو الاعتقاد بما يسقط على الشبح من أفكار.. الشبح هو أنا حيث أؤمن به وأستدعيه!

(3) يحيل دريدا مفهوم الافتراض إلى إمكان متعدد الاحتمالات، متنوع النتائج، لأن منهجه التفكيكي يوحي بذلك. ولكن صيغة الافتراض التي تبدو مشابهة لما يجري في حقل العلوم الطبيعية، تحتفظ بمفهومها الخاص هنا. وبمعناها المفارق بالمقابل. إنه افتراض يشرف على ما يجب أن يكون، على حقيقة مرسومة. فرويد هنا شخصية ليست افتراضية باعتباره مقروءا ومأخوذا بمعان عدة، ولذلك فإن ما يستشف منه، ويبنى عليه لا يخرج عن الحيز الذي شدد على أهميته في (موسى والتوحيد) خصوصا، حيث التحليلنفسي في خدمة تصوراته.

أقل آلية، دون أن تحيط تقنية الأرشيف أبدا بفرادة الحدث، نعرف على كل حال أن ردا طيفيا reponse spectrale (إذا المتعلم عبر التقانة te'khne، والمدون في أرشيف ما)، هي دائما ممكن. لا يوجد لا تاريخ ولا تراث ولا ثقافة دون هذه الإمكانية[1] وعن ذلك نتحدث هنا، وفي الحقيقة عن ذلك علينا ألا نرد.

ليس بوسعنا التشكيل ثانية، التبادل الافتراضي للأسئلة ـ الأجوبة في هكذا **مونولوج**.. في موضوع المحتوى contenu، حتى لكتاب **موسى**..

هذا النقاش التلمودي التحليلنفسي، هو مؤثر وأخاذ passionnant et passion née، إنما ألا نستطيع القول إذا بأنه يمنح الحق لفرويد؟ ألا يمكن الزعم بأن البنية نفسها للمشهد، والمنطق الشكلي، للحجج، للواقعية، واستراتيجية المحاورين الأحياء والطيفيين[2] (vivan ou spectraux) **يعطي** الحق لفرويد. حتى هنا، وربما خصوصا هنا حيث أنه على حق، من وجهة نظر «الحقيقة المادية»؟ هنا حيث سيكون فيها من جديد، ميتا من جديد،

---

(1) الأرشيف الذي يتحدث عنه دريدا يكاد يتكلم العبرية. إنه ملفوف بعباءة أو بسمات توراتية مهما كانت الرؤى الدريدية متغيرة، كأني بدريدا يدفع بالتفلسف في هذا المنحى، أي بأرشيفها، كما تصرف هيدجر سابقا حين دعا إلى ضرورة أن تتكلم الفلسفة الألمانية، حيث اعتبرها تتكلم باليونانية قديما ودريدا يعمق هذا المفهوم وسط جمهرة من بلاغات القول. ألتكون متكلمة العبرية؟

(2) سواء كنا بصدد الأحياء أو الطيفيين، فالنتيجة سواء، وهي أن الذين يتحدثون هم من الحلف (المقدس) يهود تماما، كما أن المائدة التي يدور حولها النقاش بما تحمله من مواضيع مصنوعة بمواصفات توراتية. وفرويد هو شخصية دريدا الرئيسية لدريدا، كما كان سقراط شخصية أفلاطون في محاوراته..

فرويد مثله مثل سواه، من لا يوس إلى موسى؟[1]. حتى هنا حيث أنه متهم بكثير من الافتقادات من قبل ذلك الذي يمضي مكررا «أيضا مرة أخرى (irepeat): أنا لا ألومكم».

«إعادة العدالة إلى نصابها» مرة أخرى أيضا أود في الواقع إنما ليس بوسعي استرداد العدالة لنقاش مكثف وغني، يخرجه هذا **المونولوج**.. النهائي. إذا فشلت في القيام بذلك كما أن ذلك يبدو حتما لسوء الحظ، وذلك لا يعود فقط لهذه الحدود أو تلك (حدود شخصية، واختبارية، وواقعية للأسف..)، حتى أن ذلك لا يعود إلى غياب الزمن. هذا «الظلم» القدري يقوم على ضرورة إحقاق الحق مسبقا، حيث يشغل بها موقع فرويد. بأي عنف غريب أود التحدث (من خلال هم العدالة، لأنني، سأكون بلا شك ظالما عبر الانشغال بالعدالة) مما يجعلني أن أكون مذنبا بدوري.

هذا المونولوج الخيالي والحقيقي في آن[2] المشدود والدرامي، هو

---

(1) لا يوسى هو والد أوديب، موسى هو النبي المقتول، والاثنان يجتمعان في خاصية واحدة، هي أنهما في مقام الأب الذي يقتل من قبل الابن. وهذا ما يذكره فرويد في (موسى:5). القتل رمزي يهودي عند دريدا حيث يحاكم الآخرون!.
المصدر نفسه، والمترجم ص183.

(2) كل حدث يقوم ويتحرك على أرضية يتم فها سفك دماء، وتحتك فيه مؤامرات يتخذ طابعا مسرحيا. وتبرز فيه المأسوية بحدة. وفرويد في عموم تحليلاته كان يصيغ افكاره وهي تتراءى مأسوية: درامية في العمق، خصوصا في تشخيص وتحليل مفهوم الأب، بحيث يغدو اللا شعور ذاته شخصية واضحة ويورشالمي يغذي هذا المفهوم دراميا، إذ يصعد شخصية فرويد بالصورة التي كان يبنيها في قرارة نفسه، وهو يعالج مفاهيمه تحليلنفسيا. وهذا ما يتجاوب مع اتجاه الرغبة المتجلية عقلية أو معقلنة في تفكيكية دريدا.. بل إن إحياءه أو تبنيه لمفهوم الشبح بالمعنى الفرويدي يتم في سياق تماثلي وتضايفي.. فالماسوي يعلمنا كثيرا بالغاء الحدود بين الموت والحياة، لأن هناك باستمرار ما يشبه تصفية حسابات بين الماضي والحاضر باتجاه المستقبل: يهوديا تتجلبب اللغة برداء الماسوية الممسرحة. لأن

خصيب بمقدار ما هو محتوم. إنه لا يحرم الآخر من حقه في الكلام. والقول بأن فرويدا لا يمكنه الكلام لا يخلو من تجن عليه. إنه الأول بطريقة ما في المبادرة بالكلام، والكلمة الأخيرة هي من حقه. ناصية الكلام سلمت له، أو أسندت إليه. تلزم ساعات لتبرير هذه الكلمات الثلاث لهذه الأخيرة. ما يهمني هنا بالدرجة الأولى، هو القدر شبه الكلي لأثر مكشوف.

لابد علي إذا من أن أتحدد في هذه الشكلانية متخليا عن النقاش المفصل لمحتوى التحليلات. لكن قبل العودة إلى قدرية البنية هذه، أريد، على الأقل بين قوسين وبعنوان توضيحي، أن أعطي مثالا واحدا ما قد يكونه هذا النقاش في بداية المونولوج...، مستندا إلى استشهادات مدارش، يورشالمي يقترح خاتمة أولى على الأستاذ فرويد».

«لو كان موسى فعلا (aclually) قد قتل من قبل أسلافنا، ليس فقط أن القاتل لم يغيب (repressed) إنما بالعكس قد حفظ في الذاكرة (remembered) وسجل [أرشف، Recarded]، بحماس متروس، في تفاصيله الأكثر واقعية كالمثال الجوهري، والرئيس لخطيئة بني إسرائيل».

يبدو لي في هذا الكتاب، أن ثمة عصب الحجة. والحال أنه لأجل التأكيد على ذلك، ما زال على يورشالمي واجب الافتراض بأن ما بين فعل الذاكرة أو الأرشفة من جهة والكبت من جهة أخرى، التناقض يبقى من المتعذر تبسيطه[1]، كما لو أن ليس بالإمكان بدقة، التذكير وأرشفة ذلك حتى لو كنا نكبت أرشفته عند طيه (لأن الكبت عبارة عن أرشفة)، أي أن الأرشفة بطريقة أخرى وكبت الأرشيف، عند أرشفة الكبت، **بطريقة أخرى**، بالتأكيد،

هناك غبنا ــ كما يبدو ــ تاريخيا، ملحقا باليهود.. وفرويد هو طعم بصورة، ما لإطلاق الفكرة التي فكر فيها كثيرا!

(1) الحديث عن القتل له مفعوله السحري والطقسي في عرف يورشالمي، ودريدا لايني يعود إليه، بل لا يفارقه لأنه حيوي حيث يساهم في تنشيط مفهومه، كون الأرشيف ذاته يهجس بخلل، ويفصح عن جريمة، ربما تكون رمزية، تتطلب تحليلا ومقاضاة.

هي كل المشكلة[1]، بموجب نماذج الأرشفة الشائعة، الواضحة، بطريقة أخرى، أي بموجب الطرق التي استدعت تفكيك التحليلنفسي، أي في الواقع: التحليلنفسي ذاته. كيف بوسع يورشالمي التأكد من أن القتل المذكور، لم يورد ولم يؤرشف بعمق (rememberd and recorded) في ذاكرة بني إسرائيل؟ كيف بوسعه الزعم بتقديم دليل لغياب أرشيف ما؟ كيف يمكن تقديم مسوغ عن غياب أرشيف معين عموما، وإلا كيفت يمكنه الاتكاء على قواعد كلاسية (حضور/ غياب مرجع حرفي وواضح لهذا أو ذاك، لما يخص هذا أو ذاك اللذين من المفترض أن يكونا متماثلين وغائبين ببساطة، حاضرين راهنا. كيف ولماذا يمكن عدم الأخذ في الحسبان بالأرشيفات اللا واعية والافتراضية عموما)؟[2] والحال إن يورشالمي يعرف جيدا بأن قصد فرويد هو التحليل عبر الغياب المتجلي للذاكرة والأرشيف، وكل أنواع الأعراض، والعلاقات، والأشكال، والاستعارات، والكنايات، التي تثبت على الأقل افتراضيا، توثيقا ارشفيا هنا حيث المؤرخ العادي لا يتعرف على أي منها. أن

---

(1) هذه التراكيب القولية، وإن كانت تجهدنا، إلا أنها تتطلب تمعينا في بنيتها، عندما تواظب على أداء دورها، في استبيان ما تريد إثارته وتعليمه، بوجود ارشيف تاريخي يستدعي معالجة طارئة قبل استفحال المشكلة.

(1) المصدر نفسه ص161 الترجمة المعدلة.

(2) كل ما يحاول دريدا إثارته بخصوص موضوعة الأرشيف، هو ما يخدم الأرشيف هذا، ما بوسعه على القيام به لجعله إمكانا قيد التحقيق. في ذاكرة بني إسرائيل ثمة ما يجدر الوقوف عنده، ليس باعتباره حقيقة مغيبة أو مشوهة، وإنما كون هذا الجديد بالطرح شاغلا لدريدا ويخص الذاكرة المذكورة. والأرشيف هنا ينحو بنا منحى عقائديا وايديولوجيا. ثمة دعوة إلى ضرورة إعادة النظر في بنية المرجع، في طبيعته، في مكوناته، هذه الدعوة تحمل في تضاعيفها احتجاجا على المرجع ذاته ذاك الذي يخص الأرشيف، ولكن بالمعنى السلبي. قوله يفصح عن نفاذ قيمي ودلالي تاريخي للأرشيف لأن هذا مكون وموجه بطريقة لا تفي بالمأمول. ثمة محاولة لنسف أرضية أرشيف كهذا. لأنه يفتقد صوته الذي يهمه، ويفتقر إلى مكانة معلومة وممهورة باسمه. لذلك نشهد تحويلا من لدنه بالأرشيف الذي ضاق على اسمه على ضيق ما يحتويه، وتوسيعا وتغييرا لمفهومه.

نتبع فرويدا أو لا نتبعه في إثباته. فإنه قد ادعى بأن قتل موسى قد أهمل **فعلا** أرشيفات ووثائق وأعراضا في الذاكرة اليهودية وحتى في الذاكرة الإنسانية[1] ببساطة إن نصوص هذا الأرشيف ليست واضحة، حسب «طرق التاريخ الشائع». وهذه هي مصلحة التحليلنفسي، إذا كان هناك مصلحة لنذهب أبعد من ذلك ولنبق أقرب أكثر من المثال المختار من لدن يورشالمي الذي لديه الشجاعة والجدارة وحتى المجازفة، في الاستشهاد ليس بالتوراة فقط، إنما «بحاخام المدراش»، إنما بالتوراة أيضا ليستشهد على الأقل بمحاولة القتل.

«الحال أن الجماعة كلها، تتحدث عن رجمهما (العدد 14 ـ 10) من إذا؟ موسى وهارون[2] [لكن الآية تستمر] عندما تجلى مجد الرب [في خيمة الدعوة لكل بني إسرائيل] ذلك يعلمنا بأنهم كانوا يرمون الحجارة، بينما السحابة [مجد الرب] كانت تتصدى لها»[3].

يبدو أن يورشالمي وهو يختتم ـ ويريد إقناع الأستاذ فرويد ـ بأنه فيما إذا في الواقع أرادوا قتل موسى (وهارون)، وإذا كانت هذه النية قد بقيت تماما في الذاكرة وفي الأرشيف، هو ما يؤخذ بالحسبان، بأن الإسرائيليين لم يقتلوه «بالفعل (actually)».

هذه الخاتمة تبدو هشة Fragile على نحو مزدوج. وحتى من وجهة نظر المدراش المذكور. أولا دون الحاجة في استدعاء التحليلنفسي يجب الاعتراف

---

(1) يمنح دريدا فعل القتل الموجه إلى موسى بعدا مأسويا وفلسفيا. إنه يدخل في حيز وحاجة كلامية، يحفر ما يسبق عملية القتل، حقيقته، يضع المفهوم بين قوسين، معلقا إياه، يجهر بحقيقة لصيقة بالحدث، ولكنها تغير في دلالته. بحيث تكتسب الذاكرة اليهودية قيمة تاريخية مفلسفة.

(2) يمكن الرجوع في ذلك إلى المرويات العربية الاسلامية، وفي قصص الأنبياء بالذات.

(3) ينتصر الأنبياء باستمرار ـ لأنهم مرسلون من قبل الله، حتى وهم يقتلون، لأن سرد تاريخ حياتهم هو الذي يفتتح مستقبلا جديدا من بعدهم.

بأنه إذا كان القتل لم يتم، وإذا بقي افتراضيا، وإذا أوشك على الإتمام فقط، **فإن النية في القتل كانت فعلية، وراهنا، وفي الواقع مكتملة**[1].

ثمة مقطع يخص هذا الفعل، الحجارة كانت ترمى في الواقع، كانت تستمر في القذف بينما التدخل الوحيد كان عبر الذي يتصدى لها. الجريمة في أي لحظة لم تتوقف من قبل الإسرائيليين أنفسهم الذين احتفظوا بهذه البنية المؤجلة، أو تخلوا أمام فعل الخطيئة. إذا لا توجد فقط نية إنما محاولة قتل، محاولة فعلية[2] راهنة، حيث الوحيدة هي القضية الخارجية (رجل القانون اعتبرها حدثا Accident) التي انحرف مسارها. ثانيا، وهذه المرة، يؤخذ في الحسبان منطق التحليلنفسي أي اختلاف يوجد بين قتل ونية على القتل (خصوصا) إذا كانت هذه النية

(1) ألا نشهد بلورة فكرة كانطية عن النية هنا؟ إن الـ(إذاوية) تلعب دورها الدلالي هنا، حين تشترط باستمرار. فكل حدث يقع يكون شرطيا. المحاكمة بصيغتها الفلسفية تطال الحدث المتضمن الجريمة وتدفع بالنية إلى ساحة الوضوح. كل ما يخص موضوعة النية يتوضح هنا، لأن النية في الحالة هذه تمتد بجذورها في الجهات الأربع: لماذا القتل، وما هي مبرراته، وهل حقا هناك قتل! ربما القتل يستند على ظرف نفسي خاص، حالة قهر، رد فعل يفقد المرء رشده، بحيث أنه لا ينظر فيه ولا يقام فيه الحد، وكأنه قد تم عن سابق تصور وتصميم وعن عمد. دريدا يحاول الغوص في الذاكرة اليهودية، في نفوس الأبناء الذين ثاروا على الأب، ولكنه في الحالة هاته، ألا يستنطق الظروف المحيطة؟ ترى ما الغرض من كل هذه الأسئلة الاستجوابية، والافتراضات وتعددية الاحتمالات بخصوص ماض يشهد على واقعة جرمية، لا يبرأ فيها الفاعل أبدا؟ دريدا يتدخل هنا، وهو يبدي احتجاجه على صياغة ارشيف بالشكل الذي قرأه أو نقرأه، منقبا في مقدماته، باحثا عن ذرائعه، ثمة مرافعة على موضوعة، دفاعا عن حقيقة وثقت كاستنطاق للميت لمعرفة كيفية وقوع الحدث، عبر ركام التساؤلات، وبقصد معاينة ما كان عليه وضع اليهود: الشعب (الشعب اليهودي) حيث تكتسب الجملة هنا قيمة ايديولوجية حديثة ولافتة!

(2) التركيز على المحاولة في القتل، درس في النية، وربما محو لمفهوم الجرم، واحلال مفهوم آخر محله وبذلك يكون وزر الهخطيئة أخف كما يلاحظ.

تحولت فعلا، لكن حتى لو لم يصبح كذلك، وحتى إذا لم تصبح محاولة قتل)؟ القتل يبدأ من نية القتل، الواعي يجهل هنا الاختلاف بين الافتراضي والفعلي[1] النية والفعل (يهودية هنا أيضا، من جهة أخرى)، أو على الأقل يقتدي بالطريقة حيث الوعي (كالحق أو كالأخلاق التي نمنحها) يوزع علائق الافتراضي والقصدي والفعل. وبهذا، سوف لن تنتهي أبدا، ولم تبدأ في الواقع باستخلاص كل النتائج الأخلاقية القضائية. في كل حال، إن النية في القتل، من الانتقال إلى الفعل لهذه الإرادة في القتل (كما أثبت ذلك من خلال النصوص التي يستشهد بها يورشالمي.

خصوصا هذا **المدراش** النادر)، اللا وعي بوسعه الاحتفاظ بالذاكرة والأرشيف الذي يخفيه أو يدون الأرشيف.

فضلا عن ذلك، نجد أن الكبت لم يكن فعالا جدا: الإرادة في القتل، الانتقال في الفعل، ومحاولة القتل، جميعها معترف بها، إنها مدونة حرفيا في الأرشيف. إذا كان موسى لم يقتل، فإن ذلك فقط، بفضل الله. الإسرائيليون تركوا على عاتقهم الرغبة في قتل موسى. إنهم ربما قتلوه، لقد عملوا كل ما في ما في وسعهم لقتله. يورشالمي كان يوضح: «إن المسألة الحيوية تكمن في معرفة فيما إذا، في الفرضية حيث موسى قد حكم عليه بالموت في الصحراء، ذلك (مشار إليه Souligne, this) بالفعل، قد نسي وغيب». كل شيء في نصه يرد: لا. والحال أنه بدلا من التدليل، مثلما يعتقد أن بوسعه الادعاء، فيما إذا كان لم يتخل عن الأرشيف، ذلك أن القتل لم يتم ويكفي قراءة النصوص التي يذكرها بنفسه لكي ينجز

---

(1) هل دريدا يحاكم الافتراضي أم الفعلي، أم يمنح الافتراضية صوتا، لتغيير مسار الفعلي دلالة؟ ثمة وضع تيهي في صياغة الأقوال، ونسج التصورات لفهم الحدث الذي أغلق على قضيته قديما، من منظور مختلف. الماضي لم يمض بعد إذا.

العكس، ذلك ما ترك أرشيفا حتى لو لم يكن هناك انتقال إلى الفعل، اللا وعي ربما استطاع الاحتفاظ بالأرشيف من نية الجريمة المحض. وتعليقاتها أو كبتها[1] يبدو أن بوسعنا القول، دون الانطلاق في الحسبان من لا شيء (أنا لم أقل بذلك)، إنما عبر القراءة الوحيدة لكل هذه الحجة. وللإشارة، عبر وفيما وراء التحليلنفسي، في عموميتها الأكثر عمقا المجال الإشكالي، **الأرشيف افتراضي** المواقعية هي الاسمانية اللتان حللناهما حتى الآن بوسعهما أن تتضمنا، كشرط ضروري كليا، نبأ الإنجاز الفعلي، الواقع، كما يقال، عن الحدث المؤرشف. ماذا سيحل به عندما يجب استخلاص مفهوم الافتراضية من الازدواجية التي تفترض الواقعية والفعلية؟ هل يجب الاستمرار في التفكير بأنه لا يوجد أرشيف يمكن التفكير فيه افتراضيا، ما يحدث في الحيز والزمن الافتراضي، هذا محتمل إلى حد ما، هذا التبادل متواصل. لكن يجب الأخذ في الحسبان الصارم بهذه الافتراضية أو إعادة بنية مفهومنا كليا، والمتوارث عن الأرشيف. سيحين الوقت لقبول حركة قلق بأرشيفنا المفهومي وتقاطعه مع «منطق اللا وعي» مع الفكر الافتراضي الذي لم يعد يتحدد عبر المعارضة الفلسفية التقليدية للفعل والاقتدار[2].

---

(1) يوسع دريدا دلالات الأرشيف، يمعن في الروافد والموتيفات الصغرى، فيما يعتبر هوامشيا، في النية، في الكبت... في اللا وعي، في التعليق الخاص بالقتل، في الكبت.. صياغات لا تبلبل الأفكار أحيانا، ودون أن نقلل من مدماكها النقدي المبصر، وإنما تحيل فعل القتل أحيانا إلى حالة غياب، إلى فاعل مجهول، إلى سبب قهري هنا.. والأرشيف يكتسب هنا صفات لم تكن معهودة فيه.

(1) المصدر نفسه ص 160 ــ الترجمة المعدلة ــ

لنعد الآن إلى ما كنا قد سميناه في تلك اللحظة القسرية القدرية والشكلية لتأثير إجرائي. هذا التأثير يحدث ما يقوم به موقع **المونولوج**.. في المشهد الذي يعتقد أن بوسعه تنظيمه، يمثل فيه أو يتكفل فيه للقيام بدور. هذا التأثير يبدو أنه يمنح الحق للشبح حتى هنا حيث هذا الشبح ربما بوسعه أن يكون على حق. يضيع في نزاعات الحجج. لأن المشهد يكرر فعليا، وهذا جلي بشدة، كل ما يقوله فرويد، ما يتعلق بعودة الأشباح[1]، كي أستعمل الكلمات نفسها عن يورشالمي والـ«متنافرة» القائم بين الأب والابن [tense agon of father and son] ربما يمكن تبيان ذلك في التفاصيل: تكرار كهذا يشهد على هذه «الحقيقة التاريخية» إلى درجة أن أي افتقاد لـ «الحقيقة المادية» سوف لن يحصل أبدا. ما يؤكد

---

(2) بين اعتراف بأرشيف جلي بأبعاده يخص القتل وأرشفته، وضرورة الاعتراف بذلك، وتردد في الاعتراف، وحالة انكار له، وما في ذلك من متابعات لاحقة، يظهر دريدا متلبسا شخصية القاضي والفيلسوف معا. إنه بقدر ما يفلسف الحدث يقاضيه، ليفلسفه ثمنذ!.

(1) ثمة واقعة ارواحية في صياغات دريدا وهو يتحدث عن خاصية الأشباح والحاحها في الحضور والظهور، تحيل إلى فاعلية طوطم مرهوب الجانب. الموتى لا يموتون ما داموا يتواصلون في علاقاتهم مع الأحياء، والأحياء بدورهم لا يكفون عن الاتصال بهم، ليسوا أحياء تماما، ثمة حضور لفاعلية الموت، ونشاط الموتى الدائب فيهم.

كون الماضي يلاحق الحاضر ويدخل في صراع مع المستقبل. العودة الاشباحية احترازية، نابعة من بنية الفكرة التي يتجدد حدث القتل أو النيل من الأب عبرها. دريدا يستعيد فكرة الأب، وفي كل مرة يطعمها بما من شأنها اكسابها ابعادا اضافية أكثر إشكالية، وبالتالي أكثر فاعلية. في العلاقة القائمة بين الأب والابن، حيث تتجاوز مجرد العلاقة الاثنينية. إنها تراتيبية باستمرار وجينالوجية، الابن القاتل يغدو لاحقا الأب المقتول، بنوع من القدرية الآثمة والضالعة في تجديد الإثم. اليهود يشغلون مكانة الابن، ولكنهم يتحولون إلى الأب المهدد من قبل الآخرين.. ام أن القضية هي داخلية (يهودية فقط؟) إذا كان الوضع هو هكذا فقط، فهذا يعني أن الارشيف يظل مليا، أو تمذهبيا، وبالتالي لا قيمة تاريخية أو معرفية فعلية له.. لذلك يتجاوز مفهوم الأب مذهبيته هنا، أم أن هناك خفاء آخر.

أو ما يبين حقيقة ما عن **موسى**. وعن فرويد، هو أنه ليس كتاب فرويد مدونا سلفا على سبيل المثال، في مونولوج خيالي، إذ يقرأ، معارض أو مستجوب فرويدا، يكرر بصورة مثالية منطق الحدث حيث قامت الرواية التاريخية من خلاله، وصف الطيف و«استبيان البنية» أن فرويد كتاب موسى لفرويد [freud's mose] هو موسى ليورشالمي[1]

[yerushalmi's mose]. إن النتيجة الغريبة لهذا التكرار الإجرائي، والإنجاز الخارق لهذا **التفعيل**، ما جعله عاجزا عن التمكن في التأخير على الإثبات في كل حال، وأن تفسير الأرشيف (هنا على سبيل المثال كتاب يورشالمي) ليس بوسعه توضيح، وقراءة، وتفسير، وبناء موضوعه، أي إرث معطى، إلا في التدوين فيه، أي بفتحه، وإغنائه بما فيه الكفاية كي يشغل مكانة هامة. لا يوجد ميتا أرشيف[2].

إن كتاب يورشالمي بما فيه مونولوجه الخيالي ينتمي من الآن فصاعدا إلى مدونة فرويد (موسى الخ..). [3]

---

(1) **فهو إذا في المحصلة موسى دريدا، إذ ينشغل بموضوعته، فلا يعود موسى مجرد اسم لشخصية مرسومة دينيا، إنما شخصية مفهومية عالمية تتجاوز حدود الزمكانية، وتشكل منبرا لبلورة أفكار، وربما أفكار، يشدد عليها يهوديا.**

(2) **إذا كان الأرشيف هو الموجود. فعلى التاريخ الدنيوي أن يقول كلمته، أن يتدخل لوقف كل تأثير قادم من خارج الغلاف الأرضي. على اليهود أن يعترفوا بمادية يهوه. وهنا لا يعود للاصطفائية أي حضور.. فيقرأ الأرشيف في كل ملابساته.**

(3) **المصدر نفسه ص179.**

حيث يحمل اسمه أيضا. أن تبقى هذه المدونة وهذا الاسم طيفين، فإنه ربما هنا الأمر يتعلق ببنية عامة للأرشيف كله عند الاندماج بالمعرفة التي تنشر بخصوص موضوعه فإن هذا الأرشيف يزداد ويتراكم ويكسب سلطة auctoritas. ولكنه يفقد مباشرة السلطة المطلقة والميتانصية حيث بوسعه أن يدعيهما سوف لن يكون بالإمكان أبدا أن يضفي عليه الطابع الموضوعي، دون تمامه. إن المؤرشف ينتج الأرشيف، ولهذا السبب لا ينغلق الأرشيف أبدا، إنه ينفتح على المستقبل[1].

كيف يمكن التفكير بهذا التكرار القدري repetition fatal، التكرار عموما في علاقته بالذاكرة وبالأرشيف؟ من السهل إدراك إن لم يكن تفسير ضرورة علاقة كهذه على الأقل كما لو أننا نحاول بصورة طبيعية للقيام بذلك، يضاف الأرشيف إلى التكرار والتكرار إلى الماضي[2] لكن الأمر يتعلق بالمستقبل هنا وبالأرشيف بوصفه تجربة مستقبلية لا يمكن اختزالها.

والحال أنه فيما إذا كان هناك عبارة وحيدة لم يعالجها يورشالمي إذا

(1) أعتقد أن العبارة هذه لا تقرأ في عموميتها. إنما تقرأ من خلال تصورات دريدا بالذات، عبر ما يعتقده ويشدد عليه عميقا. هو أرشيف يتحرك صوب المستقبل، ليس لأن من طبيعة الأرشيف هي أن يتقدم أن يزداد غنى واتساعا، إنما لأنه رهين مفهومه في الحالة المحددة له. تلعب الخصوصية دورا كبيرا في إضاءة خاصية الأرشيف. في الإشارة إلى ما يعتبر سوءا فيه، ومن ثم الإشادة بالارشيف من خلال قائمة مستجداته وإضافاته وملحقاته.. أرشيف دريدا يتحرك صوب المستقبل، لأن عليه أن يكون كذلك، لأن المأمول فيه وعليه هو أن يكون هكذا إذ أن ما يشدد عليه الكاتب هو تحقق اليهودي كإمكانية فعل ينجز لاحقا. ما دام المتحدث عنه بكل رموزه ومفاهيمه واستشهاداته يخدم هذه التطلعات ويبرزها.

(2) هل على التكرار ألا يقرأ إلا من خلال الخاصية السابقة؟ أليس التكرار فعلا من أفعال القهر، فعلا عصابيا. فحيث يكون يتكرر معه، ما يؤكد على الحالة المرضية للشخصية، ولعل ذلك ممكن مقاربته في سوء الأرشيف نفسه فكلمة (mal) من معانيها أيضا: المرض، والسوء، والألم.. وتكرار الحالة متواصل ما دام السوء، المرض موجود حتى تتم المعالجة.

كان هناك تأكيد تملص من كل نقاش (التحليلنفسي أو التملودي) تأكيد غير مشروط، إنه التأكيد على المستقبل (أفضل قول الآتي l'avenir على قول المستقبل futur، للإشارة إلى قدوم الحدث بدلا من الإشارة إلى إحاطة مستقبلي ما).

إن التأكيد على **الآتي** l'a venir إذا، ليس مقولة إيجابية، وليس شيئا آخر سوى التأكيد نفسه[1]، الـ«نعم oui» بوصفها شرط كل وعد أو كل تمن، وكل انتظار، وكل زهو، وكل انفتاح على المستقبل، كيفما كان بالنسبة للعلوم أو بالنسبة للدين. لهذا التأكيد المتجدد الصادر عن يورشالمي قد أكون جاهزا أن أوقع دون تحفظ Sans re'serve مع حالة قلق، وفي أعماقي، حالة قلق وحيدة، وعلى نقطة وحيدة، ليست أي نقطة، سأحددها بعد لحظة، هذه النادرة، تتلخص تماما في الواحد الأحد، في وحدة المتفرد[2].

Se résume justement a l'unique, a' l'unite' de l'un et de l'unique.

إن التأكيد على المستقبل يتكرر مرات عدة، وهو يعود على الأقل بموجب نماذج ثلاثة، تؤمن ثلاثة مواقع انفتاحية. فلنمنحها اسم أبواب portes.

الأبواب الثلاثة للمستقبل تتشابه في التيه بلا شك[3] إنما تتباين فيما

---

(1) الآتي هو نفسه المستقبل، هو ذاته القادم، هو المنتظر، فالمسحة الدينية شاملة له. ولعل الآتي متجذر في المطلوب تحقيقه كونه برءا لداء، واثباتا لعافية تطال الواقع نفسه. فيكون الأرضي سندا لمن يقوم عليه.

(2) تلكم هي وحدة اللاهوتي، أو الإله الأوحد، الإله الذي يتداخل مع المصطفى (المختار). ثمة حضور يهوي كائن في وحدة المتوحد، والأرشيف نفسه محمول بتبعات حضوره وصفاته.

(3) هل بإمكاننا أن نذكر هنا التيه اليهودي؟ فكرة التيه تضرب بجذورها في قلب البنيوية. البنيوية وضع تيهي، ليس لأن التيه من بين عشيقاتها (إن جاز استخدام بعض من صيغ شتراوس) وإنما لأنها تستند في جملة مفاهيمها وصياغة مفرداتها، وفي مآلاتها إلى حركية، كون الحنيني إلى الأصول دفاعا عن حقانية التأويل، وكون التشديد على الاختلاف

بينها: على الأقل في هذا المستقبل، إلى درجة أنها تدور بانتظام حول محاورها بغية فتح أحدها على الآخر وموقعها يبقى إذا محيرا déroutante ينتاب المرء دائما شعور بالتيه وهو يعود أدراجه ses. ماذا يمكن أن يفعل باب عندما ينفتح على سواه، ولا سيما على باب تم عبوره عند **مرور** (ذاك) القادم؟

عند تحديد هذه الأبواب؛ أفكر، أو بالأحرى أحلم بـ «والد بنجامين» في **أطروحاته حول فلسفة التاريخ**[1]، يشير إلى «الباب الضيق» بالنسبة لعبور المسيح «في كل ثانية» ويذكر أيضا بأن بالنسبة لليهود لا يغدو المستقبل زمنا متجانسا وفارغا[2] ماذا كان يمكنه أن يقول؟ أو في هذه اللحظة على الأقل، ماذا يمكننا أن نفهم أو نفشي بهذه الملاحظة حول الباب، باب المستقبل حيث يكون متجانسا ne serait pas homogéne اسمحوا لي إذا أن أحدد واعترف على ما أسميه بالأبواب المستقبلة

دفاعا عن حرية القول في الكتابة، وكون نشدان التمايز في معنى جديد دفاعا عن تبديد المركزية في الفعل وفي الأصل الوحيد الأوحد، نواميس حية في بنية كل ما يتحرك ويتجلى فيها. دريدا أقوى من أن يعرف في هذا الشأن، إنه كاتب تيهي. مفكر نومادي (رحالة)، تيهي يكره الإقامة، كما يصرح هو. ولكنه يقول ويكتب ولا يعلق. والأثر هو الذي يرسم إحداثياته. إن لتيهه علاقة رحمية مع الميتافيزيقيا، مع التاريخ، مع اللااستقرار حيث البحث يتم عن مكان يفترض فيه أن يكون آمنا من خلال مواصفات، تلائمه كيهودي قبل غيره.

(1) بنجامين ما بعد حداثي، فيلسوف يطنب حول المستقبل، تيهي العلامة بدوره، يهودي إيجازا، ولكنه يفلسف بعمق تاريخ ما يشغله. ما يقلقه أكثر من غيره هو التاريخ، فهو ـ هناك إن رمنا حقيقة جلية ـ واقع بين سندان التيه والسبي هذا الذي لا ينسى في الذاكرة، ومطرقة الخوف من الآخر، خشية تيه وسبي آخرين، انطلاقا من عقدة التمايز.. ولهذا يتجدد قلقه دوما، هو قلق يخص ما يفكر فيه بوصفه تحد ابدي له.

(2) يعمد المؤرخ إلى الحديث عن شاغل حيوي له بوصفه خللا تاريخيا، ويبتكر ضمنا أدواته، أطيافه، لشرعنة كل كتابة له. وقانون الطيف، هو طيف قانون يخص الأرشيف هو الأمل الموعود بجعله حقيقة منفذة.

الثلاثة. مثلما اعتقد أن بإمكاني أن أعدها في كتاب **مونولوج مع فرويد**. الباب الأخير ينفتح بالتأكيد، على الجملة الأخيرة من الكتاب. مكان مثير للاهتمام وضروري. حاسم هنا لا شيء يتقرر. هذا الباب الأخير لا يتخذ مصادفة شكل الوعد promesse، وعد سر حام. ماذا يحدث عندما يعد مؤرخ يحفظ السر فيما يتعلق بأرشيف يراد إنجازه؟ من يقوم بذلك؟ أهو مؤرخ؟ لمن يعد تجاه من؟ إزاء أي قانون؟ إزاء أي طيف وأي مشاهد يتظاهر يورشالمي على الالتزام مسبقا للحفاظ على سرية كلام فرويد، عندما يوضح، إنها الكلمة الأخيرة عن الكتاب «أتوسل إليك عزيزي الأستاذ، قل لي ذلك، أعد في ألا أفشي بردك لأي كان»؟.

ذاك الذي يعد بالسر لطيف، كيف يتجرأ على الادعاء بأنه مؤرخ؟ ربما لا نصادق على كلامه، حتى لو أنه كان يتظاهر وهو يخاطب الأستاذ، كما لو أنه يخاطب زميلا أو معلما. المؤرخ لا يتكلم إلا عن الماضي، يورشالمي يقول ذلك بنفسه في نهاية النص الأول الذي قرأته عنه حول هؤلاء اليهود ces marranes[1] حيث تماثلت معهم في السر دائما ألا تقل

(1) يورشالمي مسكون برهاب الماضي، وفي الآن عينه بسحر تكوينه، حيث التوراة تجاوره وتعلمه باستمرار عما كان من خلال أسفاره. المؤرخ في هذا المناخ العصابي لا يعيش إلا فيما كان الذي يغدو (فيما يكون) الذي يتحول إلى (فيما يرغب فيه) معلوم هذا الطرح، هذا الاستباق الخاص بالمستقبل الذي من خصائصه هو أنه يعكس الماضي، يرينا بعضا من أثرياته النصية والقيمية. يورشالمي هو قائم في السر، متمسك بحرفيته. وهو يغوص عميقا في سيمانتيك الحروف، في رقيها، ذاك هو إجراء طقوسي سحري، يغلق على متعية المكتشف في الحرف كنوع من الاحتكار والاستئثار بما لا يعرفه الآخرون، اليهود يقدمون بوصفهم كتبة أسرار، حفظتها، حماتها. يورشالمي وفي بقائه وسطهم، حيث يمتنع عن الادلاء بما اكتشفه، ليتخذه لاحقا حجة على سواه (من ليس يهوديا) للتمايز. التحليلنفسي هو حضور ليهودية سرية مغلقة، كون المحتوى غير مدرك من قبل أي كان. يغدو

ذلك لأحد (ne le dites a personne) حيث تاريخه اليهودي المموه crypto j auaiqueيشبه في الواقع كثيرا تاريخ التحليلنفسي.

بصدد هؤلاء «اليهود اللاحقين» يكتب يورشالمي: «لكن هل هم حقا [الأخيرون] والتاريخ، مثلما نراه في عهد قريب ليس دائما عقلانيا، إنه متوقع نادرا. **المستقبل، بالرغم من المظاهر، يبقى منفتحا دائما ومهمة المؤرخ، لحسن الحظ، تقوم على فهم الماضي**[1] الوقت مناسب في أن ينسحب المؤرخ تاركا الصور تتكلم في تاريخ هذا النص حول اليهود (الماران) (ويورشالمي يؤرخ دائما مرتين في اللحظة يوقع أو يؤرشف أعماله، بموجب تقويمين، اليهودي والآخر)، المقصود هنا بالنسبة إلي هو دفع الصورة للكلام. في كتاب حول التصوير، أي نوع آخر من الأرشيف. لكن في كل مرة عندما مؤرخ بوصفه مؤرخا ينسحب ويستنطق». على سبيل المثال طيف تصويري أو شبح فرويد في كتاب المونولوج، إنها علامة تقدير إزاء مستقبل المستقبل، عندئذ ربما لن يعود مؤرخا. لا يوجد تاريخ أو أرشيف للمستقبل بالمعنى الحقيقي للكلمة، مؤرخ بوصفه كذلك قد لا ينظر أبدا

يورشالمي مع توأمه المعتقدي وجهين لعملة واحدة. هل دريدا عرابهما هنا؟ الماران بوصفه يهودي الاعتكاف التاريخي يعزز هذا التصور كثيرا!

(1) هذا الالحاح المتنامي على فهم الماضي، على الإشادة به، واكسائه كل ما من شأنه تعزيز بقائه ليكون شهادة زمنية على حاضر لا يتقهقر، لا يكون في عداد ما كان، يلغي الزمنية في تقسيماتها. أليس الساكن في الزمن بوصفه ديمومة مفتوحة رافضا لكل أبعاده، ما دام يعتقد أن ما يعيشه بوصله بما يفترض ماضيا، وما يتصور مستقبلا؟
ربما يكون (الماران) هذا اليهودي المتنسك الزاهد، المنعزل صوفيا متمايزا، بوذيا، ينفتح على الزمن في كليته.
الماران، اشير إلى طبعات متباينة 1992 ص44 .

إلـى المسـتقبل الـذي في الواقـع لا ينظـر إليـه بـدوره[1]. لكـن هـل يوجـد بمقتضى شيء آخر مؤرخ الوعد، مؤرخ الباب الأول محدد، محدد فقط عبر هذا الانفتاح على المستقبل. غموض كان يشده وبصورة مزدوجة غموض الحي. في الواقع، من جهة، لا يحدد غموضا بالنسبة للآخر (اليهودية من خلال العلم، والعلم من خلالها)، أستشهد مرة ثانية بهذا «المقطع الرئيس» الأستاذ فرويد، وصولا إلى هذه النقطة يبدو لي من السذاجة، أن اسالك فيما إذا كان التحليلنفسي وراثيا **من المفترض أن ذلك هو دائما موضوع معرفة**[2] (that we shall know, ifit at all knowable)

---

(1) يتعامل المؤرخ هنا مع الماضي بوصفه حالة مستجدة تتطلب اهتماما مميزا، حالة تعنيه هو. لأن الطيف المتجلي، وكذلك الشبح يلحان عليه، وفي الآن عينه يوجهانه ناحية المستقبل الذي يتأسس بشروط قادمة من الخلف. ودريدا مسكون بدوره بحركية الطيف والشبح، بمأثور ماض حاضر في ذاكرته وفي واعيته، لهذا ينطلق منه!

(2) مالذي يلزم دريدا في أن يشدد على علمية اليهودي، وعلى يهودية العلم؟ أهو الرابط الرحمي المفترض والمعتقد هنا عندما يشهر في وجه قارئه بصحة فرويد بجلاء، ومن ثم يصرح بموقعية الحدث في مرجعيته الأصلية (نسابته)؟ هل هي حالة عصابية (عصاب قهري لا ينفك يعود دون توقف، وإن توقف فلكي يجدد طاقته ويعيد ترتيب قواه، فيظهر أمام مرأى العين، ويسمع الجوار بحقيقته)؟ دريدا يستعرض الرابطة، ولكنه لا يتوقف عند حدود الاستعراض، لا يمارس دور المؤرخ، ولا حتى دور ما ينسب إليه بوصفه باحثا تفكيكيا، إنما يحدد له دورا عدا عن كل ما يقوم به كمستعرض، وكمؤرخ، وكمفكر، وكرواية لحدث، وحتى كنسابة، وكاتب سير هنا، إنه يضع الرابطة في حيز اشكالية المعرفة التي لا تنتهي، في مضمار الأسئلة اللامتناهية، ما دام المستقبل يشكل حدا قصيا يشد إليه اليهودية كعلامة، والعلم كاكتشاف يتم من داخلها، وعن طريقها، بحيث أن كلا منهما لا يقطع علاقته مع الآخر، بقدر ما يمارس فيه وصفا وحتى تقريظا. وفرويد عراب هذه الحقيقة المعلنة، أو المعلن عنها، ربما يكون هو نفسه مأخوذا بما أبدعه ودونه شريك هذا الحلف الثنائي. مأخوذا بجريرة تضخيم الحدث: حدث يهودية العلم، وعلمية اليهودي؛ وربما يكون هو نفسه متورطا في الحالة العصابية، يعاني من عقدة الأرشيف الناقص، انطلاقا من ذاكرة تاريخية تقدمه يهوديا

[أشير إلى ج. دريدا]، فقط عندما كثير من العمل يتم إنجازه والكثير سيعتمد بالتأكيد على الطريقة حيث يجب تحديد مفرداتها بخصوص اليهودي والعلم»

much will depend of course, on how the very terms jewish and) science are to be defined) هذه الملاحظة كانت تتبع الإشارة إلى كثير من الأبحاث [much future work) يجب تناولها وهي تدشن المستقبل بصورة لا نهائية، حيث فيه تبقى إمكانية المعرفة نفسها مشروطة، (if is at all knowable) بعبارة أخرى يعتمد تعريف المفردتين على المستقبل في هذه المعادلة ذات المجهولين، مستقبل العلم، وحده، وخصوصا مستقبل التحليلنفسي سيقول فيما إذا كان هذا العلم هو يهودي، لأنه سيقول لنا ما هو العلم وما هي اليهودية. لكن الوحيد هو مستقبل اليهودية (أو بالأحرى مستقبل اليهودية اللا نهائي) بوسعه ارشاد واستباق علم اليهودية (Judaism) (أو بالأحرى اليهودية jewishness, jvde'ite')، حتى علم يهودي[1]. والحال أن مستقبل العلم القائم هكذا على صلته باليهودية، هناك كثير من المجازفات، أو كل الفرص لكي، في هذا الإحراج المنطقي، تكون المسألة رهينة البقاء دون رد، دون جواب في كل حال بصيغة المعرفة النظرية أو الابستمي lépiste'me من هنا جاءت، من **ناحية أخرى**، قوة الغموض الثانية، هذا الغموض هو مقروء في بعض الكلمات المرجأة، التي

ملاحقا ومهدورا دمه، أو غير مرغوب فيه. ولعل دريدا هو نفسه المشارك الآخر في سوء أرشيف هو الذي يقدمه هكذا، أرشيف سوء كما يعتقد!

(1) هل نقول إن العصابي بقدر ما يفصح عن وضع قهري يحيط به، ويمسك بخناقه، بقدر ما يتلمس خلاصا في المستقبل، ويعبر عن إثمية المحيطين به؟ مستقبل اليهودية ليس سوى اليهودية المقدمة مقهورة، لهذا لا يتوانى دريدا في تبديد كل وهم مفترض يقول عكس ذلك!

تترك الإمكانية مفتوحة: أي أن هذه المسألة المزدوجة التي تربط ما بين اليهودية والعلم، لا تخلو المعرفة وهي متباينة، في كل اثبات نظري: من المفترض أن ذلك هو دائما موضوع معرفة «that we sholl know if it is oll knowable» ما يربط العلم واليهودية، هو ما يرسخ ويضمن هذه التصورات (وبالتالي تصورات الأرشيف الذي يعتمد عليهما)[1]، ليس بوسعنا قول شيء ملائم، ونحن نصل إلى الأسطر الأخيرة من الكتاب. لا شيء يقيم علميا بوضوح: سواء هو قال الذي في هذا المقطع فإنه مهمش وربما هو العاجز، كل ما أراده يورشالمي اثباته حتى الآن. ها هو يهدد في كل حال، في قيمته إن لم يكن في تأثيره الدرامي أو غناه الانجازي.

لكن ثمة مجازفة، وربما مجازفة كبرى، في المستقبل من الممكن جيدا أن الحل نفسه لهذه المعادلة ذات المجهولين equation a deux inconnues لم يعد يوضح المعرفة النظرية، أي نظرية ذات نمط معرفي، هذا ما تشير

---

(1) تدفع بنا التصورات إلى استحضار ما يغاير الوقائع. ثمة بناءات عقلية مفترضة، متخيلة، ثمة استعدادات نفسية، روافع ذات صيغة ميثولوجية قادمة من ماض بعيد، تنسج عالمها، لتؤكد ما هو مفترض حقيقة المراهن: إن معطيات التصورات هي من جنس الأثر الأدبي، من مادة الموضوع المبحوث، وهي مجبولة بأنفاس الأرشيف الذي لا يعرف الاستقرار في مكوناته. حيث نلاحظ دريدا، وطوال صفحات، وهولايني يركز على فاعلية الأثر الميثولوجي والتيولوجي للأرشيف، وإن لم يسمه في حقيقته، وهو يزاوج بعناد إلى درجة التطرف بين حقيقة مدفوع بها إلى الأمام تسمى علما، وحقيقة محمولة بأثقال الماضي وموروثات متشابكة هي اليهودية. دريدا، وهو يتحدث عن يورشالمي، وهو في جبلته، رغم أنه من لحم ودم كائن بشري مخلوق، لا يخرج عن حيز تصوراته، إنه مولف بعلامات موضوعة من خلاله. إذ أخذ منه كل مأخذ، وهو كلما انطلق من نقطة إلى أخرى، يعاود الحديث في الهاجس المستحوذ على لبه (حقيقة العلاقة بين اليهودية والعلم). فتكون التصورات من ناحية مضافة من الخارج، من نتاج المعتقد، ومن ناحية ثانية افراز ثقافة شخصية!.

إليه «الفرضية بأنه موضوع معرفة».

هذا الترقب يجمع في عمل واحد كل طاقة الفكر، طاقة افتراضية، لمرة واحدة[1](ene'rgeia d'unamis) إن شدة هذا الترقب تثير الدوخة le vertige وتثير الدوار، إذ تمنح الشرط كي يبقى المستقبل قادما، هو أنه ليس فقط ليس معروفا إنما ليس قابلا **للمعرفة**. إن تحديده لم يعد يوضح نظام المعرفة، وأفق ما قبل المعرفة، إنما نظام قادم، أو حدث نجعله مقبلا (دون رؤية شيء قادم)[2]. في تجربة متغايرة، في كل اثبات، كما في كل أفق انتظار كهذا الأفق، أي ككل نظرية راسخة كهذه.. الأمر هنا يتعلق بهذا الانجاز القادم حيث أرشيفه لم يعد له أي علاقة بالتسجيل ما يرتبط بالحضور، وبما هو حاضر راهنا» أسمي ذلك بالمسيانية[3]،وأميزها على نحو جذري وكليا.

هذا **الباب الثالث** يكون أيضا الأول، وقد مر معنا آنفا. في بعض الصفحات، في أعلاها، كان يورشالمي قد نشر مسألة المستقبل أو خلود أوديب[4]، ما قد عارض فرويدا، أخيرا، هو تجربة المستقبل أو الأمل الذي

---

(1) ليس الافتراض إلا ما يتوجه نحوه، كما أن الترقب تفعيل لأثر ما يفترض. وفي هذا المنحى يكون التفكيك مشروع هدم ما يرفعه، وبناء ما يسوغ من وجهة نظره.

(2) راهنية الأمل هي ذاتها راهنية المنتظر، الذي يتوسم بالديني. القادم هو عبارة عن تدشين وضع يضاد وضعا آخر مأساويا.. هنا يتحرر الأرشيف ــ كما يلاحظ ــ من ربقته. سوئه.

(3) المسيانية هي يوتوبيا الخلاص بالنسبة لليهود. هي الأمل المعقود على تاريخ كتب في زمن ماضي، ليتم تنفيذه لاحقا، هي مسيانية متورثة قادمة من جهة المستقبل رغم أنها كائنة في الماضي، وهي تشهد على وضع مأساوي يعيشه شعب يعاني آلاما لا تنقطع، كما يقرأ ذلك في ثنايا كتاب (موسى والتوحيد) خصوصا، كما يعزز ذلك يورشالمي، وكما يتحدث دريدا عن ذلك.

(4) خلود أوديب، هو خلود المقهور الذي لا بد له فيما حصل له. ليست الأوديبية جنحة ذاتية، خطيئة أصلية تسجل علامة فارقة يعرف بها، الأوديبية تدخل قسري: تاريخي جعل من

يبدو في أنه غير قابل للاختزال إلى التكرار الأوديبي واليهودية[1]، بصورة من المتعذر تبسيطها وحصرها، وفرادتها. التكرار الخاص باليهودية «judaisme» (jewishness) «judéité» إن لم تكن اليهودية كنزعة (judaïsme). العنوان الفرعي لكتابه (بالانكليزية «م»)

«judaism terminable and interminable» لكن يورشالمي يشير بوضوح فيما إذا كانت اليهودية (judaism) منتهية فإن اليهودية غير منتهية[2]، بوسعها أن تتبع النزعة اليهودية، بوسعها أن تتبعها كارث، أي تقريبا بلا أرشيف حتى لو كان هذا الأرشيف مضطرا للبقاء بلا ركيزة، ودون فاعلية بالنسبة ليورشالمي هناك جوهر محدد وغير قابل للتبسيط، الجوهر المتصل باليهودية. إنه جوهر معطى، ولا ينتظر المستقبل، وهذا الجوهر، أي جوهر اليهودية لا يختلط باليهودية لنزعة، ولا مع الدين ولا مع الإيمان بالله. والحال أن اليهودية التي لا تنتظر المستقبل، إنها بمثابة انتظار المستقبل، وانفتاح العلاقة على المستقبل وتجربة المستقبل[3].

هنا تكمن خاصية «اليهود» خاصية بحد ذاتها، ليس فقط الأمل

شخص هو أوديب ملعونا، وفي الآن عينه مسكونا بالعذابات وبوضع تيهي. لذلك لابد من مكافأته على ما ألحق به من ضيم.. يرتقي اليهودي إلى هذا المستوى في العرف الفرويدي. فهو أوديب تاريخي، ضحية جرم لم يرتكبه، بل نسب إليه، أو ابتلي به.. دريدا يدرمي (من الدراما) وهو يستعرض الحدث.

(1) ما يربط أوديب باليهودي، أو بالعكس، هو أن الأول قدم بوصفه شخصية حقيقية، ثم غدا شخصية رمزية تقرأ بلغات شتى، والثاني شخصية.فعلية، جعلته الأحداث أقرب إلى النتاج الأدبي، ولكن الاثنين في عرف دريدا يعانيان غبنا لا يستحقانه.

(2) ما دام المستقبل الموعود به لم يقبل بعد.

(3) هذا المستقبل المتكرر هو حقيقة معاشة طي تجربة الآلام المبرحة، حيث دريدا ينطلق من تجربة الألم التي تنتظر انفراجا.

وليس فقط «ارجاء في المستقبل».

(hope for the fiture)، إنما استباق أمل نوعي في «المستقبل»[1].

(the anticipation of a specific hope for the future). وهنا باسم الانفتاح على المستقبل يبدو أن النقاش مع فرويد مقطوع close، بينما في الأسطر الأخيرة من الكتاب، كلمة «jewish» قد تكون صفة بالنسبة لـ (jewisness لكلمة كما بالنسبة لكلمة Judaim) التي تبقى حسب يورشالمي قابلة للتحديد مستقبلا. وهذاهو مقطع من المقاطع التي تهمني أكثر حول هذا الموضوع.. أشير إليه ببعض الجمل:

«إلا أن ما يصنع سحر هذه القضية، هو أن أوديب بعيد كل البعد لأن يكون غريبا وبشكل خاص بين الله واسرائيل، هي دائما توصف بأنها خصومة قائمة بين الأب والابن[2].

---

(1) هذا الأمل النوعي هو الذي طال أمده، وقد مضى وانقضى أكثر من ألفي عام، والأرشيف مشغول بالسوء...
المصدر نفسه ـ ص169 ـ

(2) المصدر نفسه ـ ص179 ـ الترجمة المعدلة.
هذه الخصومة القائمة تتجسد في تجلي إله لا يخفي قسوته، وتعليماته الصارمة التي تحيل الذين يعنيهم بالاصطفاء (اليهود) إلى شعب في وسعه عمل أي شيء، لأنه يعطى كل ما يجعله قويا سيدا على سواه، بينما الآخرون فيبدون مشاعين له ويكون (شعبه) ممهورا لعلامات اصطفائه. ولعل هذه الميزة هي التي تهيئ العمل أي شيء، وبالتالي للوقوع في الأزمات، وفي حالات عدم استقرار..فها هو فرويد يقول في (موسى) (وقد خبأ القدر للشعب اليهودي سلسلة من امتحانات قاسية ومؤلمة، وصار إلهه طاغيا، صارما، محاطا بالظلمات. وقد لبث هذا الإله يحتفظ بطابعه الكوني، بسيادته على البلدان خاطبة والشعوب كافة.. ص91) وعن موسى يقول (إن موسى أسبغ على الشعب اليهودي الطابع الذي ميزه، إلى الأبد، عن الشعوب الأخرى. فقد وهبه ثقة متعاظمة في ذاته إذ أكد له أنه الشعب المختار، وأعلن أنه مبارك، وألزمه بتحاشي الشعوب الأخرى ومجانبتها.. ص149).في ضوء هذا

الاختلاف الدرامي لا يقوم إلا بطريقة ادراك الماضي والحاضر، إنما الطريقة تسبيق anticipation أمل نوعي في المستقبل [the a nticipation of aspecific hop for the future] هناك في سفر الأنبياء (malachie 3 , 24)، مهمة مثيرة للاهتمام [أشير إلى ج.د. وها هو أحد الأرشيفات التي تثبت هذه (anticipation specific hope) أرشيف قد يكون حسب المؤرشف «نادرا» - الكلمة خطيرة جدا)، والذي يعبر عن رؤية نادرة [رؤية نادرة، أشير إلى ج.د.]، حيث لا يمكن العثور عليه على الأقل بوضوح [أشير إلى هذا التنازل المفتوح على الهاوية، والمحددة من قبله ج.د]، في أي نبوءة من النبوءات المسيانية السابقة، في الواقع، كل الأنبياء يطرحون نتيجة حاسمة، إذا أمكن القول، للنزاع الأوديبي بين إسرائيل والله، مالاشي هو الذي يطرحها على مستوى إنساني محض» «ve - heshiv lev avot al banim ve levbanim al avotam» (سيصالح قلب الآباء مع [قلب] الأنبياء، وقلب الأبناء مع قلب الآباء) الأكثر ثقة ربما لا أكونها حول ما يمكن قوله هنا. بكل قسوة «وحيدا». «بوضوح» و«إنساني بصورة محض»، يورشالمي يتابع. وهذه هي نقطة القطيعة: «الملقن le - didakh لنسلم بذلك، كما لو أنك تجاهر بذلك في أن الدين هو الوهم الكبير[1]، ليس له مستقبل، لكن ما هو مستقبل لايوس وأوديب[2]؟ نقرأ حتى النهاية كتابك موسى [إذا، أيضا مرة أخرى، يورشالمي

التوضيح يمكن القول: إن أعمال القتل والارهاب التي يمارسها هؤلاء في الفلسطينيين اليوم، وحتى هذه اللحظة (يوم الجمعة 2002/4/5 الساعة السابعة صباحا) تستمد مشروعيتها المدمرة من النصوص التوراتية المعتبرة مقدسة. وشارون هو نفسه هنا أب متغطرس.

(1) كما يؤكد ذلك في كتابه (مستقبل وهم).

(2) هو الخاص بالعلاقة القائمة بين أب يخاف من أن يقتل على يد الابن، ومن ابن مدفوع لقتل الأب، ليغدو ملعونا بالتالي. ولكن في حالة علاقة اليهود بموسى ويهوه، ثمة مفارقة، هي

يسجل صمت فرويد حيث سيدفع به إلى الكلام، افتراضيا، وليس بوضوح، وبشرط، بدءا من الجملة التالية]مع ذلك، إذا قلت لين في الواقع، بأنهم بلا أم، سأجيبك ببساطة: يجوز بشدة بأنكم على حق (you may verv well be right)، غير أن عقيدتك هي ربما الأكثر تضادا مع اليهودية(un - jewish)، وبالتحديد حول مسألة الأمل والخيبة [hope or hopelessness] وأكثر من ذلك حول الله أو غياب الإله sur dieu ou labsence de dieu [*] هذا الذي يكون الأقل يهودية، والأكثر «لا يهودية» الأكثر تنافرا مع اليهودية، لا يكون مفتقدا النزعة **اليهودية**، واقصاء eloignement كما تقول الترجمة الفرنسية، التي كان علينا تعديلها[**]. بالنسبة للنزعة. اليهودية (دين، الإيمان بالله، اصطفاء اسرائيل). إنما اللا اعتقاد بالمستقبل - أي ما يشكل اليهودية (jewishness) فيما وراء كل **نزعة يهودية**، فيما وراء التحذيرات والشروط، إذا ثمة تأكيد يتملص من كل نقاش مستقبلي، تأكيد غير مشروط: العلاقة بين اليهود، وإلا فالنزعة اليهودية والأمل في المستقبل، هذا التأكيد هو لا مشروط بالدرجة الأولى، في شكله. وهو غير قابل للتعامل معه، ويتملص ويتوارى، بالنسبة لهذا الذي يربطه باليهودية في كل حوار، لكنه مازال غير مشروط في محتواه مثلما يجب أن يكون تأكيد من هذا النموذج، فهو لا شيء آخر فيي الواقع سوى تأكيد التأكيد[1] (L'affirmation de láffirmation) الـ «نعم

أنهم غائصون في بنوة متطرفة يعقلنونها، ويوحون إلى الآخرين أنهم غير قادرين على التحرر من ربقتها ترى هل دريدا يوحي بذلك أيضا؟ ربما!

(*) المصدر نفسه ــ ص 179، أشرت الى الترجمة المعدلة.

(**) تقول: الأكثر بعدا عن النزعة اليهودية، مقابل (**at its most un Jewish**).

(1) دريدا مأخوذ بعقدة أوديب، وكذلك بجريرة لايوس وبمستقبل له طابع قدري. ليس أوديب هو المذنب في عرفه كما يلاحظ في تحليله، لأن مصيره كان قد تحدد حتى قبل الولادة، ولأنه لم يقتل حتى بعد عزله واقصائه عن بيت الأب، نفذ ما أوحي إليه.. فقطف ثمرة. اعتقاده المرة جدا. الأمر هذا ينطبق على اليهود وموسى، على موسى ويهوه، على هذا الأخير وشعبه المعتبر مختارا، الذي يستند به، غير أنه عرابه في كل إساءة إلى الآخرين.. لذلك فإن الخصومة لا تتوقف، ولا العداء يتوقف بين أب ميتافيزيقي ينسب التطلعات الدموية لشعب

oui» في «نعم» الأصلية، الالتزام الأولي لوعد أو لتسبيق يكسب المستقبل نفسه مسبقا. إن ضرورة تأكيد التأكيد، يجب ان أن يكون في الوقت نفسه غائيا ومتباينا tautologique et hétérologique مستعد يورشالمي في أن يخضع لكل شيء، بما فيه (الاستسلام «م») لوجود الله. ومستقبل الدين، ولكل شيء ما عدا هذه العبارة التي تربط اليهودية والانفتاح على المستقبل. وأكثر قدرية لهذه الوحدانية المطلقة لهذه الميزةl'unicite' absolue de ce troit[1] وحدانية الميزة[2]، هي أولا، اتحاد لا يمكن محوه بين اليهودية والمستقبل. الكائن اليهودي والكائن المنفتح على المستقبل ر بما يكون الشيء نفسه، الشيء نفسه كوحدانية، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر[3]. إن الكائن المنفتح على المستقبل ربما سيكون يهوديا. وبالعكس. **ومثاليا**. وقد لا يكون هناك مستقبل، فقط ربما لا يمتلك اليهود المستقبل، وقادرا على الاستباق، الخ. كفاءة منقسمة حيث خلاصيتها universalité قد تبدو غير

قيض له وهي في أن يكون قاتلا ومقتولا إلى الأبد، ويكون المستقبل مرجأباستمرار، المستقبل الذي يجد فيه اليهودي في صيغة ابن مدلل نفسه وقد امتلك ما كان يفكر فيه، وساد على الآخرين من غير جبلته.. دريدا لا يتابع ما يلي ذلك «يتوقف حيث توقف فرويد، وهو يظهر الدور التاريخي الكبير المعطى لليهود. سوء الأرشيف هنا يظهر في أرشيف قدري ــ كما يظهر ــ لا يمكنه أن ينضب وفق مركزية أكثر استبدادية.

(1) أهي وحدانية الله، وفي ظلها وحدة اليهود، حيث يشكلون شعبا معطى كل ما في وسعه القيام به بوصفه تمتيازا له؟ هل هي وحدانية ضاغطة مستمرة في تناميها إلى درجة أنها تلغي كل ما عداها، فيكون المختار بدوره الوحيد الأوحد على الأرض؟

(2) إنها تلك التي لا تتوقف عن تمثيل الوحيد الأوحد، لتعطي الشعب الوحيد الأوحد ليحيل الآخرين إلى ذاته وقد تشكلوا بمواصفات مفروضة عليهم.

(3) هنا، وفي كل الإحالات المرجعية التي ذكرتها انطلاقا من مقتطفات مقتبسة من (موسى والتوحيد) ولاحقا أيضا، يمكن القول إن الكتاب كان له تأثير صاعق على دريدا مثلما أثر على سلفه الاشراقي المميز يورشالمي. ولذلك فإن ما يجدر قوله هو أن قراءة كتاب فرويد الآنف الذكر ضرورية تماما كلما ذكرت علاقة ما تخص اليهود والمستقبل، أو تخصهم في اصطفائيتهم. كون الكتاب من ألفه إلى يائه يقدم فكرة ألمعية ــ لكنها مرعبة حقا ــ عن كيفية ظهور الوحدانية في صيغتها الفرعونية (المصرية القديمة) وتجليها بعد تحويرها يهوديا. وفي قدرية لافكاك منها.. دريدا يكتب وفي ذهنه العالم يتحرك وفق تصورات توراتية، أو لا تبتعد عن صياغات فرويد رغم بلاغته القولية.. حيث المستقبل في انتظار اليهود.

قابلة للنقاش، إنما ترتبط بالمستقبل، ولا تتمسك بهويتها، بل يجعلها تعيد التفكير، وتوضح وتعلن عن نفسها، انطلاقا مما سيأتي من المستقبل.

تلك هي الميزة الوحدانية المثالية في ميزة التوحد[1]. دون أن أجازف هنا في الهوة المنطقية لهذا التأكيد، وفي احراجات المثالية التي حاولت وصفها في مكان آخر، تماما فيما يخص المثالية اليهودية، سوف يجب علي مرة على الأكثر، أن اكتفي بالإشارة إلى الأرشيف، بوضوح هنا، حيث نرى بابا ينفتح أو ينغلق على الآخر. لأن ما يسمح في هذا التحليل الأخير هو هذا التأكيد اللا مشروط الذي قلت عنه بأنه غير قابل للمحو. إنه أولا بمثابة الأسبقية بالنسبة لأرشيف ما على سبيل المثال، كما رأينا آنفا، آية من سفر الأنبياء الأخير، كما هي مفسرة من قبل المؤرشف. لكن التأكيد اللا مشروط نفسه. يسمح به خصوصا ما يمكن أن يشبه سمة أخرى نادرة عن اليهودية حسب يورشالمي، والذي يعود بلا شك إلى السمة الأولى، السمة نفسها. وهذه المرة، يمضي فقط من الانفتاح على المستقبل، إنما من التاريخانية l;historicit'e والزام الذاكرة، أكثر من الالتزام بالأرشيف، أعود الآن إلى كتاب آخر ليورشالمي، كتاب جميل وذائع الصيت أيضا، وهو: زاهار: تاريخ اليهود ويهود الذاكرة.

[2] zakhor, jewish History and jewish memory [*]

---

(1) هذا التوحيد هو توحد بين المثال والواقع، بين أرشيف قدم سلبيا بوصفه لا يتضمن ما يريده دريدا، وأرشيف يتكامل، ويتجاوز رضاته (إن جاز استخدام العبارة الفرويدية التحليلنفسية). ويغدو ممهورا بعلامة يهودية تعلي من شأن اليهود.. وترضي دريدا نفسه، الذي اتهم بهذا الموضوع بعد سلسلة من كتب مؤسسة لمنهجه اتلتفكيكي.. أهو شعور بدور الابن الذي يتوجب عليه ارضاء الأب في الحالة هذه، أم الأب الذي يوجه ابنه بتعليماته قبل موته؟

(2) لا أعتقد أن ثمة فرقا بين الصيغتين، حيث كل عبارة لصيقة بالأخرى. فذاكرة اليهود رهينة ماض مصور بالأهوال، ويهود الذاكرة هم هؤلاء الذين يندفعون نحو مسقبل تخلصا من

وهو: إذا كان في فقرة عن موسى فرويد الذي قرأنا منذ لحظة، كان يورشالمي يسمي مع انحراف لهذه الكلمة بالإنكليزية، دراما «الاختلاف الدراماتيكي» في موضوع المستقبل كشيء يهودي.

هو ذا ما زال يتحدث عن دراما «الوضوح» الدراماتيكي. (dramatique evidence) أو عن مسوغ، عن علامة، عن قرينة، عن شهادتها ودرامية (بالمعنى الواسع لكلمة شهادة)، حتى يمكن القول عن الأرشيف، يخص الماضي كشيء يهودي، ويهودي فقط لا غير: et uniquement,seulement juive

«لا حاجة لالتماس علامة أكثر درامية من المكانة المهيمنة التي يشغلهام التاريخ في إسرائيل القديمة، إنه فعل جوهري، الله نفسه معروف في القياس ذاته حيث يكشف عن نفسه بذاته تاريخيا»[1] وبعد بضعة

ذاكرة تلاحقهم.. ولكنها مستمرة، فاليهود إلى يومنا هذا يقدمون أنفسهم بذاكرة تعرف بهم شعبا لا يتوقف الآخرون عن الإساءة إليه.

(*) المصدر نفسه ـ ص85 ـ

(1) كما في كل الإحالات المرجعية الفرويدية، وكما في كل التوليدات التي تخص يورشالمي، وتلك التي يواظب دريدا على إظهارها والتشديد عليها ويغدو التاريخ المذكور ساحة واسعة لصراعات متعددة الأبعاد، المواجهة حامية بين اليهود وإلههم يهوه بغية تحمل المشاق و انتقادات الآخرين، بينهم ومعهم إلههم ذلك، حيث الصراع هنا على أشده في وضع يقوم على ما هو تضادي.. المصالحة لا وجود لها، ولا رمي السلاح، إنها (إما ـ أو). اليهود تاريخيا يقدمون بوصفهم رابحي الرهان!

إن الدرامية التي يشير إليها دريدا هي التي تحيل الشخصيات إلى الانغماس في مواجهة لا تنقطع مع المأساة: مأساة الوجود، والكينونة، والمعنى، والآخرية. هي علامة نقود كل ممهور بها حيث اللا نهائية، ما دام المستقبل في حالة انتظار، ولأن الله نفسه في معناه اليهودي يعرف بنفسه دراماتيكيا. ربا قاهرا داخلا في علاقة إلى حد التوحد مع من اصطفاهم بحيث لا يرى أحد سواهم. وفي ضوء ذلك يغدو التاريخ بحكم البداية المأساوية تاريخ دراما.. فعقدة الأب الابن، والابن الأب تتميز سيرورتها، دون أن تتبدل. ولذلك يمكن قراءة تاريخ اليهود

استشهادات، خصصت لدعم هذا التأكيد بين هلالين مزدوجين، ها نحن أمام تخصيص مألوف، تخصيص إسرائيل واسرائيل فقط، يصبح إيعازا للذاكرة، وفي الحال إنه التخصيص ذاته، والدعوة. ذاتها دون انشطار، والأمر يتعلق بـ «الأمل النوعي في المستقبل» (the anticipation of a specific hor the future) حصريتان deux exclusivités وحتى اقصاءان. عزلتان ومسؤوليتان، ودعوتان، في الامتياز المطلق للنخبة. كما لو أن يورشالمي كان مستعدا لكل ما هو في النزعة اليهودية (النهائية)، وليس اليهودية (اللانهائية)، على كل «الإيمان بوجود الله، بالدين، والثقافة، الخ..» ما عدا هذه الميزة المؤرشفة عن اليهودية التي قد تكون شيئا ما، يشبه على الأقل الصفوة، حتى لو أن ذلك لا يختلط معها، الأولية المطلقة، الوحدانية المطلقة في تجربة الوعد (المستقبل)، وتبنيه الذاكرة (الماضي).

لكن الدعوتين ليستا مضافتين، أو ملحقتين، أحداهما تتأسس في الأخرى، لأن هناك حدثا مؤرشفا، لأن الإيعاز أو القانون قد تجلى ودون في الذاكرة التاريخية[1] بوصفها إيعازا للذاكرة مع أو بدون ركيزة، الميزتان المطلقتان ترتبطان ببعضهما بعضا، كما لو أن الله لم يسجل إلا شيئا في الذاكرة، ذاكرة شعب **وحيد**. وشعب **بكامله**[2]. في المستقبل تذكر أن تتذكر

سلاليا حيث تدون أسماء الآباء الذين كانوا أبناء، والأبناء الذين أصبحوا آباء إلى يومنا هذا، وبحيث يتحول الآخرون إلى مسار لتمرير العنف، وتشغيل الدراما دون توقف!.

(1) الحدث المؤرشف هو الذي يعلم بوجود ما يجعل الصراع على قدم وساق، ما يجعل الذاكرة اليهودية مكونة بالعذابات، هي ذاتها مغذية لها، لأنها تعيش حالة مزدوجة، تعيش قهرا للذات في تبديد قواها عبر مواجهة متنامية مع المحيط، ومحاولة قهر للآخرين، حيث الموت بالمرصاد، واللعبة لا تتوقف. والذاكرة الموجهة هنا متمايزة. ولعل دريدا مدرك لخطورة اللعبة، ولكنه يتقاسمها مع بني جلدته، يعيشها، ويتكلم من داخلها على أكثر من صعيد، وحرارة اللغة ومأساويتها تشيان جيدا بذلك!

(2) هذا التركيز على الشعب وبالصيغة المذكورة ذو ملمح نيتشوي. فكل كلمة في السياق المذكور، تفصح عن نشدان للقوة، للعظمة المستشاغة، عن انتشاء بالتفرد. ليس دريدا مجرد مؤرخ

المستقبل، وكما لو أن كلمة «شعب» في هذه الجملة لا يمكنها أن تؤمن بنفسها إلا منذ الوحدانية غير المسموعة لهذا الإيعاز الأرشفي. هذا ما أسميه إذا بالتخصيص الخارق، التخصيص الذي سأتحفظ من خلاله بعدد كبير من الأسئلة الخطيرة. البعض منها لها بعد أخلاقي أو سياسي، لكنها ليست هي الوحيدة بالرغم من طارئيتها الواضحة evidente urgence ربما أمضيت ساعات، وخلودا ينبغي تأمله لعلني أرتجف أمام هذه الجمة:

«في اسرائيل، وفي أي مكان، الايعاز في التذكر يوصف كأمر ديني بالنسبة لكل شعب»(1).

only in israel and nowhere els is the injunction to remember felt)

هنا، ليس مجرد راو لحدث كان، مجرد محلل لما يجري.. إن قوة الانشاء وهي تتشابك مع قوة المعرفة المركزة تضع المؤلف في قلب الحدث حتى وهو ماض. حتى وهو في عداد زمن غابر، مجرد حدث مؤسطر، ما دام بعثه أو إحياؤه يتم بمثل هذا الجيشان المعنوي، والاسترسال في نسج الكلمات المؤكدة لحدث يرمي إلى تثبيته بقوة! إن دريدا يكثف لغة فرويد في طابعها التحليلنفسي، يظهر فيها ما هو ثقافي وتاريخي معزز بتحليل معتقدي راهن..

(1) دريدا كيف تجاوب مع عبارة فرويد، حين ربط بين الظاهرات الدينية والأعراض العصابية، وخصوصا حين تناول الديانة التوحيدية اليهودية.. كيف استقبل الطابع التسلطي للظاهرات تلك، ومدى تأثيرها على البشر، وما في ذلك من حضور للحقيقة التاريخية؟
(انظر.. موسى.. ص83 على سبيل المثال).
دريدا يوسع حدود المعنى، يمنح الجملة المجتزأة قيمة لا تعود تعنيها، حيث اليهود لا يعودون محصورين في سياق المواجهة مع الذات مع فرويد الأكثر فصاحة منه في هذا المجال..
المصدر نفسه – ص25 –
كنت قد حاولت من جهتي. خصوصا في كتاب قوة القانون، وفي كتاب أطياف ماركس، أن أحدد العدالة هكذا، المفرطة والتي تقتضي الحق، إلى جانب الذاكرة، ومقاومة النسيان، بحيث أن الأمر يتعلق بالإيعاز عامة أو مكانه المحدد الآخرون، الأحياء والأموات.
من الطبعة الأميركية. من ما بعد الكتابة هذه (postcript: reflectios on forgetting) ليس مترجما في الطبعة الفرنسية. (إنه يطابق تواصلا نظم في مؤتمر ريمسون يونيو 1987).

.(as a regligious imperative to on entire people

كيف لا يحدث الارتجاف تجاه هذه الجملة؟

أتساءل فيما إذا كانت صحيحة (أي الجملة «م») من يمكن الإطمئنان دائما، بدءا من أي أرشيف، بأنها فيما إذا كانت صحيحة، هذه الجملة؟ تماما هذه العدالة التي يشير إليها في مكان آخر، وبعمق، بحيث أنها لا يمكن أن تكون نقيض النسيان؟ ما يقوله إذا بهذا المعنى، ومن جهة أخرى بصيغة سؤال، أشعر بأنني أكثر قربا في نهاية ما بعد الكتابة، المتصلة **بزهار**، السؤال نفسه يدوي في الواقع «هل من الممكن بأن نقيض النسيان ليس من فعل الذاكرة، إنما من فعل العدالة»[1]. عند التفكير بهذه العدالة بوضوح، أتساءل مرتجفا فيما إذا كانت الجمل صحيحة. الجمل التي تحافظ على إسرائيل والمستقبل، والماضي مثلهما، والأمل (the anticipation of a specifichope for futur) وواجب الذاكرة (injuncton to remember)، والتكليف الذي يشعر به من إسرائيل وحدها، إسرائيل كشعب، إسرائيل في كليتها[2] (onle in israel and nowhere else as a

---

(1) ليس لزهار، إلا قول ما يخص المستقبل المنتظر لليهود، في معنى زهار (وهو يعني كتاب السناء) لا يوجد سوى احقاق الحق المرجو والمرتجى. دريدا مسكونا بلعبة المعنى يحيل كلمة العدالة إلى لعبة في الظل، حيث تكون فعلا نقيضا للنسيان (كامكان طبعا)! نسيان ماذا؟ نسيان حدث كان يجب ألا يتم، أو نسيان حدث كان على الذاكرة أن تتجاوزه وتستقر نابذة الماضي الذي يقلقها من الداخل؟ لا مستقبل هنا بعيدا عن الذاكرة ذات الموجة الطويلة التي تطال الآتي!

(2) تتجسد إسرائيل هنا ليس باعتبارها مفهوما أثنيا معرفا بما هو ديني ساد قديما، وكما تقدمه النصوص الدينية، وإنما باعتبارها مفهوما أثنيا (قوميا) حيث اليهودية تشكل عباءة مقدسة تغطيه، بل مستثمرة من خلالها. لأن اليهوية تجد إمكانية تحققها، فرادتها، ومن ثم تواجدها عبر اسرائيل. هنا السماء تنخفض في خدمة الأرض بهوة يغدو تابعا لمن أوجده، ولمن يتبدى متسلطا، ومسلطا إياه على الجوار..

(religious imperative to an entirepeople) على الأقل حين لا يستحضر اسم إسرائيل **الوحيد**، في منطق هذا الاصطفاء، إن كل الأمكنة، وكل الشعوب التي تستعد للتعارف في هذا التقديم وفي هذا الايعاز. ولم تعد هناك إذا مشكلة دلالية مسببة للدوار، أو بلاغية. كالمسألة المثالية الخاصة بالاسم العلم، التي كنت قد تركتها جانبا في الحال، تحدد هنا مكان كل صور العنف[1]. لأنه فيما إذا كان من البدهي تذكر المستقبل، وإيعاز التذكر، أي الإيعاز القضائي للحفاظ وتجمع الأرشيف، وليس من البدهي تذكر الآخرين، آخر الأخرين autres lesautres والآخرين بحد ذاتهم، وأن الشعوب الأخرى ربما بوسعها أن تقول عنهم. خلاف ذلك. وأن الآخر هو كل الآخر et que tout autre est tout autre من أجل التوصيف بسرعة فائقة بغية كسب الوقت، لنسر باتجاه العقل الذي يمكن البقاء منغلقا من الذعر أمام الظلم الافتراضي. حيث يخشى ممارسته دائما باسم العدالة نفسها. لنصغ formulons ببرود أعصاب الحجة حول نموذج يتقاطع بطريقة ما مع التحليلنفسي والتفكيكية، «تحليلنفسي» ما، و«تفكيكية» ما، عندما أقول بأنني أرتجف، اسمع بأن أحدا يرتجف «ال» أحد «الكائن» « uone«on» ou le» يرتجف، شخص ما يرتجف: لأن ظلم

---

(1) في سياق ما هو ميتافيزيقي حيث المسوغات تستمد من الغيبي. كل عنف موجه يفسر من وجهة نظر رمزية، لا يعود الحدث يتميز ببنيته الواقعية. بالنسبة لليهود، كل عنف يمارس باسمهم، ضدهم، أو من خلالهم يدون بقرار إلهي. بوصفه امتيازا. الأمر الذي يدفع بمقولة العنف تلك لكي تكون منتجه للعنف تلو العنف.. دريدا يتكئ هنا على فرويد في (موسا:5).. لنذكره ما ذكر في الصفحة (146): (وفي وسعنا أن نقول أن ردود الأفعال التي كانت تصدر عنهم تجاههم كانت تدل على أنهم يؤمنون، هم أيضا، بالامتياز الذي يدعيه شعب إسرائيل لنفسه. ولا يجوز أصلا للابن الأثير الذي يجاهر والده المهاب الجانب بإشارة له وتفضيله إياه أن تأخذه الدهشة من غيرة أخوته وأخواته وحسدهم).

هذه العدالة قد يمحور عنفه على التأسيس نفسه للواحد والوحيد l' un[1] et de l'uni que، هنا حيث بوسع هذا الظلم أن يصيب شخصا، كل شخص ما، في الجمل التي سبق أن قرأناها، الكلمات التي تجعلني أرتعب هي فقط تلك التي تقول الواحد l'un اختلاف الواحد، في صيغة الوحدانية (dramatic difference, unique vision, specific hope , only in israel and «nowhere else»).. رؤية وحيدة والواحد في صيغة التكثيف المعمم. («to an entire people»). التكثيف حول ذات الواحد، لا يمضي أبدا دون عنف ولا التأكيد الذاتي على الوحيد، والقانون القضائي وقانون الإيداع المنظم للأرشيف. الايداع لا يمضي دون هذا الضغط الشديد (انطباع، قمع، تصفية) حيث الكبت (verdrangung ou uruerdrängung) والقمع (unterdrückung) على الأقل هما قد شكلاه.

لأنه ربما ليس من الضروري اطلاق أسماء تحليلنفسيين، ذلك ليس ضروريا ولا مؤكدا ولا جوهريا. ألا يكفي الاعتراف بهذا العنف القائم على عاتق المؤسسة القضائية، والوحيد كي يجد فرويد تبريرا مبدئيا أو بنيويا. «روايته التاريخية»؟ ألا تمنح ضرورة هذا العنف القضائي معنى ما لكتابه **موسى**[2].. وحتى لحقيقة يقينية، الـ «حقيقة تاريخية» إن لم تكن«حقيقة مادية» لـ «موسا: 5»، ليعقوب والده، وباختصار لفرويد حيث موساه كان هو أيضا موسى يورشالمي؟ للابن كما للجد (لأي كان، لشخص

---

(1) ليس هذا الواحد والوحيد سوى يهوه نفسه، سوى ذلك المتجسد في ذاكرة من يعتبر الشعب الذي خصه بكل المزايا حيث تبرر عبرها كل الأعمال المهنية للآخرين.. إن بلاغات دريدا ذات الرنين الهائل، هي ذاتها التي تمتلك صفات الواحد الوحيد في تعاليه المتفرد على ما عداه!

(2) دريدا لا يجادل ما يكتبه فرويد في مؤلفه عن (موسى)، بقدر ما يبحث عن مبررات تمنح الحق لما ذكره، ولما قام به من تحليل للروايات التاريخية ولما توصل إليه بخصوص حقيقة يهودية موسى، وكذلك موساوية اليهود وارتباطهما بيهوه. للكائن المتفرد الذي يكونه كل من الإله المتعالي والنبي المرسل والشعب المختار!.

ما، «on» أي شخص يقول «أنا Je»، لي، على سبيل المثال، يعقوب أو إياي Elie، أنا الذي لا اب لي فقط، لقب بحاييم، إنما أيضا، وبمحض مصادفة، هو جد لقب بموسى، وآخر يسمى ابراهيم)؟

ما إن يتعلق الأمر بالواحد، يوجد القتل في الجرح، الرضة traumatism[1]. الواحد يخشى الآخر، يحتمي من الىخر، لكن في حركة من هذا العنف الغيري jalouse، يحوي في ذاته ويحتفظ هكذا بالمغايرة، أو الاختلاف (الاختلاف في ذاته). (الاختلاف مع الذات) الذي يجعل منه أحدا UN «الأحد المختلف في ذاته» الواحد كالآخر. دفعة واحدة alafois وفي الوقت نفسه، إنما في الوقت نفسه منفصلا، الواحد ينسى أن يتذكر نفسه، يحتفظ ويلغي الأرشيف هذا الظلم الذي يكونه[2]. بهذا العنف الذي يقوم به. الواحد يكون لنفسه عنفا. ينتهك نفسه. وسبب العنف ولكن يؤسس نفسه أيضا طي العنف[3] يصبح كما

---

(1) تلعب الرضة دورا كبيرا في صياغة التاريخ النفسي الشخصية اليهودي، لوجسوده بين الآخرين، وعلاقته بهم، ونظرتهم إليه، فالرضات (اسم يطلق على الانطباعات التي يكتسبها المرء منذ نعومة أظفاره ثم لا يلبث أن ينساها فيما بعد، ونحن نعزو إليها دورا بالغ الأهمية في علم أسباب العصاب) كما يقول فرويد في (موسى) ص (102). والرضات تتوضح من خلال نقاط ثلاث، كما يذكر في الصفحة (104): (الظهور المبكر إبان السنوات الخمس الأولى، وللنسيان، والمضمون العدواني الجنسي، وثيقة الترابط فيما بينها) ويمكن معرفة ذلك أكثر في معجم مصطلحات التحليل النفسي (300). حيث الرضة تستبدل بالصدمة النفسية، أو الهلع. فثمة شعور قهري معاش من الداخل، فالآخرية مبعث رضات متتالية، وهنا يكون العنف ناتج الشعور بالقهر الذي لا ينقطع، فتكون المواجهة مصاغة عبر القهر المركب إذا !

(2) الواحد في حقيقة ما يفصح عنه دريدا هو المعزول والمنعزل، وهذا ينعكس على المرتبط به، إنه شعور بالتفرد، بعكس المقابل المضاد الذي.يوصف بالانقسامية بالضعف، لهذا يكون مرفوضا !

(3) ثمة فلسفة جلية لمفهوم العنف الذي يفرزه الواحد، الواحد الأحد، هذا ما نلاحظه على أرض الواقع، هذا ما تعلمنا إياه المعطيات، وإحداثيات التاريخ في عصوره المختلفة. في دائرة مغلقة يتم إنجاز وخلق وتسيير التصورات والمجازات لشرعنة وجود وكينونة هذا الواحد.

هـو، العنـف نفسـه ildevience qu'ilest' laviolence mêne والـذي يصنـع لنفسـه هكذا، التحديد الذاتي كعنف. الواحد يحتمي من الآخر ليسبب لنفسه عنفا (لأنه يسبب لنفسه. ويقصد تسبب العنف لنفسه). ذلك ربما لا يقال وبالتالي لا يؤرشف بطريقة اقتصادية بالفرنسية(*).

الحال أنه من الضروري أن يتكرر ذلك. إنها الضرورة نفسها، Anánké

الواحد يلغي الكثرة. يبحث عن نسخ عنه، لكنها تابعة (سمولا كرية): يهوه واحد، الواحدية مملسة على عنف، حيث يتم نبذ الشبيه المفترض، التعدد كذلك، وحيث ينوجد التابع، الواحد الأقل شأنا، موسى، وفي اثره، وتحت إمرته اليهودي وهنا يكون فرويد يورشالمي، دريدا.. سلسلة من (الواحدين) في تفرد حضورهم.

(*) في نهاية هذ المحاضرة، أتخيل بكثير من الامعان مشغوعا سخرية، ودون انقطاع، وبوضوح ساخر «جيوفري بنيغتون» CEOFFREY BENNINGTON دفع بي إلى ملاحظة أن الإشارة، وأولا تنفيذ المتعذر اختزاله، كنت أخشى تكرار الحركة التي وصنعتها موضع التساؤل عن الآخر، أي التأكيد على الوحيد أو الاصطلاح اللغوي IDIOME لتحديد الجواب هنا، أقول باختصار ثلاثة أشياء: 1 ـ لم أتحدث عن الشيء المتعذر تبسيطه، وعن الاصطلاحات اللغوية المطلقين. إنما باقتصاد وفير جدا. (كان الأمر يتعلق بالنسبة لي بقول قليل من الكلمات الفرنسية في هذه الحالة، وفي هذه المصادفة مما قد يترجم في كل حال إلى كل لغة، أكثر مما نتصور)، هذا ما يكفي لتغيير المعنى السياسي لهذه الحركة.

2 ـ أعتقد أن هذا التأكيد لاصطلاح لغوي ما، لوحدانية ما، مثلما لوحدة ما مرجأة، أي لوحدة شائبة impure، التأكيد غير قابل للتبسيط والضروري ـ كنت أريد اثباته هكذا عمليا. ما نقوم به لاحقا وبهذا التأكيد offirmation، وبهذه الشائبة، إنها كل السياسة.

3 ـ لنجد أخيرا حركة سياسية أخرى، أردت استخدامها، بموجب حقي الخاص في السخرية وأنا أعرض نفسي في لغتي، لأضرب مثلا عن هذه الضرورة القدرية fatale ne'cessite مثلما لأخطارها comme de ses risqves.

(وتعليقا على ما يقوله دريدا: هل علينا أن نقبل بعمومية القول، أم بخصوصية الحدث (وهذا هو الأصح)؟! الفعل السياسي مقيد بعلامات الواحد، تابع لوحدانية صارمة، ليهودانية متمايزة)!

التكرار بذاته، لا الواحد قد لا يكرر ويذكر هذا العنف المؤسس[1].

وربما ليس في وسعه إلا أن يلتزم بهذا التكرار. وحتى هذا نفسه هو ما يربط عميقا إزاء إيعاز الذاكرة، باستباق المستقبل، حتى عندما يحدد الذاكرة أو يحافظ على الأرشيف، يتجه الإيعاز قطعا نحو المستقبل. إنه يقوم على وعد إنما ينظم التكرار. وبداية تكرار الذات، وتأكيده في الإيجاب (oui). عند تدوين التكرار هكذا، في صلب المستقبل ينبغي إضافة غريزة الموت إليه في ذات الوقت، وعنف النسيان، وما فوق الحظر، وفوضى التوثيق L'anarchiv [2]. باختصار إمكانية حتى اتلاف ذلك، أيا كان الاسم الذي يحمل القانون في تراثه، المسؤول القضائي عن الأرشيف، الطاولة، ما تحتويه الطاولة، والذي يجسدها، العنصر الشخصي، والحامل، وصانع القانون.

ولهذا السبب ربما لم تقبل تحت هذه الصيغة للخيار بين المستقبل وماضي أوديب[3]، ولا بين «الأمل» و «الخيبة» (hope etuhopelessness) واليهودي واللا

---

(1) باستمرار ـ وربما لا يشي دريدا بحقيقة ما يترتب على موضوعه من طروحات ومسآلات ـ ليس للواحد إلا شرف تمثيل نفسه، واحتكار الواحد به بوصفها مقولة مستبدة، متعالية.. أكثر من مركزية بالقوة. إذ أن الواحد رضي بامتياز. ولكن هذه الرضة لا تعفي الرضي من مسؤولية ما يمارسه وما يتمثله من قوى ورهانات على صعيد التاريخ وفي تأويل ما هو ثقافي.. اليهودي لا يعفي عبر دريدا من الرضة التي باسمها يبرر للعنف الذي يتنامى عبره.

(2) أهو تكرار الواحد، أم ذاته، أهو الواحد الذي يعتمد على التوالد الذاتي، ويتناسل عبر أشياعه، مختاريه هنا، أم هو أرشيفه الذي يتجدد، ويتطلب التجديد ما دام هناك ما يستوجب ذلك، أم هي الذاكرة الواحدية التي تثبت في كل واحد أرضي (بشري): يهودي، حتى يكون للمستقبل الموعود قيمة قدسية وطقوسية؟ ثمة إحاطة بالمهدد المتنوع بالموت الذي لا يمسل في تجديد الجراحات، وخلق التواترات، على الرضات التي تنبعث في كل آن وحين؟ فلسفة التكرار، هي في جوهرها تكرار لفلسفة موشحة برداء الديني، بمسحة ما ورائية تتجذر في السلوك اليومي للمؤمن هنا، وهو (اليهودي). ودريدا عالم بما يقوله، ولكنه هل يدرك أي مركزية يتطرق إليها وهو في كل مقولاته ينسف مركزية اللوغوس غربيا؟ ألا تتأسس مركزية لوغوس أكثر ضيقا واتصافا بالعنف يهوديا بجلاء.

(3) ليس أمام أوديب إلا أن يتحرر من ذاكرته، ذاكرة الخطيئة القدرية، وهذا صعب إلى درجة الاستحالة، فقد عرف بها، والمستقبل مفكر به هنا عبر هذه الذاكرة.. اليهودي أوديبي كوني ولكنه مشغول بذاكرة يجد نفسه محكوما بأعرافها، بطقوسيتها..

يهودي، المستقبل والتكرار، أحدهما يبقى للأسف، أو لحسن الحظ، رهان الآخر، والآخر رهان الواحد. بغية نفاذ القول، بأن المسألة الحاسمة، وفي هذه اللحظة التي لا يمكن البت فيها. تكمن في معرفة، إذا كان ذلك على الأقل يوضح المعرفة. (if it is at all knowable)، ما تعنيه كلمتا «يهودي» و «علمي»، وبأن ذلك يبقى مفتوحا على المستقبل، يجب أن يمنح المرء لنفسه على الأقل فهما أوليا، ما يعنيه «المستقبل» والحالة أنه ينتمي إلى بنية المستقبل حين لا يستطيع أن يطرح نفسه إلا عندما يتلقى للتكرار، ايضا في توفير الاخلاص ـ للآخر والذات ـ إلا في موقع عنف متجدد للأحد L;un[1] إن الإجابة على هذا السؤال (ماذا يعني المستقبل) تبدو مفترضة مسبقا من قبل يورشالمي. إنها سابقة على الاثبات. الذي بموجبه سيقول المستقبل كيف يمكن تعريف «العلم» و «اليهودي»، و «العلم اليهودي».

أما فيما يخص هذا الافتراض المسبق أو هذا الفهم المسبق، هنا نجد أنفسنا في مواجهة مأزق منطقي، حاولت أن أساءله في موضع آخر، وسأدلي عنه بكلمة فقط، من وجهة نظر الأرشيف: هل يمكن التفكير بالمستقبل انطلاقا من حدث مؤرشف ـ مع أو بدون دعامة، مع أو بدون راهنية actualité ـ على سبيل المثال انطلاقا من إيعاز إلهي أو انطلاقا من رابطة مسيانية[2] أو بالعكس تجربة، ووجود عموما، كيف يمكنه تلقي وتسجيل، وأرشفة حدث كهذا، بهذا المعيار الوحيد الذي يجعل بنية الوجود هذا وتزمينها، يجعل هذه الأرشفة ممكنة؟ بمعنى آخر هل يلزم أرشيف أولي بغية التفكير في الأرشفاتية الأصلية؟ أو بالعكس؟ إنها تماما مسألة العلاقة بين حدث الوحي الديني (offenbarung)

---

(1) ويمكن القول أيضا بتجديد عنف كامن في الأحد، ما دام متميزا بالأحدية!

(2) ليست المسيانية إلا علامة فارقة للأحد الذي يعرف بالوعد ـ يعرف بمستقبل منذور لشعب قربان له، وهو الذي قبل بذلك، ليتمكن من الآخرين!

والوحيانية (offenbarkeit)[1]، وإمكانية التبين، والفكر المسبق لما يفتح على الآخر الآتي، وعلى مستقبل حدث كهذا. هل منطق فوات «الآوان» (nachträglichkeit) الذي هو ليس فقط، في صلب التحليلنفسي، إنما أيضا وحرفيا هو عصب الطاعة «المختلفة» (nachträglich) ولا يأتي لبرج وليرح ويقلق، وليشبك أبدا التفريق المطمئن بين لحظتي هذا الخيار، مثلما بين الماضي والمستقبل، أي بين الحضورات الراهنية الثلاثة، التي هي الحاضر الماضي، والحاضر الراهن، والحاضر المستقبل[2].

في كل الحالات، ربما لا يوجد مستقبل بلا تكرار، فإذن، ربما يقول فرويد (قد تكون أطروحته)، لا مستقبل بلا طيف العنف الأوديبي[3]، الذي يدون الزجر في المؤسسة القضائية للأرشيف، وفي الموقف، والموقف الذاتي أو

---

(1) في إشارة دريدا إلى الوحيانية كمفهوم معتقدي، وفي الوقت نفسه أيديولوجي يعزز فكرة المستقبل في صياغتها التوحيدية ولكن التوراتية اليهودية. تبقى المساءلة الخاصة بالوحيانية مرتكزة إلى أرضية تاريخية، يبتغى من خلالها تحقيق الارشيف الذي يعرف به ناقصا، وفي الآن عينه متطلبا ترميما من الداخل، وبمواصفات تتحدد يهوديا. والتاريخ المقروء هنا لي بامكان أي كان مقاربته، فثمة نزعة تلمودية (تعالمية) تتحكم في مسار كل كلمة ممكنة القول، حتى يكون للأرشيف معنى. هو أرشيف معزز متعاليا، ومدعم (من فوق)، وهذا ما يمكن تقصيه ومكاشفته في النبرة المثالية المفلسفة لخطاب دريدا. الوحي علامة فارقة لشعب يتجلى مغذيا لذاكرته، مدشنا لوعد قابل للتنفيذ مستقبلا!

(2) Le présent passe, le présent présent et le presént futur? هذه الحضورات الثلاثة Les trois Presénts تفصح في صياغتها الفلسفية عن حيزها الديني، عن مرجعيتها المذهبية من خلال تاريخ منفتح على الآتي في الحالات الثلاث ثمة حضور، ثمة تجدد للحظة ذاتها، حيث الذاكرة في خدمة ما تختزنه فقط، لأن المشهود له يتنامى منفتحا على المستقبل. فالزمن رغم تقسيماته المذكورة، لا قيمة له ما دامت فعالية اللحظة الدينية لا تتوقف عن سرد أثرياتها الكبرى في تجييش وعي جمهرة المؤمنين بها.

(3) أليس لأن العنف الأوديبي مقيد بماضيه الذي لا يمكنه التخلص من وطأته رمزيا، فيكون المستقبل في انتظار هذا الذي يخضع للعقاب حتى يجازى لاحقا!

الموقف المتغير للأحد والأوحد L'un et de l'unique، في الأرخيه الاسماني، وغريزة الموت من دون هذا السوء، الذي هو أيضا سوء الأرشيف، والرغبة واضطراب الأرشيف، لا يوجد لا دعوة ولا إيداع، لأن الدعوة هي إيداع، وعندما نقول الأرخيه الاسماني فكأننا نقول النوموس، ونقول القانون[1]، إنما أيضا أطروحة أو موضوع. قانون المؤسسة (nomos, thésis ou thémis)، هو أطروحة الأطروحة و الموضوع هما أحيانا، وليس أبدا، يتواتران مع المادة الأصلية، ومع ما يترجم بكلمة «طبيعية».

هكذا فإن ملحق الأطروحات يندرج مسبقا مع الفرضية، هذه الأطروحات يجب أن تتبع هذه الحواشي، والتوطئة، والمقدمة أي رمامة لفرضيات فرويد[2] Un prothèse sur les thèses de freud.

بغية عدم الصمود أمام رغبة ما بعد الكتابة، رمامة متقدمة، على

---

(1) النوموس هو ذاته قانون يخص الظواهر، ويخص تنظيم الأرشيف. والقانون نابع من سلطة الأرشيف من جدية الأرشيف المحمول بثقل الشريعة في هذه الحالة. دريدا يعيد مفهوم ما كان ليصحح ما هو كائن، ليحذر من الاستمرار إن تجوهل الماضي الذي يراهن عليه. يقترب النوموس هنا. من النص الديني كمصدر للشريعة.

(2) ما هي رمامة الفرضيات الفرويدية؟ إن لم تكن في حقيقتها تشذيبا لها يتناسب والواقع المعاش! إن لم تكن هذه الرمامات حفاظا على مضمون مسكون بعبء الإرث التوراتي، بوحدانية يهوه وشعبه الذي يراهن على تفرده!

** لا يتردد فرويد في الكلام عن رمامة الكبت، بعض التقنيات المستعاضة، أو المثبتة تؤكد بأن اتمام الكبت في شكله المنتظم يصطدم بصعوبات ما لكن هذه العلامة المتصلة بالفشل تسمح أيضا في إظهار الرمامة مباشرة، والنهاية و«تقنية» الكبت. كل ذلك يتعلق بالحدث نفسه، وقدوم ما يحصل — أو مالا يحصل. لا شيء عرضيا يؤكد بأن إحدى هذه الرومامات تفيد حقيقة كلمة Ungeschehenmachen، أي «أن ذلك قد يحدث»، بينما يكون قد تحقق، المقصود هنا «معالجة حدث بوصفه غير منجز»(2) (بالفرنسية في النص، راجع كتاب: الكبح، والعرض، القلق،، دار نشر PUF، 1965، ترجمة م. تورت — ص 41 — 42 — .

رمامات لاحقة[1].

(1) في كل ما تنفق عنه عبقرية دريدا من أقوال وتصورات ومقترحات، تتراءى في الحالات المتخيلة كلها مشاهد الوحدانية التي تعيد انتاج مفاهيمها وتوسيع رقعة كل مفهوم بغية التكيف مع المستجدات، مع بقاء النص المعتمد (التوراتي) كخلفية لا تتوارى عن الأنظار. وفي العمق يتداخل دريدا مع فرويد، كنوع من سخرية الأقدار في تشابه الظروف، أو ربما في تماثل الأوضاع: عصر فرويد والضغوط التي تعرض فيه اليهود لأزمات وانتكاسات وملاحقات، خصوصا بعد قيام الحرب العالمية الثانية. وعصر دريدا في تسعينيات القرن الماضي (في أواسطها تحديدا) حيث كانت حالات التحدي ورسم الاستراتيجيات الكبرى، وظهور تصورات جديدة، ومخططات العولمة بعد حرب الخليج، وبروز الدور الأكبر للولايات المتحدة الأمريكية كقوة مسيطرة عالميا، على الأقل في المدى المنظور، والمفاوضات العربية الإسرائيلية، و(سطوع) نجمة داوود أكثر من أي وقت مضى، وكأن تحدي الذات والمستقبل كان أقسى وأكثر قلقا هنا.. وما يفصح عن ذلك ما يجري الآن من رعب معاش وممارس من قبل (شعب الله المختار).. فيكون المستقبل أكثر كارثية.



Théses[1] (أطروحات)

فيينا في 6 ديسمبر «ت1» 1896 [...] جئت لأزين مكتبي الخاص بأشكال التماثيل الفلورنسية، وهذه بالنسبة لي مصدر راحة كبيرة، شعاري هو أن أغدو غنيا، لأقوم مجددا بهذه الرحلة، وأحلم بمؤتمر على أرض إيطاليا! (نابولي، بومباي)، لكم جميعا أفكاري الحميمية.

Ton sigm [*]

---

(1) بدءا من هذه الصفحة من الكتاب، وحتى نهايته، يكاد الكلام في مجمله ينصب حول عمل «جنسن» الروائي القصير، ومدى اهتمام «فرويد» به، إلى درجة أنه بدا له مكتوبا من أجله، أو وكأنه كتب كما يشتهي هو، حيث أبرز في تحليله له كل (روافعه) التحليلنفسية. ولذلك بالوسع القول: يستحيل استيعاب ما كتبه «دريدا» هنا إذا رمنا حقيقة ما يعنيه الاستيعاب دون قراءة عمل «جنسن» قبل كل شيء ولاحقا ما كتبه «فرويد» عنه. ويبدو تحليل «دريدا» للاثنين استمرارا لتحليلاته السابقة، وفي الآن عينه تعميقا لخاصية الأرشيف، لسوئه، من ناحية ملتبساته، حيث تتدخل العواطف والأحاسيس والتصورات والفيلولوجيا والمناظرات الثقافية والأركيولوجيا والسيكولوجيا والتاريخ في العمق. لذلك فإن أي إحالة مرجعية إلى هذا العمل وتعليق أو تحليل «فرويد» له من جهتي، إنما تخص ترجمة «نبيل أبو صعب» ومراجعة «صباح الجهيم» للعملين معا في كتاب واحد تحت عنوان (الهذيان والأحلام في قصة «غراديفان جنسن) منشورات وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ـ ط1986 ـ

(*) رسالة إلى ولهلم فليس (6 ديسمبر 1896)، في كتابه ولادة التحليلنفسي. تر: أنه بيرمان، بوف، 1956 ـ ص 160. هذه الكلمات اختتمت رسالة طويلة حيث حدد فيها فرويد علاقات

«أركيولوجي شاب، يدعى نوربرت هانولد[1] اكتشف ضمن مجموعة أثريات في روما، جدارية منحوتة، قد أعجبته كثيرا بحيث أنه كان مسرورا لحصوله عليها لجعلها قالبا مميزا، وربما ليعلقها في غرفته الخاصة بالدراسات... [2]

«منذ زمن بعيد انتابتني عادة الشعور بالموت» [3]

لنقل اختصارا - هنا حيث يتبدى اختصار ما مستحيلا، عندما لا شيء يمكن أن يتجلى كاملا في مجاورة المنبع تماما، يقارب المبدأ، الأرخيه، والأرشيف كذلك. لنتذكر هكذا: الصياغات الإصطلاحية[4] التي زعمنا أنه

«التصنيف» الطوبوغرافي، الأركيولوجي أو الأرشفي، بين نماذج عدة «تسجيلية»، (وربما ثلاثة نماذج على الأقل حسب اعتقاده). هذه الرسالة تعلن أحيانا بشكل مفصل، عن ملاحظة، حول المجموعة السحرية.

(1) روبرت هانولد هو الشخصية الرئيسية التي تدور حولها قصة «قصة غراديفا» كما سميت أعلاه، وأنا أعتبرها عملا روائيا قصيرا إلى جانب «غراديفا». وهو بعمله كآثاري، يلبي رغبة فرويد من ناحية، كونه يتصل بالماضي، وليست علاقته بـ«غراديفا» إلا من هذا المنحى. ورغبة دريدا من ناحية أخرى باعتباره يسلط الضوء على خاصية الأرشيف، وليست تحليلاته التي يختلط فيها الأدبي والفلسفي والسري التحليلي إلا تعبيرا عن الالمام بالاثنين معا، إلى درجة أن حضور (الرمزين) في الرواية يبرز طاغيا كما يلاحظ هنا ولاحقا. وكل ذلك يفصح عن تناصيات متداخلة ومتشابكة. فيغدو الأرشيف أرشيف الأرشيف هنا!

(2) فرويد، في كتابه: هذيان وأحلام، «غراديفا» لجنس، افكار nrf، ص 130، سنذكر من الآن فصاعدا هذه الترجمة، وأحيانا نعد لها.

(3) «ich habe mich schon lange daran gewöhnt, tot zu sein jensensen, gradiva, cité par freud, OP. Cit, P232

(4) موقع (الصياغات الاصطلاحية) يفصح في الحالة هذه، عما يجب القيام به من قبل دريدا بداية. فكون الأرشيف يعاني من سوء، وأي سوء فهذا يعني إعادة النظر في كل ما قيل أو اعتمد بوصفه حقيقة، نقدا أصليا وعقلانيا، الأرخيه الفعلي، وهذا يحيلنا إلى ما سبق أن

بوسعها أن تنطبع بطريقة اقتصادية كما في اللغة الفرنسية. إنها تعبر عن سوء الأرشيف. الأحد **يحترس من الآخر**، قلنا أن يحترس الأحد ليجلب العنف لنفسه: لأنه يجلب العنف لنفسه، وهو يقتصد في ذلك، حيث يتلبس العنف لنفسه. في لغة أخرى تماما، أليس فرويد هو الذي ربما أجاب على ذلك؟ أليس هو الذي أوضح ربما جوهريا ليورشالمي طيف فرويد حيث لا أحد بوسعه أن يتغير هنا؟

وإذا لم يلتزم أب التحليلنفسي وأب آنا - بالسؤال المتعلق بما كتبته ابنته في الواقع، باسمه ذاته، أو باسمه إليها (محتوى الجواب على سؤال كهذا قد أرشف على الأقل في رسالة إلى يورشالمي، لنتذكر ذلك، منذ 1926)، لكنه ربما أجاب بهذا الشكل، على شكل قطع ناقص ellipse على مسألة **المستقبل** لوهم ما[1]، وهكذا، مسألة المستقبل الخاصة بالطيف أو طيف المستقبل، المستقبل **كطيف**. من يريد الحلول محل شبح فرويد؟ كيف يمكن عدم الرغبة في ذلك؟ اللحظة قد تكون مؤاتية للمجازفة de risquer، من خلال بعض البرقيات، بأطروحة فيما يخص أطروحات فرويد، الأطروحة تقول

قلناه بخصوص ما تكرر من كلمات، إزاء خاصية الأرشيف المزعومة والمخادعة إن جاز التعبير، وكما يرى دريدا نفسه ــ التشكيكية في نزعتها الكلبية، لابل والسفسطائية هنا، وحتى النيتشوية في نزعتها السوبرمانية (إرادة الأنا الأعلى) أقانيم تحليلية فاعلة هنا.. لأن دريدا ــ كما يلاحظ يثير أكثر من علاقة (عائلية)، أكثر من خاصية علاقة بين الأب وأبنائه، بين الأخوة أنفسهم، بين الورثة ومن يكونون وما يكونونه. لتغدو العائلة رمزا، ومشبعة بالدلالات تطال الميتافيزيقيا بالذات.

(1) مسألة المستقبل لوهم ما، تذكر بمستقبل وهم. بوهم مستقبلي حيث سبقه الوعد بسر سيفشى، وعد مسكون بالطيف مستقبلا، كما في (مستقبل وهم) ــ انظر الترجمة العربية الصادرة عن دار الطليعة ــ بيروت ــ ص2 ــ 1979 ــ لجورج طرابيشي ــ خصوصا صفحة (38) وما بعد. هو وعد فرويد بصورة ما.

بداية الآتي: كل الأطروحات الفرويدية متصدعة fendues، منقسمة، متناقضة، كالتصورات، عن البدء بسوء الحفظ. هكذا يمضي تصور دائما يتفكك هذا التصور لأنه لا يشكل تصورا واحدا مع نفسه أبدا. والأمر ينسحب مع الأطروحة التي تطرح وتتصرف بالتصورات، وبتاريخ التصورات، وبتشكلها، كما بأرشفتها بالمقدار نفسه [1].

لماذا التركيز هنا على الطيفية؟ ألأن يورشالمي تجرأ بتوجيه الكلام إلى شبح فرويد؟ ألانه تجرأ مساءلته عن جواب موثق، حيث لم يكشف أبدا الأرشيف؟ بلا شك، لكن بداية لأن بنية الأرشيف هي طيفية[2]، إنه كذلك قبليا: فهو ليس حاضرا ولا غائبا، بلحمه وعظمه» لا مرئي ولا

---

(1) يجدر هنا الرجوع إلى ثلاثة كتب لفرويد ذات قيمة استثنائية من بين أعماله، بوصفها تتضمن تصوراته الثقافية، رهاناته على السمتقبل، تخص أخريات حياته (مستقبل وهم ـ قلق في الحضارة ـ موسى والتوحيد)، وهي مترجمة إلى العربية.. دريدا بقدر ما يستعرض ما قيل في (أبيه) الرمزي هنا بطريقة ما، بقدر ما يفصح عن تعاطفه معه.. فالتفكيكية ليست منزوعة العاطفة، إنها تمتح منها كثيرا!

(2) أي أرشيف يعنيه دريدا هنا؟ أرشيف فرويد، أم الأرشيف بشكل عام؟ هل ثمة أرشيف يمكن تحديده؟ كلها واحدة. كلمة الأرشيف عامة هنا. بقدر ما تكون سر ما ترتكز إلى ما هو خاص ينشغل به دريدا بالذات. الأرشيف الذي أهمل، وها هو ينفض عنه رماد التاريخ، أرشيف لطالما انتظر التحدث باسمه واثارته، واستجلاء جوانبه، وتوفيره بالذات.. إنه يبني من خلاله كل التصورات التي تدخل في حيز المسائل القانونية والفقهية والقضائية والسياسية والتاريخية والأدبية كذلك. حيث الأرشيف متعدد الدلالات والرؤى. إنه الأرخية والأرشيك والارخون والارك. وها هو ينقب في بنيته، في سوئه ليعاين فيه ما يعتبره قابلا للدعم. يربطه بالطيفية لمنح الموضوع قيمة مضاعفة من حيث الاهتمام. فالطيف ليس وليد اللا شيء. الطيف الشكسبيري له تاريخه، يعرفه هاملت جيدا، طيف ماركس تركه كل أوروبا في تاريخه، هو الطيف الذي عناه بالشيوعية، وكما تحدث عنه دريدا. طيف دريدا هنا فرويدي يبغي اعتبارا.

مخفي، اثر يحيل دائما إلى أثر آخر، إذ أن نظرته قد لا تتمكن من التدخل ليس إلا، بفضل قوة الواقية visière كنظرة والد هملت. ثم الدافع الطيفي قد لا يظهر هذا الانقسام المتبدد حيث تتأثر مبادئه والمبدأ القضائي، والتصور الأرشيفي والتصور عامة.

المعروف أن فرويد قد قام بكل شيء كي لا يهمل تجربة الوسواس، والطيفية، والأشباح، والأخيولات، حاول أخذ ذلك في الحسبان، بحماس وبطريقة علمية أيضا حاول تجنبها، مثل ماركس ووضعيانيته العلمية قد وضعت في خدمة وسواسه المعلن وخوفه غير المعترف به، وما علينا أن نستشهد به إلا مثالا واحدا، اخترته لملاصقته بالرغبة في الأرشيف، وبحفريات مستحيلة لهذا الحنين ولهذه الرغبة المتألمة، للعودة إلى الأصل الصحيح والمميز، ولعودة مضطربة للأخذ في الاعتبار رغبة العودة: الرغبة ذاتها. هذا المثال يذكرني وأنا في نابولي وبومبي[1]، في مشهد غراديفا حيث كتبت هذه الصفحات منذ حوالي عشر سنوات. في قراءته لكتاب **غراديفا** لجنسن، يعترف فرويد بوسواسه الخاص. يتقيه دون مقاومته[2].

---

(1) دريدا الذي أنجز كتابه هذا في نابولي، وفي 22 ـ 28 أيار، من عام 1994. هو ذاته رهين الحنين إلى الماضي، إلى الأثريات وما فيها من استلهامات، حيث يعايش التاريخ المتخيل لـ «غراديفا» والمزج بين النصب واللغة.

(2) في إشارة عابرة، ولكنها مهمة، يتحدث فرويد في كتابه (حياتي والتحليل النفسي)، ترجمة: مصطفى زيور ـ عبد المنعم المليجي ـ دار المعارف ـ مصر، ص2 ـ 1967 ـ ص(76)، عن هذه القصة ـ كما يسميها ـ ويرى أن لا قيمة لها في ذاتها، سوى أنه اتخذها أساسا لتفسير نظريته عن الأحلام. ولكن اهتمامه بها يفصح عن حقيقة مغايرة تخص العمل الأدبي وكيف يمكن له أن يمارس تأثيره بقوة في واعية العالم. خصوصا، وهو يمارس تفكيكا نفسيا لكل المنمنمات التي تكون العمل المذكور. ويمكن متابعة ذلك فيما كتبته عنه «سارة كوفمان» في طفولة الفن: تفسير علم الجمال الفرويدي) ـ ترجمة: وجيه أسعد

il sén défen sans se'n de'fendre. يتصدى بذاته، إذا أمكن القول، في اللحظة التي يريد الأخذ في الحسبان التطور الأخير لجنون (wahn) هانولد، الجنون الموسوس لآخر. والآخر بوصفه شخصية خيالية. ذاك يعتقد أن بوسعه التحدث خلال ساعة كاملة مع غراديفا من خلال «طيفها في وضح النهار» (mittagsgespenst)، بينما هي تختفي منذ كارثة عام 79[1]، يناجي شبح غراديفا خلال ساعة، ثم تعود إلى قبرها وهانولد، العالم الأثري يبقى وحده. لكنه يبقى أيضا مأخوذا بالهلوسة dupe de l'hallucination.

ماذا سيفعل فرويد؟ بداية كان قد طرح بوضوح المشكلة الكلاسية للشبح.

الشبح في الأدب[2] «الشخصية» ليست وحدها إذ عليها أن تكابد مرضا أو «توترا» (Spannung). إزاء «ظهور غراديفا» نحن نتساءل بداية، نحن القراء، لأننا رأيناها أولا، على شكل تمثال من حجر، ثم من صورة توهمية (phantsiebild). التردد لا يتأرجح ببساطة بين الوهم والواقع، الواقع الفعلي (Wirkliche). فرويد يتكلم، وهو إذ يضع (أقواسا)، ضمن

ـ منشورات وزارة الثقافة السورية ـ دمشق ـ 1989 ـ خصوصا الفصل السادس، عن علاقة فرويد بهذا الكتاب.. ص(272) وما بعدا!

(1) إنها كارثة بومبي يوم 24 تموز من عام 79م. حيث ثار بركان فيزوف.. وقد لفت السماء المدينة التي كتب عليها الدمار برداء داكن من الدخان، بينما أتاحت ألسنة اللهب في فوهة البركان رؤية بعض الأشياء في ضوء أحمر دام، كان الأهلون، فريسة لرعب مجهول، فاقدي الرشد، يطلبون السلامة فرارا زرافات ووحدانا ـ ص13 ـ في رواية جنسن المذكورة! و«غراديفا» تنتمي إلى ذلك التاريخ!

(2) يقول مثلا في الصفحة (177). إن الاعتقاد بالأرواح والأخيلة والأشباح، والذي يجد الكثير من مرتكزاته في الأديان، والذي آمنا به جميعا في الطفولة على الأقل، أقول إن هذا الاعتقاد لم يخمد تماما بين المتعلمين وأن الكثير من الأشخاص العقلاء مع ذلك يعتبرون أن ممارسة استحضار الأرواح تتفق تماما مع العقل.

كلامه، عن شبح فعلي (ein wirkliches Gespenst): هل هذه هي هلوسة بطلنا اللافت عبر هذيانه، شبح «فعلي» أو شخص من لحم وعظم (Leibhaftig person)[1]. بغية الاستفهام هكذا. يلاحظ، لا حاجة «للإيمان بالعائدين الشبحيين». المسألة و«التوتر» اللذان تصفهما، هما محتمان إلى درجة أنهما أن جنسن مؤلف ما يسميه بنفسه «خيالا مدهشا» (Phantasiestûck) ولم يشرحه لنا بعد فيما إذا أراد أن يتركنا في عالمنا المألوف أو فيما إذا كان إذ يريد أن «يقودنا إلى عالم آخر، عالم مدهش حيث الأرواح والأطياف»[2].

(Geister und Gespensenster) تتخذ قيمة واقعية (wirklichkeitl) نحن مهيئون لمتابعة مؤلف الأخيولة (fiction)، مثلما في «مثال هاملت ومكبث». علينا أن لا ننسى أبدا ذلك، في وضع النهار، في «ساعة الأطياف» (Geisterstunde)، غراديفا، «طيف الظهيرة»، تنبثق أمامنا في تجربة **قراءة**، إنما أيضا بالنسبة لبطل الرواية، في تجربة حيث لغتها، وحتى تعددية اللغات، لن تكون مجردة لتترك بصورة عارية الإدراك المحض ولا حتى هلوسة إدراكية بصورة محض. هانولد يخاطب أيضا غراديفا بالإغريقية ليرى فيما إذا كان الوجود الطيفي (Scheindasein). قد حافظ على سلطة الكلام (SprachvermÖgen). دون رد يخاطبها إثر

---

(1) المصدر نفسه ـ ص139 وما بعد.

(2) يتحدث جنسن عن وسواس بطله، بينما يتحدث فرويد عن هلوسة هذا البطل. بينما البطل يعيش الحالة وهي متخيلة هنا. (كانت هي نفسها دون أدنى ريب، وعلى الرغم من أن أشعة الشمس أحاطت قامتها بنوع من النقاب الذهبي فقد رآها بوضوح، وكانت تبدو بجانب وجهها كما في المنحوتة تماما. وكانت تميل إلى الأمام قليلا برأسها الذي يستر أعلاه شال سقط إلى عنقها. بينما تجمع بيدها اليسرى طرف ثوبها ذي التكسيرات الرائعة والذي لا يذهب أبعد من رسغها) ص (42).

ئذ باللاتينية[1].

تبتسم وتطلب منه الحديث في مصطلحه الخاص به، أي بالألمانية: «إذا كنت تريد التحدث معي عليك أن تتحدث بالألمانية» شبح قد يكون إذا مدركا للمصطلح. عند تلقيه ذاك، ويشعر به. لا نخاطبه بأي لغة، قانون الاقتصاد، أيضا مرة أخرى، قانون الـ oikos (المنزل)، وتدخل العلاقات والقيم، إنما أيضا خدمة منزلية: يفترض الوسواس أمكنة، إقامة، ودائما بيتا مسكونا بالأشباح[2].

هذا الاقتصاد لم يعد ينفصل عن المسائل «الفعلية»، إذا، بين هلالين: هل هو شبح «واقعي» (wirklich) أو لا؟ إنما أيضا «حقيقة». ماذا عن الحقيقة بالنسبة لفرويد. إزاء هذه الأطياف؟ ما هي في نظره نسبة الحقيقة؟ لأنه يؤمن بشيء ما كجزء من الحقيقة حين التحليل، قال لنا، عند الاختبار التحليلنفسي، استبعادية هذا الهذيان[3].

---

(1) ما يجدر معرفته هنا، هو أن اسم «غراديفا» أطلقه هانولد على النحت الذي أثر فيه. و(اسم غراديفا)، أي تلك التي تتقدم، وهذا اللقب، الذي خص به الشعراء مارس غراديفوس، إله الحرب الذاهب إلى المعركة، بدا لنوربر مع ذلك اللقب الأكثر تمييزا لحركة الفتاة ـ ص9 ـ أما (زوي) فاسم يوناني يعني (حياة). أما اسم (بيرتغانغ) فيعني: (ذات المشية المشعة أو السامية ـ ص154).

(2) لأن ثمة وحدة ومعايشة مع الفراغ الموجود الذي يختلط بصور حقيقية أو متخيلة لمن كانوا في الأمكنة هذه، أو شغلوها ذات يوم، أو أقاموا فيها مدة من الزمن.

(3) يكتب فرويد في الصفحة (147) مثلا (لقد أطلق لكاتب عدة مرات اسم الهذيان على حالة نوربرهانولد. وليس لنا الحق، نحن كذلك، في أن نرفض هذه التسمية. ويمكننا أن نعطي للهذيان خاصتين أوليتين، وهما خاصتان لا تصفانه تماما لكنهما تسمحان مع ذلك بتمييزه بوضوح عن الاضطرابات الأخرى.

ففي المقام الأول ينتمي الهذيان إلى تلك الفئة من الأمراض التي ليس لها تأثير مباشر على الجسد، والتي لا تبين إلا عبر مؤشرات نفسية، وفي المقام الثاني يتصف الهذيان بما يلي:

تبـدو وكأنـها تتحــول (die unwahrcheinlichkeit dieses wahnes) (scheint.. zu zergehen)، علـى الأقـل إلـى جـزء كبـير: «بالنسـبة للجـزء الأكبر» (zum grösserenteile)[1].

إنها استبعادية تبدو وكأنها تتحول إلى شرح **على الأقل بالنسبة** لجزء كبير. ما هو هذا الجزء، إلى ماذا يعود هذا الجـزء الـذي يقـاوم الشـرح؟ لماذا هذا التركيز على القسم والفصل، والتقسيم، الجزء؟ ومـا علاقـة هـذا الاجتزاء بالحقيقة؟. معروف هذا الشرح الفرويدي، يعلنه هذا البروتوكول الغريـب، إنـه يحـرك الأواليـات البحثيـة للتحليلنفسـي، إذ يبـدأ بـالطبع مـن خـلال أواليـات الكبـت. إنمـا علينـا ألا ننسـى ذلـك، فيمـا إذا كـان شـرح التحليلنفسـي للـهذيان، والوسـواس، والهلوسـة، وفيمـا إذا كـانت نظريـة التحليلنفسـي للأطيـاف تـترك جـزءا مقصيـا غـير مشـروع، أو بـالأحرى ممكنـة مشـابهته vraisemblable، مجسـدا الحقيقـة، هـذا يعنـي أن فرويـدا يعترف بنفسه إلى حد بعيد، توجد حقيقة هذيانه، وحقيقة الجنون الجنون أو الوسـواس. حقيقـة مماثلـة لهذه «الحقيقـة التاريخيـة» يميزهـا فرويـد خصوصا في كتابه موسى، عن «الحقيقة المادية»، هذه الحقيقة مكبوتة أو مقموعة، لكن تقاوم وتعود[2]، في هـذا الصـدد، كحقيقـة طيفيـة للهذيان أو

إن الاستبهامات أصبحت هي القوة المتحكمة، أي أنها حازت ثقة الشخص ولذلك فهي تحرك سلوكه. فالرحلة إلى بومبي، بحثا عن آثار خاصة خلفتها أقدام غراديفا فوق الرماد، تمثـل انموذجا كاملا للعمل الذي تم تحت سيطرة الهذيان).

(1) المصدر نفسه ـ ص 212.

(2) عند فرويد كل مالا يمكن أو لا يتم اشباعه يتحول إلى ما يسميه «ندبة» الكبت، وعنـده أن جميع ظاهرات تكوين الأعراض المرضية «عـودات المكبـوت». (موسـى والتوحيـد ـ ص176) ـ وعنده إن المؤمنين يتفاعلون مع ما يعتقدونه بوصفه حقيقة تاريخية لا مادية، كونه يتجاوب مع ما يعتنقونه ـ المصدر نفسه ـ ص179 ـ

للوسواس، وتحيل إلى الحقيقة الطيفية. الهذيان أو الجنون، الوسواس لا يكون فقط موسوسا من خلال هذا الشبح المطل أو ذاك، غراديفا على سبيل المثال، إنما من خلال طيف الحقيقة التي لا تقتصر على الشرح.

لنمض أبعد من ذلك. يحاول فرويد تجزئة هذا الجزء، في الوسواس المهلوس الهلوسي للأركيولوجي[1]:

«إذا كان المريض يؤمن بشدة بهذيانه، وهذا لا يحصل (So geschieht das nicht) بسبب قلب قدراته التقويمية ولا يشتق مما هو مغلوط في هذيانه (irrig ist). لكن كل هذيان يحتوي على نسبة من الحقيقة (sondernin inJedem Wahn steckt auch ein kÖrnchen Wahrheit)، وشيء ما يستوجب التصديق حقا.

(es ist etwas an ihm, was wirklich den Glauben Verdient)، وهنا تكمن قناعة (Idie quel) المريض، قناعة مبررة في حد ذاتها (der also so

---

وفي ضوء ذلك فإن ما يلح على المرء بوصفه حقيقة لا تناقش، من ناحية طيفية، إنما يوضح ويوضع في إطار المؤثر الذي كان، ويعاود الحضور، لينال حقه المهدور نفسيا، حيث أقصي في زمن سابق، وقد لا يجد صاحبه تفسيرا لالحاحيته كونه مملوكا من قبله. أنه لا يبصر أعماقه هنا، ولهذا يكون تعرضه لاضطرابات شتى.

(1) نلاحظ أن فرويدا في تعليقه على «غراديفا» يربط بين الحلم المتكرر لـ «هانولد» وهذيانه. حلم يتملكه حين ينام، وهذيان يستحوذ عليه حين يصحو، ويرى طيفها في الظهيرة، حيث يتعرض الجسم لتغيرات فيزيولوجية ونفسية (إن الحلم والهذيان يصدران عن المنبع ذاته: المكبوت ويمكن القول إن الحلم هو الهذيان الفيزيولوجي للرجل العادي ــ ص167).
يحلم «هانولد» بـ«غراديفا» لأنه يشتهي ما يفتقده (إنه الحرمان الجنسي) وهو لصيق بمهنته كاركيولوجي، إذ أن غراديفا برزت عبر منحوتة حجرية أولا ــ ويهذي، لأنه يفقد توازنه العقلي لوطأة الحلم الذي ينشط كوامنه وأعصابه، فيحدث المتخيل فيه ما يتمناه ويبلبل افكاره، ليبحث عن طريقة للتوازن!

(weit berechtigten überzeugung des keskranken). إلا أن هذا الجزء من الحقيقة[dieses Wahre ، هذا الحقيقي هو بذرة حقيقة الحقيقة]

كان مكبوتا لوقت طويل (War Langez eit Verdrängt) عندما يدخل إلى حيز الشعور، يتجلى «بصيغة مشوهة» (In entstellter form)، بقوة قناعة مركزة، عبر التعويض La compensation، ويبقى مرتبطا بالجوهر المشوه للحقيقة المكبوتة».

(Am entstellungsartz desverdrängten Wahren).

لتحليل أرشيف هذا التقسيم، ولقراءة حقيقته، وحتى صرح هذا الجزء، يجب الأخذ به في الاعتبار **رمامة**، هذا (الجوهر المشوه) لكن جزء الحقيقة الباقي يظل قطعة أو نسبة من الحقيقة تتنفس في صميم الهذيان، وفي الوهم، والهلوسة، والوسواس هوو ذلك الشكل الذي نصادفه حرفيا في كتاب **موسى**[1].. بدقة عندما يميز فرويد الحقيقة «التاريخية» عن الحقيقة «المادية»، على سبيل المثال: إذا كان موسى هو المسيح الأول (العبراني «م») والمسيح في جوهره الرمامي (Ersatzmann)، ممثله ووريثه، حسن، كان يجب على القديس بولس.

بطريقة مبررة أن يخاطب كما لو كان يخاطب الأمم (Kon nte auch paulus mit einer gewissen historischen Berechtigung den völkernzurufen).

(1) لنثبت بدون تعليق ما يقوله فرويد في (موسى والتوحيد): الدين ما هو إلا عصاب تشكو منه الانسانية، ص 79، وفي مكان آخر يقول: إن الظاهرات الدينية تماثل الأعراض العصابية الفردية، تلك الأعراض التي باتت معروفة لدينا حق المعرفة بوصفها أصداء لأحداث هامة. طواها النسيان منذ أمد بعيد ــ ص83 ــ .

ليقول لهم بأن المسيح الأول قد جاء بالفعل (Wirklich gekommen) وقد قتل على مرأى من أعينكم»[1](vor Euren Augen) «إذا يقول فرويد، إن انبعاث المسيح يضم أيضا عنصر الحقيقة التاريخة حرفيا عن جزء من حقيقة تاريخية:

[ein stÜck historischer Warheit uruater]، لأنه كان موسى المنبعث وخلفه الأب البدئي للجماعة الأولية، والمتحول بوصفه متخذا شكل الابن مكان الأب»[*][2].

وهكذا ساهم في صنع الحقيقي، وانشغل في فصل بذرة الحقيقة في هلوسة الأركيولوجي، فريسة لـ (طيف الظهيرة)، ويدرك فرويد اثبات حقيقة هذا العائد الشبحي، يريد اثبات الحقيقة بعد جلائها. مع وبوساطة فن إدارة تعليقه، كراو، وكصانع للأخيولة، سرد لنا إذا، بدوره حكاية كما لو أنه تاريخ آخر، تاريخ حالة، ليس حالة مريض، إنما حالة طبيب معالج. قال: «أعرف طبيبا»[**] الطبيب كان قد رأى عائدا شبحيا. كان قد حضر العودة الطيفية لميت. واستطاع هكذا أن يشهد على ذلك.[3]

---

(1) هذا ما يتطرق إليه فرويد في الكتاب المذكور أعلاه أو إذا كان موسى هو حقا وفعلا ذلك المسيح المنتظر، فإن يسوع يصبح في هذه الحال بديله وخلفه. ولهذا أمكن لبولس، بحق، أن يهتف مخاطبا الشعب انظروا، هو ذا المسيح المنتظر قد جاء حقا وفعلا. (فلم يقتل على مرأة منكم». وبذلك يضفى على بعث المسيح شيء من الحقيقة التاريخية، لأن المسيح كان حقا موسى المبعوث ـ ص125) هكذا يمارس فرويد الرمامة مازجا بين ما هو تاريخي وديني، من منظور سيكولوجي.

(*) موسى الإنسان المصدر نفسه ص182.

(2) يمكن مراجعة المصدر نفسه الترجمة العربية السالفة ص125.

(**) موسى الإنسان المصدر نفسه ـ ص213.

(3) تتداخل المرويات التاريخية والدينية والأدبية مع بعضها بعضا، ما دام ثمة رابط يجمعها معا، هو الحيز النفسي ومن الداخل، الذي يمكن التنقيب فيه عميقا. وليس طيف الظهيرة،

كـان فرويـد قـد اشـار إلـى الإيمـان بـالأرواح وبالأطيـاف، وبـالأرواح الشبحية (der Glaube an Geister und Gespenster und Wiederende seelen) يجب ألا يعتبر بمثابة ديمومة، البقاء النسبي للدين والطفولة، يبقى (الإيمان.«م») مقاوما ويقينيا، indéniable، وتجربة إذ من خلالها سنصادف أطيافا أو ندعها تأتي لتلقانا. الأشخاص الأكثر ثقافة، والأكثر عقلانية والأكثر ظنية incroyants[1] يوفقون بسهولة بين روحانية ما والعقل. نحن نعرف كل الحبكة الفرويدية فيما يخص التليباثية[2]. حاولت معالجتها، بطريقة أقل أو أكثر خيالية، ولن أعود إليها. الأمر يتعلق هنا بإشكالية مماثلة. يريد فرويد أن يخبر ذلك بدعم من مثال ما وهو: «ich Weissvon einem Arzt» «أعرف طبيبا ... » ويسرد لنا كما لو كان الأمر يتعلق بآخر، بمغامرة زميل طائشة، وذاك كان ينتقد في نفسه طيشا مهنيا: وقد يقود إلى موت مرضاه.

بعد عدة سنوان، رأى فتاة شابة تدخل إلى غرفته. وماتت زعم حينئذ

سوى انضغاط الحقيقة على ذهن صاحبها المشغول بها، لا بل حالة «هانولد» الفعلية، وهو يفصح عن نفسه دون أن يدرك نتائجها، عبر اهتمامه بالمنحوتة، وبالطيف المذكور، الذي يمارس فيه تعرية حتى يمنحه قدره على التوازن في النهاية.

(1) ثمة تعارض بين العقلانية والظنية، فالعقلانيون هم كذلك إلى درجة أنهم يغدون ظنيين، وهم ليسوا كذلك إلا لأنهم عقلانيون. إنهم مهيئون لتلقي أي معلومة، فكرة، لا باعتبارها حقيقة، إنما بوصفها قابلة للمناقشة على صعد شتى. ويبدو القول هذا لصيقا بدريدا نفسه، حيث يمزج بين العقلاني والظني. فتفكيكيته هي في حقيقة وضعها تتجلى ممهورة بالعقلي، ولكنه عقل شغوف بالظني، وهذا من مزاياه الكبرى إذ به يقيم أوده ويوسع حدوده في مقاربة كل ما يعرض له وعليه من قضايا.

(2) تدخل التليباثية باعتبارها تخاطرا عن بعد في مضمار الباراسيكولوجيا ولكنها في الآن عينه تجسد مغامرة المعرفة في الكشف عن مغيبات يتفاعل أشخاص معينون، مسؤولون، واشراقيون، ويعيشون عوالم نفسية خاصة. ويبدو فرويد معنيا بحقائق من هذا النوع. وهذا ما يركز عليه دريدا.

بأنه من «البدهي» (Wahr) «أن الموتى قد يعودون» (Wie die toten das derkommen k nnen) هلوسته كانت قد دعمت وغذيت هنا، إذا أمكن القول: طيف الزائرة عرف بها في الواقع بوصفها أخت الفقيدة، وهي نفسها كانت تكابد مرض بازدوف Basedow[1].

هذا هو الانقلاب المفاجئ. كان فرويد يتظاهر وكأنه يتحدث عن آخر عن زميل. (لوكنت بهذه الحالة سفيها، سفيها بصفاته، لقلت أن يفعل ما فعلته وأنا أتحدث عن زميل هو يورشالمي، بينما أتحدث عن ذاتي). فرويد يعرف بنفسه، لذلك يقول «هأنذا»:

»der Arzt aber, dem sish dies ereignet, War ich selbst«...

«الحال أن الطبيب وذلك يحصل له، وهو كان أنا.. » ولا يتأخر في استخلاص خاتمة: ومكانته لا تسمح أن يرفض الأركيولوجي هانولد **الإمكانية السريرية**، لهذيان عابر، إنما أيضا، الحق بهلوسة خفية، حالما يعلن شبه الطيف عن ظهوره، هذا يعني أن له الحق في تبيان حقيقة ما (حقيقة شبه طيفية، وطيفية جزئيا)، في شخص على شكل «شبح حقيقي» **النوع، المظهر، الطيف**، l'espe'ce, l'aspect, le spectre[2]، وهذا ماله علاقة مع الحقيقة، وهذا ما يمكن تأمله من خلال حقيقة هذه

---

(1) هذا ما يورده فرويد حرفيا في تعليقه على غراديفا ـ ص(177 ـ 187). وبعد حديثه عن دور الأشباح وسواها في المعتقدات والأديان. فالطبيب معروف من لدن فرويد.
وهو الذي تعرف على الفتاتين الأختين بوصفهما مريضتين مصابتين بداء ازدوف (السلعة).
وهو مرض له طابع عائلي.. وهو لم يذكر ذلك إلا ليشخص حالة هانولد لاحقا. ويبدو أن دريدا يريد لفت نظرنا إلى صعوبة تناول ظاهرة، أو مسألة تتعالق مع سواها، أو تبدو لنا للوهلة الأولى جلية بابعادها.. وهنا يظهر الأرشيف الذي يدون أو يقدم شيئا، حيث يعرف به عرضيا أو من جهة واحدة!

(2) هذا ما يذكره فرويد في النص المذكور ص (178).

الحقيقة. في الواقع يورشالمي على حق. لقد عرف كيف يساهم في بناء الحقيقة. فرويد كان له أطيافه، إنه يعترف بذلك في استعراضه l'eoccasion. وهو يشاركنا في حقيقته. كان له أطيافه، حيث يطيعها (يعقوب شيلومه، سيغموند شيلومه، موساه وآرون) وأنا (يعقوب، حاييم، وأجدادي موسى وابراهيم وآخرون..)[1].

خطاب فرويد حول الأرشيف، وتلك هي أطروحة الأطروحات، يبدو اذا منقسما، كتصوره عن الأرشيف. يتخذ شكلين متناقضين. لهذا السبب نقول، وهذا التصريح يمكنه دائما أن يكون أمنية هي **سوء الأرشيف**. بهذا التناقض ثمة امكانية اكتشاف آثار في كل أعمال فرويد تناقض كهذا ليس سلبيا. إنه يثبت ويشترط على التكوين ذاته لتصور الأرشيف والتصور عامة. حيث يجسدان التناقض.

إذا كان فرويد قد عانى من سوء الأرشيف، إذا كان وضعه يظهر اضطرابا في الأرشيف، فلا يوجد شيء في ذات الوقت في السوء. وفي اضطراب الأرشيف، الذي نعيشه اليوم، والمقصود هنا أعراضه الأكثر خفة أو التراجيديات الكبرى الهولوكوستية لتاريخنا[2]، مثلما لأعمالنا التاريخية

---

(1) الظاهرة الأطيافية، كما يلاحظ هنا، تتجاوز مجرد الوسواس أو الهذيان، أو الحالة العصابية المرضية، إذ إنها تمثل وضعا ثقافيا معاشا، وفي الآن عينه وضعا ثقافيا منشودا، يرام تحقيقه. فإذ يمنح الأطيافية هذه الجينالوجيا حرارة البنوة وفخامة الانتماء، يكون قد نزع عنها صفة الحنين كحالة سيكولوجية وحيدة الجانب. وبوتقها يهوديا في الصميم. إن خطابه يتمحور حول ما كان وما يكون وما يجب أن يكون لاحقا. ثمة انغراس في زمن مفتوح على أبعاده. وبذلك يكون الأرشيف ما يعنيه هو نفسه.

(2) هنا علينا أن ندقق فيما يركز عليه فرويد، وفيما يطالب به دريدا. صحيح أن الهولوكوست حقيقة تاريخية، ولكنها لا تجرد من حيثياتها التاريخية، لا تفسر ميتافيزيقيا ومن باب الفرادة التاريخية: ربط الهولوكوست بأسطورة شعب متفرد تاريخيا. ولنورد ما قاله فرويد في (موسى والتوحيد)، ويبدو أن ذلك أثر في دريدا (فنحن نعلم أن الشعب اليهودي ربما

الراهنة لكل المراجعيات المكروهة، مثلما لكتابات التاريخ الأكثر مشروعية. والأكثر ضرورية وجرأة قبل تجميع وتقييد الطلب الفرويدي المضاعف في موضوع الأرشيف، أريد أن أبرر العبارات الفرنسية التي استخدمتها.

اضطراب الأرشيف وسوء الأرشيف.

لا شيء أقل تأكيدا، لا شيء أقل وضوحا اليوم من كلمة الأرشيف[1]، وليس فقط بسبب نظامي الأرخيه اللذين نميزهما عند البدء بهما. لا شيء أكثر اضطرابا وأكثر اقلاقا. اضطراب ما يقلق هنا. هو بلا شك ما يقلق ويؤذي النظر، وهذا ما يمنع رؤيته ومعرفته، إنما أيضا اضطراب الأسرار والمؤامرات، التخفية، الدسائس تصف المحظورة وتصف المحظورة وتصف العلنية، دوما على حد غير مستقر بين العام والخاص، بين الأسرة، والمجتمع والدولة. بين الأسرة وألفة أيضا أكثر حظرا العائلة، بين الذات

كان على الأرجح الشعب الوحيد، دون سائر الشعوب القديمة التي عاشت في حوض البحر الأبيض المتوسط، الذي حافظ على اسمه، وربما أيضا على طبيعته. ولقد قاوم بعناد منقطع النظير المصائب كافة والاضطهادات قاطبة، وجر على نفسه، بحكم ما أبداه من سمات طبيعية خصوصية، البغضاء والكراهية من قبل سائر الشعوب قاطبة ... الخ ـ ص145).
هذا التقريظ الاثني يتجاوز التاريخي، إنه يحيل العلاقة التاريخية إلى علاقة روحانية صرف تعزز من حقيقة الميثولوجي والمعتقدي، وتفضيل الديني المحدد (اليهودية كمذهب وقومية)، في الوقت الذي يفصح عن عصابية الديني!

(1) عدم وضوح الأرشيف منوط بقائمة التوكيدات التي يلح عليها دريدا. سوء الأرشيف يكمن هنا. ثمة وضع تعارضي بين المرغوب فيه والمرفوض في الأرشيف. كون ما يقرأ ويقدم ويعمل به لا يشكل جوهر المطلوب. لذلك يمعن المؤلف في نزع كل وضوح متجل عن الأرشيف، لأن رهانة يخص أرشيفا مغيبا، أرشيفا يتوضع بين حدين يثيران تواترا، حد التاريخ الذي يقدم (شعبه) باعتباره الشعب المصطفى، وحد الدين الذي يعلو على سواه.

والذات[1]. الاضطراب أو ما نسميه بالانكليزية Troublen، اضطراب الآراء وفي هذه القضايا، اسميها إذا وفق مصطلح فرنسي ما زال متعذرا على الترجمة، للتذكير على الأقل بأن الأرشيف يتضمن دوما مشكلة الترجمة. فرادة استثنائية لوثيقة يراد تفسيرها، تكرارها، صياغتها مجددا، إنما في كل مرة، في وحدتها الأصلية. الأرشيف عليه أن يكون اصطلاحا، وإذا في الوقت نفسه ممنوحا ومخفيا عن الترجمة. مفتوحا ومتملصا عن التكرار، وعن قابلية الصياغة التقنية مجددا لا شيء أكثر اضطرابا واقلاقا اليوم من التصور المؤرشف في هذه الكلمة، كلمة الأرشيف[2]، ما هو الأكثر احتمالا، بالعكس، والأكثر وضوحا، هو أن التحليلنفسي لايندرج في حيز هذا الاضطراب، وأنه يريد تحليله. لكن يضاعفه أيضا. عند تسميته هنا بالتحليلنفسي نحيل في كل حال، إلى الأرشيف المصنف، على الأقل مؤقتا، تحت اسم «التحليلنفسي» اسم «فرويد» وسواه. بمعنى آخر، إذا كنا لم نعد نعرف جيدا ما نقوله عندما نقول «أرشيف» «فرويد» لا شيء عنده بلا مقابل دون شك. لكن اسم فرويد، واسم «الفرويديين»، رأينا ذلك بما فيه الكفاية، يصبح في حد ذاته جمعا، وإذا شكليا.

---

(1) إن الاكثار من حالات السلب، أو قائمة التهم المتعددة، يراد به توكيد الارشيف الذي يحظر فتح ملفه. هو حظر يلامس مالا يفكر فيه، ويؤدي بتدشين مستقبل مغاير لكل مستقبل يعمل من أجله مستقبل هو معلوم بالسر في صياغته الدريدية.

(2) كلما أمعن دريدا في استجلاء نواقص وحالات الخلل في الأرشيف، ولهذا يبرز الاضطراب والقلق فيه، كلما رام حضورا لما يقلق من أجله. إن أرشيفه المتلبس معرفيا يساوم به على ما هو آت، على سر موعود به. أرشيف يعتبر مموها ومشوها، ولكنه في الآن عينه يتجلى جليا. وما يثيره دريدا من قضايا وتساؤلات تاريخية واجتماعية ومعتقدية يمس هذا الجانب هو أرشيف (على الدور — إن جاز التعبير —)، ولهذا يزداد دريدا الحاحا بضرورة فتح المجال أمام الهامش الجاري تصميته، ليمارس حضوره.

اضطراب الأرشيف يحيل إلى سوء الأرشيف[1]. نحن نتعلق به. عند سماع المصطلح الفرنسي، واسناده «عبارة التعليق به»، أي التعلق بالأرشيف يمكنه أن يشير إلى شيء آخر غير مكابدة ألم ما، واضطراب ما أو ما يمكن أن يسميه اسم «السوء». وهذا يعني الاشتعال من ولع cest brûler d'une passion. ويعني عدم التوقف، بصورة لا متناهية، في البحث عن الأرشيف هناك حيث يختفي. ويعني الركض في أثره هناك حيث، حتى لو كان كثير منه، شيء، في داخله يتأرشف فوضويا. ويعني الانتقال نحوه برغبة قسرية، وتكرارية، وحنينية، رغبة لا تقهر، لعودة إلى الأصول، قلق الأمكنة، حنين في العودة إلى المكان الأكثر قدما لبداية مطلقة[2]. أي رغبة، أي هوى، أي اندفاع، أي اكراه، وحتى أي قسر تكراري، واي «هم» لا ينبثق ذلك بطريقة أو بأخرى، لا يتصل بسوء الأرشيف. والحال أن مبدأ التقسيم الداخلي للحركة الفرويدية. وإذا

---

(1) كل اضطراب هو حالة تفكك، هو إنباء عن خلل يؤدي إلى تصدعات داخل ما يخصه. سوء أرشيفه هو سوء ما يمنع صوته من الحضور، وكل الذين تحدث باسمهم يؤكدون ذلك (فرويد أو يورشالمي، وغيرهما..).

(2) هذا الحنين المتحدث عنه هو انبعاث لذاكرة ماضية لا ينطفئ أوارها، لتاريخ مؤرشف في ذاكرة جمعية. ضمنا، الأرشيف معاينة للاركيولوجيا، للمكان المزعوم والموسوم، للأرض التي أقيم عليها، والأمكنة التي شغلت. هو المكان الأقدم، فإذا هو الأعرق، فإذا هو الأكثر احتفاظا بالسر، وبالقدسي، كونه البداية الحية لما اختلف عليه، ويتخاصم باسمه. إنه رجوع إلى زمكان يشهد على حضور في التاريخ، على ذاكرة هي التي مهدت للأديان لاحقا، وشهدت على أحداث ووقائع. هذا ما يفصح عنه منطق دريدا يهوديا! هنا ثمة تبرير لكل قلق، لكل وسواس، لكل هذيان، أو لكل حالة عصابية يتعرض لها شعبه، لأنه يعيش حقيقته التي يمنع من الافصاح عنها، ومن التحدث باسمها، ومن تمثيلها. هذا ما يجري في الواقع، في المدونات اليومية. فرويد يعزز هذا الشعور عنده، يورشالمي من بعده، وانطلاقا من فرويد. هو الذي يندفع للتشديد على ضرورة ما يقوله.

التصـــور الفرويـــدي للأرشـــيف، أي أن اللحظـــة حيـــث فيـــها يقعـــد التحليلنفسي شروط سوء الحفظ والأرشيف نفسه يكرر ذلك ما يمكن مقاومتـه أو يصنـع مادتـه. ويزايـد. تلـك هـــي الأطروحـات الثـلاث في الأغلـب، (أو الرمامـات إذا)، ثـلاث منـها تـتركز علـى تصـور الأرشـيف وأخرى على تصور التصور.

1 - الأطروحة الأولى والمرافعة الأولى:

من جهة، في الواقع، ومن خلال التصور الأول، والقطعي لموقعية الجهاز النفسـي (وبالتـالي للكبت أو القمـع) بموجـب حيـوزات الكتابـة، وفي الداخـل والخـارج) جعـل فرويـد فكـر الأرشيف ممكنـا، فكـر أرشيف مسـتدعى أمـر تقنيا، للركيزة للمسند المادي أو الافتراضي)، والذي، ضمن ما يشكل **فسحة** نفسـية، لا يقتصـر علـى الذاكـرة: ولا علـى الذاكـرة كحافظـة واعيـة، ولا علـى الذاكرة بوصفـها استذكارا، بوصفها فعل تذكـر مستعاد Comme acte de ressouvenir، والأرشـيف النفسـي لا يحيـل إلـى mnémn ولا إلـى anmnésis [1]، لكـن مـن جهـة أخـرى، حـاولت إظـهار ذلـك في كتـاب فرويـد ومشـهد الكتابة[2]، ذلـك لا يمنـع فرويـدا، في الميتافيزيقيـا الكلاسـيكية، تنـاول الرمامـة النقابيـة بالنسبة لخارجانية ثانويـة ومتصـاعدة بـالرغم مـن اللجـوء إلـى مـا يعتبره نموذج تمثل مسـاعد، فإنـه يسـتبقي باسـتمرار علـى أوليـة الذاكـرة النشطة والاضطرابات الصحية في تزمينها الأصلي. من هنا جاءت المرافعة

---

(1) بين الـ mnéme الذاكرة، والـ anamnésis الجدل الاستعادي، حيث يسترجع الماضي بغية نسيانه لاحقا، لحالة نفسية، علاقة جلية. ذاكرة تستعيد لتذكر، وأخرى تستعيد لتنســـى، لأن ثمة هدفا ما هنا. دريدا يذكر من ناحية ما يجب العمل به (ذاكرة). ويذكر بغية استبعاده لأنه لا يصلح للعمل به، فهو في عداد سوء الأرشيف. أرشيفه يوظف الأرشيف لـسيرمم ذاكـرة: ذاكرته التي يؤكد عليها.

(2) وهو يشكل فصلا طويلا في كتاب دريدا (الكتابة والاختلاف).

الأركيولوجية التي من خلالها يحاول التحليلنفسي، في سوء أرشيفه، دائما العودة إلى الأصلي الحي لذلك حتى لو أن الأرشيف يضيع وهو يتحفظ عليه في تعددية الأمكنة، يوجد هنا، توقفنا بالإشارة إليه هنا، توتر مستمر بين الأرشيف والأكيولوجيا[1]. إنما سيكونان متجاورين دائما، متماثلين، بالكاد يمكن تمييزهما. في تضمينهما المشترك، ومع ذلك فهما متخالفان جذريا، متباينان، أي أنهما آخران فيما يخص **أصلا ومتناقضان بخصوص الأرخيه**. والحالة أن فرويد حاول باستمرار أن يحيل الاهتمام الأصلي الذي كان بيديه للأرشيف النفسي إلى الأركيولوجي (كلمة «أرشيف» تتجلى من جهة أخرى منذ ظهور دراسات حول الهستيريا عام 1895)[*]. إن مشهد الحفر، ومسرح التنقيبات الأركيولوجية، تلك هي الأمكنة المفضلة بالنسبة للأخ هانولد هذا[2].

في كل حين، يريد أن يعلم توبولوجيا الأرشيفات، أي ما يجب إبعاده، أو منع العودة إلى الأصلي، هذا العشق للأشكال الحجرية يثير ألغازا حفرية.

---

(1) هل دريدا يتحدث عن أصالة الأركيولوجيا عن مصداقيتها، وعراقتها كلما تقدم بها الزمن، وعن البعد المستجد والمختل في كلمة الأرشيف؟ هل الأرشيف نسخة مشوهة عن الأركيولوجيا؟ دريدا لا يعترف بالأرشيف لأنه يتقدم بوصفه بديلا عن الاركيولوجيا، الأرشيف مرفوض لأنه يلغي الحقيقة الكامنة في الأركيولوجيا. فهذه تختزن الحقيقة في ذاتها، شاهدة على ما كان في زمكان معين. ولهذا فإن التوتر يقوم بين موقفين ليسا متعارضين أو مختلفين، بل بين موقف يلغي حقانية الآخر، ويستبد به، ويحل محله، أي الأرشيف. بينما الأركيولوجيا تطالب بصوتها، بما تمثله وتعنيه وتكونه، وهو مغتصب. كأن الخيال والحقيقة يحضران هنا بالفعل.

(*) مثلما ذكرني ذاتي نوبوس، بعد المحاضرة، وأشكره على ذلك، نفس الكلمة تظهر أيضا في **zum psychischen mechanimus des vergesslickeit (1898).**

(2) هانولد الأركيولوجي يريد أن يتأكد من حقيقة الصورة، من مصدرها وما تكونه. فرؤيته للمرأة الجميلة المنحوتة، ولتلك التي رآها في حلمها، حيث سماها غراديفا: أي تلك التي تتقدم خلطت في ذهنه بين الوهمي والحقيقي. ولأنه آثاري ها هو يصعد بموضوعه، يعاين الأمكنة التي بوسعها دعم فكرته عما جرى كان يريد أن يتابع ما تعرض له حتى آخره.

نعرف منها ما هو أكثر تأثيرا وأكثر جدة فيما بينها عند دراسة حول الهستيريا عام 1896 يجب الإشارة فيها إلى بعض الكلمات للتعبير عن اللحظة بنظر هي الأكثر نفاذا la plus aigu لحظة وليس إجراء، هذه اللحظة لا تنتمي إلى التحليل الجدي للأرشيف. إنها اللحظة شبه جذابة تلك التي يحلم بها فرويد، عندما النجاح ذاته لبحث يجب أن يميز مغامرة الوثائقي الأصل إذا يتحدث عن نفسه. الأرخيه يبدو مكشوفا، دون أرشيف. يعرف بنفسه ويعلق على نفسه بذاته، «الحجارة تتكلم»[1]. في الوقت الحاضر، الاضطراب الصحي دون اضطراب صحي مفرط! الأركيولوجي إذا نجح، في الاستنتاج بأن الأرشيف لم يعد يفيد في شيء. **يبلغ الانمحاء**، يغدو شفافا أو ملحقا لكي يجعل الأصل معرفا بنفسه شخصيا[2].

مباشرة، دون وساطة، ودون تأخر وحتى دون ذاكرة ترجمة، حين ينجح العمل المكثف للترجمة. وهنا يكمن «التطور» تطور «اضطرابات صحية» في الوقت الذي يكرس فرويد في هذه الرحلة الطويلة وسط حقل من الحفريات. يقول أيضا، شيئا ما يتصل بالمتعة، يريدها أن تكون لا نهائية، يغوص فيها بحجة تربوية أو بلاغية: «لكن علاقة المنهج الذي استخدم هنا مع المنهج الأكثر قدما للتحري المتصل بالاضطرابات الصحية. أو أن أقدمه إليكم ملتبسا une parabole هذا الالتباس حيث محتواه تقدم منجز في مجال آخر من العمل».

---

(1) Les pierres paralent. كان ذلك انطباع هانولد عندما لمحها. حيث لم تكن مجرد حجارة، وقد ردت عليه، وطالعته في أن يتكلم الألمانية إذا أراد فهما (ص49). وهو في حال ذهول.

(2) كان هانولد على وعي تام أن حبه للمنحوتة الممثلة للمرأة الرومانية الشابة لا يتجاوز حيز الاعجاب بجمالها، ومتعة الفن. فإذا بالكامن ماضيا يتجلى حقيقة معرفا بحقيقته. حيث نتذكر بجماليون، واشتهاء ما وراء الجمال!

فلتعترفوا Admettez، بأن باحثا في رحلة يصل إلى منطقة غير معروفة كثيرا حيث يثير فيها حقل من الخرائب مع بقايا الجدران وأجزاء من الأعمدة وألواح تحمل علامات كتابات مموهة وغير مقروءة اهتمامه (أي هذا الباحث «م»). يمكنه الاكتفاء بالنظر إلى ما هو خامد في وضح النهار[1]، ثم يساءل المقيمين، ربما يكونون أنصاف برابرة peutêtre a demi barbares، ساكتين في الأطراف، حول ما عرفهم التراث بالتاريخ ودلالات هذه الأوابد الباقية ces restes monumentaux. وما استودعوه من معلومات، واستمراره في رحلته. لكن يمكنه أيضا القيام. بشيء آخر، يستطيع أن يجلب معه معاول ورفوشا ومعازق، يمكنه أن يعين السكان المحليين للعمل مع أدواتهم، ويداهم معهم حقل الخرائب، وينظف الحصى، وانطلاقا من البقايا المرئية بغي اكتشافها خفية enseveli. إذا كان النجاح يتوج عمله، اللقى تفسر نفسها بنفسها، بقايا الجدران تنتمي إلى سور القصر والخزينة، انطلاقا من خرائب الأعمدة يكتمل معبد، والكتابات المكتشفة بكثرة، مزدوجة اللغة لحسن الحظ، يكتشف أبجدية ولغة وتحليل وترجمة تلك الكتابات، حيث تقدم معلومات موثقة حول أحداث العصور الأولى، المحفوظة في ذاكرة هؤلاء، وحيث شيدت هاتيك الصروح» (*) (1).

---

(1) لكن غير المتوقع برز من جديد أمام نوربر وبصورة مفلجنة، فعلى بعد خطوات خمس لا أكثر وفي الظل المحصور الذي لازالت تلقيه قطعة العتب الوحيدة المتبقية من أعمدة هذه الصالة، وبين عمودين صفراوين، وفوق احدى الدرجات المنخفضة. كانت ثمة هيئة نسائية تجلس، مرتدية ثيابا فاتحة الألوان ورافعة في تلك اللحظة رأسها قليلا. لقد أظهرت بحركتها هذه صفحة وجهها لنوربر الذي كان يتقدم دون أن يرى ولا ريب أن وقع أقدامه كشف وجوده في تلك اللحظة. وأيقظ فيه مرأى هذا الوجه شعورا مزدوجا، إذ بدت له غريبة ولكنها معروفة لديه في الوقت نفسه ومعاشة، وكما تخيلها تماما في السابق .. إن غراديفا مازالت تعيش حياتها الظاهرية في الظهيرة، في ساعة الأشباح، وها هي تجلس أمامه، كما رآها في الحلم جالسة على درجات معبد أبولو — ص48).

(*) «حول تيولوجيا الهستيريا» (189) الترجمة الفرنسية من قبل ج التوتيان، و:

2. الأطروحة الثانية والمرافعة الثانية:

من جهة، بات الأرشيف ممكنا عبر غريزة الموت، والعدوان والهدم، أي من خلال الخاتمة، ومن خلال النزعة الأصلية. لكن ما وراء الخاتمة كحد comme limite، لنقل عموما، توجد هذه الحركة اللا نهائية المتصلة بالهدم الجذري[2] والذي بدونه لا تتجلي أي رغبة أو سوء الأرشيف. كل النصوص العائلية، ونصوص العصر لما وراء **مبدأ اللذة**[3] تشرح في الواقع سبب وجود الأرشيف وسبب الهدم المتصل بالأرشيف الفوضوي، تنتمي إلى صيرورة الأرشفة، وتنتج ذلك حتى لو أنها تتراجع، وتتحول أحيانا إلى رماد، وما وراء ذلك. لكن من جهة أخرى، وفي اللحظة نفسها، في الميتافيزيقيا الكلاسية، والتنوير الوضعاني، بمعرفة نقد يعود لعصر مضى، و«ملقن» شولار لا يريد

---

1 . بورجينيون. في: الأعمال الكاملة تحت إشراف ج. لابلانس: T.III, PUF – ص.15. (حيث أشرت في ذلك) أبعد من ذلك، اللغز يصبح مقارنة مع سجل حقل من خرائب متتالية «de ruines stratifie's (ص157).

(1) هانولد ليس مجرد عاشق الحجر وما يتضمنه في كل تكويناته. القراءات، والنقوش، والأشكال والألوان.. الخ تلفت نظره ولكن ما ظهر هو مفاجأة صدمته.. إن الماضي يؤثر ويعلم ويوجه بالمقابل المختص أو يحرف مساره عندما تستحوذ على ذهنه فكرة ما. صحيح أن اللقى تقود الآثاري باتجاه فكرة تتحكم به، إلا أنها تمارس بالمقابل تأثيراتها من خلال موتيفات معينة، تغدو العامل الأكثر تأثيرا في النفسي، كما هي الحالة بخصوص غراديفيا الاسم، والدلالة المشعة بأكثر من معنى!

(2) ما يقوم دريدا هنا هو متابعة لما قام به فرويد، الذي تابع بدوره ما قام به هانولد الذي يعتبر في حقيقة أمره شخصية متخيلة، مختلقة من قبل جنسن. ولكن علينا ألا تنخدعن بالشخصية المتخيلة باعتبارها فنية. إنما لابد من استقراء أبعادها فهي تستقرئ لا شعور جنسن وفرويد ودريدا بالذات. إذ ثمة رغبة تحفر عما وراء الطيات لإعمال النظر فيما تنطلق منه الرغبة هذه، خصوصا وأنها لصيقة بالعمل الأثير للآثاري، وبامكانية وجود حقل من التشابهات للوصول إلى حقائق تبقى معلقة، بخصوص علاقة الماضي بالحاضر، والحاضر بالماضين وكيف يكون التأثر بينهما.

(3) إنه يذكرنا بكتابة السالف الذكر: ما وراء مبدأ اللذة. وما للأرشيف من دور في بلورته.

التحدث إلى الأشباح[1]، يزعم فرويد بعدم الاعتقاد بالموت خصوصا بالوجود الافتراضي للحيز الطيفي إلا ويأخذه بعين الاعتبار. يأخذه في الحسبان، بغية تناوله بعين الاعتبار، وينهم به لا للأخذ بالحسبان، أو للانشغال به عقليا إلا لتقصيره على شيء واحد سواه. أي شيء آخر غيره. يريد أن يشرح ويختزل الاعتقاد في الشبح، يريد التفكير بجزء من حقيقة هذا الاعتقاد، لكنه يعتقد بأنه لا يمكنه الاعتقاد، وينبغي عدم الاعتقاد به. الاعتقاد به الظاهرة الجذرية للاعتقاد، الصلة الوحيدة الممكنة بالآخر بوصفه آخر، ليس له أخيرا أي مكان ممكن. وأي حالة يتعذر تبسيطها في التحليلنفسي الفرويدي. مع ذلك ما الذي يمكن أن يجعله ممكنا. من هنا تأتي المرافعة الأركيولوجية مباشرة. تربة أكثر عمقا وأكثر أهمية، من تربة الاركيولوجي هانولد[2] وأكثر أركيولوجية أيضا، والمفارقة تتخذ شكلا مدركا ومهلوسا، بصورة خاصة، في اللحظة التي يجد فرويد نفسه مضطرا لجعل الأشباح تتحدث خلال وقت الحفريات الأركيولوجية[3]، إنما ينتهي بطرد الأشباح في اللحظة التي يقول أخيرا بأن العمل منجز (المفترض على كل حال) «الحجارة تتكلم» يعتقد بأنه طرد الأشباح في اللحظة التي يجعلها تتكلم بشرط أن تتكلم هذه الأطياف، يعتقد،

---

(1) باستمرار يسعى فرويد إلى معالجة الداء بالداء نفسه. فهو في تناوله لشخصية هانولد، حيث يعتبرها مرضية (حلم هانولد هو حلم الحصر النفسي ومضمونه مرعب ـ ص164) «إنه يحاصره بالهذيان الذي يؤطره به. وهو بذلك يلغي ما يتأرشف به (ما هو ظاهري) يعود إلى الماضي القابع في الذاكرة، إلى استقراء هانولد من الداخل، إلى استقراء مالم يدركه، حيث يلامس فيه الأرشيف الفعلي: الأركيولوجيا الحقيقية. ودريدا يمعن في مطاردة الأثر، في القبض على الطيف ومواجهة الشخصية به بغية استشراف ما يجلوه، وما يستبطنه، ويتوضح به كحقيقة!

(2) ثمة تربة أركيولوجية يغفل عنها هانولد، هي التي تعرف بمعاناته، بحرمانه من الأنثى، وهي التي تؤثر فيه دون ادراك منه إلا لاحقا!

(3) فرويد يمارس مقاضاة لهانولد الشخصية المختلقة، وجنسن بالذات، ويربح هو بوضع اليد على الجرح. ودريدا يكسب بالتالي في تفكيك المستغلق، ومقاومة المغيب في الموضوع.

المتصور، كيف أن الحجارة ولا شيء إلا تلك Comme des pierres, rien que sa.

3 ـ الأطروحة الثالثة والمرافعة الثالثة

من جهة، لا أحد أفضل من فرويد، أوضح ما سميناه المبدأ القضائي للأرشيف. هذا ما يفترض ليس الأرخية الأصلي، إنما الأرخية الاسماني، للقانون، للمؤسسة، وللإقامة، وللنسب[1] ولا أحد أفضل منه حلل، أي فكك أيضا سلطة المبدأ القضائي. ولا أحد أفضل منه أظهر كيف أن هذا المبدأ القضائي، أي الأبوي والبطريركي لم يطرح نفسه إلا لكي يتكرر، ولم يعد لكي يستقر إلا في قتل الأب، وهو يعود بقتل الأب المكبوت أو المقموع، في اسم الأب بوصفه أبا فانيا. القضائية، أي الاستيلاء على سلطة الأرشيف، من قبل الأخوة، مساواة وحرية الأخوة. فكرة ما. مازالت حية عن الديمقراطية.

لكن من **جهة أخرى**، في الحياة ، كما في المؤلفات وفي أطروحاته النظرية، كما في مراجعة استراتيجيته المأسسة، كفرويد المنطق الأبوي،

(1) ما خفي كان أعظم. تلكم هي مقولة فرويد في توكيد وجهة نظره بخصوص ما ينبغي معالجته ومساءلته. إنه يرتد بالموضوع حيث يبحث فيه عن بداياته ومن ثم يعاين غموضه المتشكل، أبعاده التي تنجذر فيه وتكونه. ثمة جينالوجيا لموضوعه لا تتوقف عند حدود الانطباع الأول: الظاهري. إنها تتجاوزه الأرخيه الذي يكون المفتاح وحالة البراءة هو الشاهد على ما ألحق به وما أدغم اكراها أو تنسيبا. انطلاقا من قانونه الذي يرتبط به، بوسعنا مشاهدة حركيته من الداخل. ثمة دائما ما يجري إبعاده، وزحزحته أو طيه كليا في تعيين مفهوم ما، ذلكم ما ينبغي اشهاره، تسميته، وهنا تكون بلاغة الأركيولوجيا. بحيث يصل الخلف بالسلف. دريدا يمارس حركة ارتدادية افصاحا عن خطأ معرفي جسيم ـ كما يظهر ـ يحجب ما ينبغي العمل به. خارج الأرشيف الذي أسيء استعماله، كما أسيء تركيبه وارخنته، ويرشح لما يقف عنده ويركز عليه اركيولوجيا!

أوضـح في بحثـه رجـل الفـئران[1] بـالأخص، بـأن الحـق البطريركـي (Vaterrecht)، كان يشير إلى التقدم المتنامي للعقل. لقد أضاف إليه، في المرافعة البطريركية، هنا حيث كل ورثته، من المحللين النفسيين في كل البلدان، اتحدوا كرجل واحد، أن يسأل فيما إذا كان أبناؤه بعد موته، تمكنوا من التحدث باسمهم الخاص. وإذا كانت ابنته على قيد الحياة دائما (Zo é)[2]. شيء آخر ما عدا الوهم أو الطيف، غراديفا تعود مجددا، غراديفا Zoé-Bertgang [3] المقطع التاسع عشر من Berggasse

ما بعد الكتابة post - Scriptum

محظوظا par chance، كتبت هذه الكلمات الأخيرة على حافة فيزوف، بالقرب من بومبي، خلال أقل من ثمانية أيام، بما أنني في كل مرة كنت أعود إلى نابولي منذ أكثر من عشرين عاما، أفكر فيها[4].

---

(1) يذكر هنا: remarqes sur un cas de névrose obsessionnelle l'homme aux rats (ملاحظات حول حالة في العصاب الهجاسي: رجل الفئران) في كتاب: خمس حالات في التحليل النفسي المترجم إلى العربية..

(2) أي على قيد الحياة ــ باليونانية ــ هنا وهذه الكلمة يونانية، انطلاقا من فاعلية الاركيولوجيا اليونانية بالذات.

(3) وكما يهتف هانولد في نهاية الرواية ليطابق ما بين ما كان يتخيله، وما جرى له وعبر شخصية «زوي» تماما، الدالة على الحياة.

(4) يدخل دريدا في حالة تداخل نصية ووجدانية مع نص جنسن. ثمة مكان يتحدث عن ماض، ما بعد الكتابة، جملة تشي بتصورات خاصة بنتائج الكتابة. جملة هاجس الاركيولوجيا، هوس المكان (إن جاز التعبير) .

أن يكون قريبا من فيزوف، وفي بومبي، ولفترة زمنية، كل ذلك لمعايشة أحداث جرت، وكتابة تمت من جهتين: من جهة جنسن، ومن جهة فرويد، حيث المكان والمكان المتخيل يجمعان فيما بينهم. دريدا مأخوذ بسطوة المكان، بحميا الحدث، هل لأنه ينشغل بحرارة الدخان والماضي الذي يستثيره، فيسعى إلى اطلاق كلمته الأخيرة هنا، التعبير عن خاتمة ممكنة؟

من يقول هذه المرة، من هو أفضل من غراديفا، غراديفا جنسن وفرويد، من يستطيع أن يوضح هذه المرافعة في سوء الأرشيف؟ توضيحه هنا حيث لم يعد مقتصرا على فرويد وبهذا التصور للأرشيف، هنا حيث يشير ببنيته نفسها (قد تكون هذه الأطروحة الإضافية الأخيرة) إلى تكوين كل التصور وتاريخ المفهوم نفسه؟

عندما أراد شرح وسواس الأركيولوجي عن منطق الكبت في اللحظة نفسها حيث أوضح أنه يريد أن يتعرف على بذرة وجزء عن الحقيقة، فرويد ما زال يزعم في توضيحه بوجود أصل أكثر أصالة من أصالة الطيف، وفي المرافعة يريد أن يكون وثائقيا، وأركيولوجيا أكثر من الأركيولوجي، وبالتأكيد، أكثر قربا من العلة النهائية، أفضل مبحثي[1] e'tiologue من أن يكون روائيا. يريد أن يخلق انطباعا، ويريد أن يظهر بصمة[2] حيث ينشغل بها الأركيولوجيون الآخرون، بشكل تشكيلاتهم de tout sarte. وهؤلاء المنشغلون بالأدب والعلوم الوضعية الكلاسية، بصمة فرويد في كل مرة، انطباع لم يعد أرشيفا تقريبا إنما يختلط تقريبا مع وطأة الخطوة التي تخلف أثرا فيه أيضا على ركيزة[3]، وعلى سطح، ومكان أصلي، عندما تتقدم الخطوة قرينتها، بوساطة مسند، في اللحظة التي لا

---

(1) هنا يتم الرهان على فرويد، لأنه أكثر قربا لأكثر من سبب من جنسن على الأقل لأن فرويدا يتحدث بلغته، هي لغة تنشغل بما هو نفسي، وليس بلغة الترميز الأدبية، ويمارس سطوته على الآخر. فكل رواية هي مشروع مريض يتلقى علاجا هنا، أو يتعامل معه بوصفه يتطلب تشريحا!

(2) البصمة هي ذاتها انطباع، هي أثر يلفت نظر الأركيولوجي، بصمة تعطي قيمة للأركيولوجيا، كونها توجه مسارها دلاليا.

(3) لنقرأ: (فدون أن يفهم هو نفسه دافعه الداخلي، سافر إلى إيطاليا وقطعها متجاوزا روما ونابولي حتى وصل إلى بومبي، ليرى إن كان بمقدوره أن يجد هنا أثرا لغراديفا. وهذا يعني بالمعنى، خطوتها الفريدة جدا التي لا بد أنها تركت على الرماد بصمة ما تتميز عن جميع آثار الخطوات الأخرى، بصمة قد نرى فيها ضغط أصابع قدمها ـ ص42).

يكون الأرشيف المطبوع منفصلا عن الطباع الأولى في أصلها المميز، والنادر والقديم. في اللحظة التي لا تترك البصمة ويتخلى عنها عبر ثقل الطباع. لحظة المودة الذاتية المحض L'auto - affection pure في اللا تمييز بين الفعل الإيجابي والسلبي، بين اللامس والملموس.

أرشيف ما قد يختلط هكذا مع الأرخيه، مع الأصل إذ أنه مع ذلك ليس إلا النموذج، الرسالة أو الطابع القابل للتكرار. أرشيف للأرشيف، حيث فجأة، لا يمكن فصله عن طباعة البصمة، خطوة غراديفا تتحدث عن ذاتها[1]! وهذا بالضبط ما أن هانولد يحلم به. في رغبته كأركيولوجي فاشل 'De'senchante هانولد يعاني من سوء الأرشيف، لقد أنهك علم الأركيولوجي، الرواية تقول بأنه أمضى استاذا في فن تفكيك النقوش الأثرية الأكثر غموضا والأكثر طلسمة les plus inde'chiffrables, les plus e'nigmatiques (in der Entzifferung schwer enträtselbarer graffiti).

إنما كان مقتدرا في علمه وكفاءته[2] رغبته المتلهفة كانت تتمرد ضد يقينيته، مثلما اتجاه الموت[3]. هذا العلم نفسه كان قد مضى ما كان يعلمه،

---

(1) ثمة تركيز على غراديفا، على المرأة التي تعلق بها، على الأثر المتعلق بسائر آخر. أثر الخطر على البلاط الذي هو أثر آخر لماض كان ولكنه لم يندثر، بل بعث حيا في ذاكرته، ومن ثم أمام ناظريه. ولهذا كان متمايزا (فغالبية النساء تترك باطن القدم تنزلق على الأرض تقريبا، ومن بينهن قلة برفعتها مائلة في وضع أكثر رشاقة. بيد أنه لم يكن لواحدة منهن مشية غراديفا، الأمر الذي ملأه رضى فهو لم يخطئ إذن في تفحصه للمنحوتة، من وجهة النظر الأثرية ص13).

(2) كان ذلك اهتمامه وتمايزه. ولهذا كان يدقق في التفاوتات، وفيما أثار اهتمامه.

(3) ثمة مقارنة بين مالا يصدق، ولكنه نتاج رغبة، لابد أنها تخص مكبوتا، وهو مكبوت لا ينفصل عن حالة نفسية مؤجلة، هي أنه ارتبط بالماضي، وأهمل ما كان يعتقد أنه ممكن

يدعـي، عبـارة عـن حـدس أركيولوجـي دون حيـاة (eine leblose archäologische Anshauung) وفي اللحظـة التـي تعـود بومبـاي إلـى الحيـاة وعندما ينبعث الموتى (die toten Wachten auf, und pompeji fingoan, Wieder zu leben)

يدرك هـانولد كل شـيء. يـدرك لمـاذا قطـع رومـا ونـابولي، يبـدأ في معرفة (Wissen) ما إن يجهله حينئذ، أي «غريزته» أو «اندفاعه المعتاد». وهذه المعرفة وهذا الفهم، وهذا التفكيك للرغبة الداخلية. للحل الذي قاده إلى بومبي.

كل ذلك يعود إليه في حقل الذاكرة (Erinnerung)[1]. يتذكر بأنـه جـاء ليرى فيما إذا كان بمقدوره اقتفاء الآثار، آثار خطى غراديفا[2].

(ob er hier spuren von ihr auffinden könne).

والحـال أن هـذا هـو توضيـح لـم نـأخذه بعـين الاعتبـار، لا في قـراءة جنسن، ولا في قـراءة فرويـد، وهـذا التوضيـح يخلـط بـدلا مـن أن يمـيز. هـانولد قدم باحثا عن الآثار بـالمعنى الحـرفي (im wortichen sinne) يحلـم بأن يبعث الحياة فيها مجددا، بـالأحرى يحلم بـأن يبعـث الحيـاة في نفسـه

الغاوِه، وهو الجانب الجنسي. الذي يشكل وضعا أركيولوجيا فعليا هنا. رغم أنه في يقينيته كان يرفض ذلك: عقليا كون الموت قد طوى موضوعه. لكن لمكبوت يفصح عن وجود بديل قرين ما كان تلبية للحاجة.

(1) تلعب الذاكرة دور الأرشيف هنا، ولعل هانولد محكوم بذاكرته، بأرشيفه، وثمة ما يتجاوز ما كان يعمل به. ودريدا يتحدث عن الوقائع التي تتجاوز تفكير الانسان، وتغير في تصوره للأشياء.

(2) ثمة ما يؤثر في تفكيرنا. بخصوص قضية ما أكثر من غيرها. وهذا ما يسجله جنسن على هانولد عن خطى غراديفا (وفي الحالن تكون لديه انطباع، بأن باطن احدى قدميها الصغيرتين، المتخلفة أثناء السير، كان ينتصب شاقوليا خلال هنيهة، بينما تمس رأسها وجه الأرض، هذا ما بدا له على الأقل ـ ص17).

إنما ليبعث الحياة في الآخر[1]. وأن يبعث الحياة مجددا في المحظور، أو الانطباع الاستثنائي لخطى غراديفا، الخطى نفسها، خطى غراديفا نفسها، في ذلك اليوم، هذه المرة، في هذا التاريخ الفريد من نوعه Inimitable، كان من الواجب تحركها دون إثارتها adû laisser dans la cendre يحلم بهذا المكان المتعذر تبديله. الأثر نفسه حيث البصمة الاستثنائية، بالكاد تتميز عن الطباع، فهو إذا شرط الفرادة، شرط المصطلح، والسر، والشهادة، إنه الشرط لوحدة الطابعة، المطبوعة، الطباعة والصمة[2]. والضغط وأثره، في اللحظة الوحيدة التي تتميز إحداها عن الأخرى. تشكلات في اللحظة نفسها، جسدا واحدا في خطوة غراديفا وسيرها ومسلكها (Gangart) والتربة التي تضمها. الأثر قد لا يعود مميزا عن ركيزته[3]. هذا الضغط وهذه البصمة لا يعودان يتميزان

---

(1) هانولد ينشغل بالأثر، وبما يلي الأثر، ثمة ما يقلقه ويستثيره كونه يعيش بين الكتب ويتمعن في الآثار والمنحوتات التي كانت عنصرا فعالا في إيقاظ ما كان تجاهلـه، وهـو خاصته الإنسانية، ما كان في أعماقه من مشاعر ودوافع عن الكائن الآخر: الأنثى. ثمة نقص فيه، لأنه إزاء معايشة الماضي فقط، الماضي هنا ينال منه، لا حقيقة للإنسان ما دام يتجرد من حاضره، من بعد من أبعاده، حيث يؤرشف لحقيقة بوصفها حقا، وهي ناقصة، يغدو الأرشيف سينا مشوها. هنا تتوزع الحقيقة لتشمل الأزمنة كلها. هذا ما يفصح عنه فرويد، ودريدا من بعده. نفس ها نولد تفتقر إلى ما تحتاجه (الحياة الحقيقية والأنثى) عند فرويد ثمة حالة مرضية، عند دريدا يختل مفهوم الأرشيف، والأركيولوجيا هي التي تقوم بدور المعالج، في إعادة التوازن!

(2) هذا التشديد في العلاقة بين الطباعة والبصمة يشي بأهمية المقارنة بين طباعة تتطلب دقة وتمعينا في مصداقية ما تتضمنه، وبصمة تشير إلى الأثر، وتنطق بمكنونه!

(3) خطى غراديفا أصبحت عنوانا عريضا لحالة، وحيزا لدراسة نفسية وثقافية وتاريخية، الأثر يفتح أفقا في العمق. فرويد يتولى تفسيره: (اهتمام عالم الآثار الشاب بالإقدام وبوضعيات قدم المرأة، لابد ان يبدو متهما بالتوله الجنسي ـ ص148) وكذلك أظهرت تقصياته عن الأقدام التي أجراها على السيدات والتقنيات، غلبة الغريزة الجنسية ـ ص172).

فيما بينهما. يختلفان مذ ذاك عن كل طباعة. وعن كل بصمة أخرى وعن كل أرشيف آخر. يجب إذا على الأقل اكتشاف هذه الدمغة (Abdruck) المميزة عن سواها. لكن ذلك يفترض الذاكرة والأرشيف، الواحد والآخر، مثل النفس، مباشرة وكالنفس، مباشرة المسند نفسه في حقل الأبحاث يجب إحياؤه حيث في مكان آمن تماما في مكان فريد. ينبعث دائما من بين الرماد. ولا ينفصل عنه ثقل الخطوة الفريدة من نوعها[1].

كخطوة غراديفا هذا ما يدركه الأركيولوجي هانولد بالمعنى الحرفي sens literal، **عبر المعنى الحرفي** «في المعنى الحرفي»[2] (im wortlichen sinne) الحكاية تقول:

«فكر آخر يبرز للمرة الأولى (zum ersten mal) في ساحة وعيه: دون فهم اندفاعه المألوف بحد ذاته. كان قد وصل إلى إيطاليا، قطعها قلب روما ونابولي حتى بومباي. لكي يرى فيما إذا كان في مقدوره العثور على آثارها. وهذا هو بالمعنى الحرفي (im wortlichen sinne)، لأنه بخطوته الواثقة كان يحتم عليها أن تترك خلفها في الرماد، وهي المميزة عن كل الأخريات، أثر abdrudd لأصابع قدمها[*][1].

---

(1) إنه رماد متخلف عن كارثة البركان، وهو الذي يشهد عليه عبر خطوة غراديفا.. الرماد دائما يخفي حركة حياة في الداخل عبر الانهمام بها، كما في حالة هانولد!

(2) هذا التكرار للمعني الحرفي له ما يبرره عبر أواليات نفسية وثقافية، كون الخطوة دائما في حالة حركة، وتشير إلى أثر ناطق: مطبوع وشاهد على واقعة ليرى ــ أي هانولد ــ إن كان بمقدوره أن يجد هنا أثرا لغراديفا ــ وهذا يعني، بالمعنى الحرفي، خطوتها الفريدة جدا التي لابد أنها تركت على الرماد بصمة ما تتميز عن جميع آثار الخطوات الأخرى، بصمة قد ترى فيها ضغط أصابع قدمها (ص42) ــ مقطع ذكرناه سابقا، ونورده لأهميته. فالمعنى الحرفي هنا يقابل البصمة، يقابل الأركيولوجيا التي تغير في مسار الأرشيف وتصححه!.

(*) المصدر نفسه ــ ص 205.

هذه الوحدانية لا تقاوم cett unicite ne resiste pas، ثمنها لا يقدر. إنما لا يقدر في الحد الأقصى، غير القابل للقياس، حيث بقيت مفقودة، إن إمكانية الأثر المؤرشف، هذه الإمكانية **البسيطة**، ليست بوسعها إلا أن تقسم الوحدانية[2]، بعد فصل الطباعة عن البصمة لأن هذه الوحدانية ليست حاضرة حتى في الماضي. وقد لا تكون ممكنة. ولا يمكن أن نحلم بها بعد فوات الأوان إلا في الحد الذي تكرارها، أي انقسامها المستمر، وإمكانية انشطاره تخالطها.

منذ البدء، إن الذاكرة الأمينة لهكذا تميز قد لا تخضع إلا للطيف.

الخيال هل يبقى إذا؟ هل قارب خطأ المعرفة؟ هل جنسن كان على

I'm wortlichen sinne. Dennbei ihrer besoderen Gangart musste sie in der Asche einen von allen ubrigen sich
unterscheidenden Abdruck der zehen hinterlassen haben..

(1) إن كل رهان جنسن على هانولد ومضمون روايته هو المتعلق بأثر الأصابع، كاكتشاف دال ومشع بالدلالات. دونه ما كان بإمكانه أن يقدم ما نسميه رواية، ما كان بإمكان فرويد أن يتصدى لها تحليلا! ولعل دريدا في موقعه يفصح عن حقيقة ملاصقة لحقيقة فرويد. وهي أن دراسة الوقائع لا تتم إلا عبر الغوص في المغيبات، وأن ثمة تشويها في الأرشيف كونه يتدعم من الخارج، أو يرتكز إلى عناصر لا تكفي لإثبات وجوده.
ربما الرماد هنا يكون الأثر المذرور والمضلل، ولكنه يشهد على ما يستنبطنه، وليست البصمة سوى الأثر المنطبع على الرماد، وعلامة على ما يخفيه.

(2) مشغول دريدا دائما بخاصية الأثر المؤرشف. حيث يسعى إلى تجاوزه، واستنطاق ما لم يكشف عنه. إنه يستخدم لوغوسا تفكيكيا للاهتداء إلى الغاية، أو الهدف المرسوم، ليحيل هانولد وعبره فرويد إلى موضوعة تخصه، وليحاكم بالتالي ثقافة بأكملها، هي ثقافة عصره. وهو في إجرائه يمارس هدما لهذه الثقافة، ويبني أساسا ثقافة أخرى يراهن عليها، موسومة بتصوراته في تجليها اليهودي، الأسراري، المستقبلي!

علم به أقل من فرويد(*)؟ وهانولد؟

حـول هـذا العـرض السـري، يمكـن أن نحلـم دائمـا، التـأمل la speculation يبدأ من هنا والعقيدة[1]، إنما من السر نفسه لا يمكن إيجاده

(*) هذه المسألة، معروفة، فرويد لم يتأخر في النظر إليها: بموجب استراتيجية ملتبسة أحيانـا. ويمنحها مكانة بشكلها العام، إنما أيضا حول هذا المثال في نصه عن غراديفا جنسن. ولأنه يشير، إلى أن ذلك يقترح غائية وجيتالوجيا الهذيان «لها نولد». هل صمدنا فـي مواجهـة العام؟ بعد أن اقترح فرويد بطريقة مثيرة، ومفاجأة بعزم، بقلب المصطلحات (إنه العلم الـذي لا يصمد أمام الخيال)، يعقد فرويد الأمور، يقترح أن يتحد كعالم علم جديد، ومسلح بشـدة بشخصية الروائي.

ذاك لن يكون لوحده فيما إذا كان مؤلف هذه الدراسة يصف أعماله العلمية وإذا كان بوسعه أن يخرج من عزلته المؤقتة، ملاحظة من عام 1912 تشهد أن هذه العزلـة علـى وشـك النهاية. للحركة التحليلنفسية، حيث كان مؤسسها، قد ذاع صيته منذ ذاك الوقت بجـلاء ـ (انظر ص 188 ـ 189 وما يليها). المسألة نفسها طرحت من وجهـة نظـر أخـرى فـي الصفحة الرابعة التي تنتهي على حافة وضوح منسي. وهو سائر. ولكن لنتوقـف، دون أن نخشى نسيان أن هانولد وغراديفا ليسا إلا من مكان آخر ومن وجهة نظر أخرى، سـنتطرق لاحقا إلى هذه النصوص وهذه المسائل المتصلة بالمرافعة الميتافسيرية.

(1) أن نحلم وأن نتخيل لكي نستمر في الحياة. هذا ما يمكن استخلاصه من رواية جنسن. وهذا ما يمكن إدراكه في قراءة نص فرويد عنها. ولكن هل يمكن الحلم دون وجود محرض. دون باعث، حلم هانولد يتلمس حقيقته، مادته الحلمية في داخله. وهو في ذلك يستعين لاشعوريا بمخيلته في متابعة حقيقة المنحوتة. الأمر الذي يدفع بالكائن المفكر فيه إلى إرسال، بعـث، إظهار ما يشبه البديل. غراديفا اسم من تأليف هانولد، مجرد وصف يخص ما هو مسـتثار عنده. وزوي اسم، هي ذاتها غراديفا، ولكن حقيقة: حياة وبحثه عنها، هـو بحثـه عمـا يفتقده، ويشتهيه ويبرز هذيانه تصعيدا لوتيرة الحدث بالفعل. وتغدو الرواية رواية الكـائن في مواجهة نقائص.

دريدا يمد بالحلم كقيمة ليحضر في أرضية الرغبة وينقب في التيهي والمفتقد، في الأرشيف الذي يتطلب دقة. إعلاما بأهمية الأركيولوجيا. ثمة دائما ما نفتقده، ما يسكننا فراغا أو خللا لا ندركه. ولذلك كان لابد من متابعة الآخر الذي يحقق التوازن، أو يكسـب صوتنـا قيمـة حضور ما.

في الأرشيف من حيث التعريف. السر، هو بقايا الأرشيف، والمكان حيث لا وجود لمعنى يمكن قوله حول «بقايا الأرشيف نفسها» أو «البقايا نفسها»، لا يوجد أي معنى في البحث عن سر ما يمكن معرفته[1].

بالأحرى شخصية ها نولد الأركيولوجي[2]، وهذا ما يثبته الأدب. وهذه إذا شهادة موثقة، شهادة الأدب ذاتها[3].

الأدب كوريث مطلوب أو طليق، للكتابة المقدسة[4]. Héritiere echappée ou émancipée - de l'ecriture sainte وهذا ما يحملنا على التفكير بالسر: السر الحصين لغراديفا وسر هانولد، وجنسن ثم فرويد وآخرين، وفيما وراء هذا التحري الممكن الضروري، سنتساءل دائما فيما

---

(1) البقايا باستمرار هي الأسس التي تساعدنا في مقاربة البدايات. البقايا أردناها رمادا، هو رماد يشتعل من الداخل، فلابد من النفخ فيه. وهذا ما لجأ إليه جنسن عبر هانولد. وفرويد عبر جنسن، ودريدا عبر الأخير. ونحن عبره؟

(2) لأن الروائي يشكل من مفهوم ونبراس حقيقة. فالرواية في لغزيتها تخاطب في القار ما يجهله.

(3) هكذا تختتم الرواية (ص 201) ـ ولكن هل حقا نقتنع بالنهاية هذه، وهكذا، بعد أن أثارت فينا هاتيك الزوابع النفسية؟

(4) الكتابة المقدسة وضع طقوسي لأنها تتجاوب مع مغناة النفس الإنسانية، تعلي من أهمية المحتفى به. لذلك كان الأدب ممارسة طقوسية عند التمعين في بنيته وفحواه! فرويد مأخوذ، بعمل جنسن، لأنه يعبر حقا عما يعيشه ويعتقده في ذاته. لا أدل على ذلك من العبارات المكثفة التي تخص الحلم والهذيان وتجذرهما النفسي (إن منهجنا يتركز على الملاحظة الواعية للمسيرات النفسية غير المألوفة لدى الغير بقصد التمكن من تخمين وتوضيح قوانينها. أما الكاتب، فمن المؤكد أنه يتصرف بصورة مغايرة، فهو يركز انتباهه على لا وعي نفسه، ويصيخ السمع إلى كل كموناته، ثم يمنحها التعبير الفني بدلا من أن يكتبها بالنقد الواعي. إنه يتعرف بواسطة داخله هو نفسه إلى ما نتعرف إليه نحن بواسطة الآخرين: ما القوانين التي تنظم حياة اللاوعي ـ ص200). وهذا ما تلح عليه «كوفمان» في مصدرها المذكور.

يخفيه أبدا، ما كان يتستر عليه أو ما كان يكتمه أبدا فيما وراء نية التستر، أن يكذب أو يحلف زورا. سنتساءل دائما ما إذا استطاع، في سوء الأرشيف هذا، أن يحترق، سنتساءل دائما دائما، في مشاطرة الشفقة بسوء الأرشيف هذا، ما إذا استطاع أن يحترق بأهوائه السرية، وبتوافقه أو «بحياته»[1]. الحرق بمعزل عنه، دون مخلفات ودون معرفة، دون جواب ممكن، طيفي أولا، من هذه الناحية أو تلك، وما وراء القمع، حول الحد الآخر من الكبت، الكبت الأصلي والثانوي، دون اسم، ودول أقل عرض، وحتى بدون أثر[2] et sans meme une cendre.

(1) هذه التساؤلات أركيولوجية، تطال إشكالية الأرشيف، وما ينبغي القيام به، ما يخص اللغز الذي يسكننا ويحرضنا ولا نستطيع حله. ونحن نتوله به، ويزداد شغفنا به ولكن دون إمكانية امتلاكه، لأنه ليس جليا كما يظن!

(2) ثمة ما يتجاوزنا، ما يجعلنا أسرى ما نعيش ونعاينه ونتفكره، ولكن هيهات أن نتعرف عليه. فالأثر يضلل، رغم أنه يستقطب! هل دريدا بذلك يغلق على نصه، يريد إعلامنا أنه من الصعب إن لم يكن مستحيلا القبض على ما يقلقنا؟ هل يعني أنه أدرك السر، هو وحده، ولم يبح به.. أم أن ما يعنيه هو سر اللاسر فعلا؟



الفهرس